بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القرى
كلية التربية بمكة المكرمة
الدراسات العليا

نموذج رقم (٨) *

اجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية

بعد اجراء التعديلات المطلوبة

الاسم الرباعي : علي جرادان عبيّان الثبيتي

القسم : التربية الاسلامية والمقارنة

الدرجة العلمية : **ماجستير**

التخصص : تربية اسلامية ٠

عنوان الاطروحة : **التربية الاسلامية وتقدير قيمة الوقت**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،،

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الاطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤١٣/١/٧ هـ بقبول الاطروحة بعد اجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم فان اللجنة المذكورة توصي باجازة الاطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه والله الموفق ٠

أعضاء اللجنة

المشرف	مناقش من القسم	مناقش من خارج القسم
الاسم : د/ بشير حاج التوم	د/ عبدالرحمن عبدالله الشميري	د/أحمد نافع المورعي
التوقيع :		

رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنة

د/ محمود محمد عبدالله كسناوى

---

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الاطروحة في كل نسخة ٠

جامعة أم القرى
كليـــــة التربيـــة
قسم التربية الاسلامية والمقارنــة



التربية الاسلامية وتقدير قيمة الوقت

مشروع بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير
في التربية الاسلامية

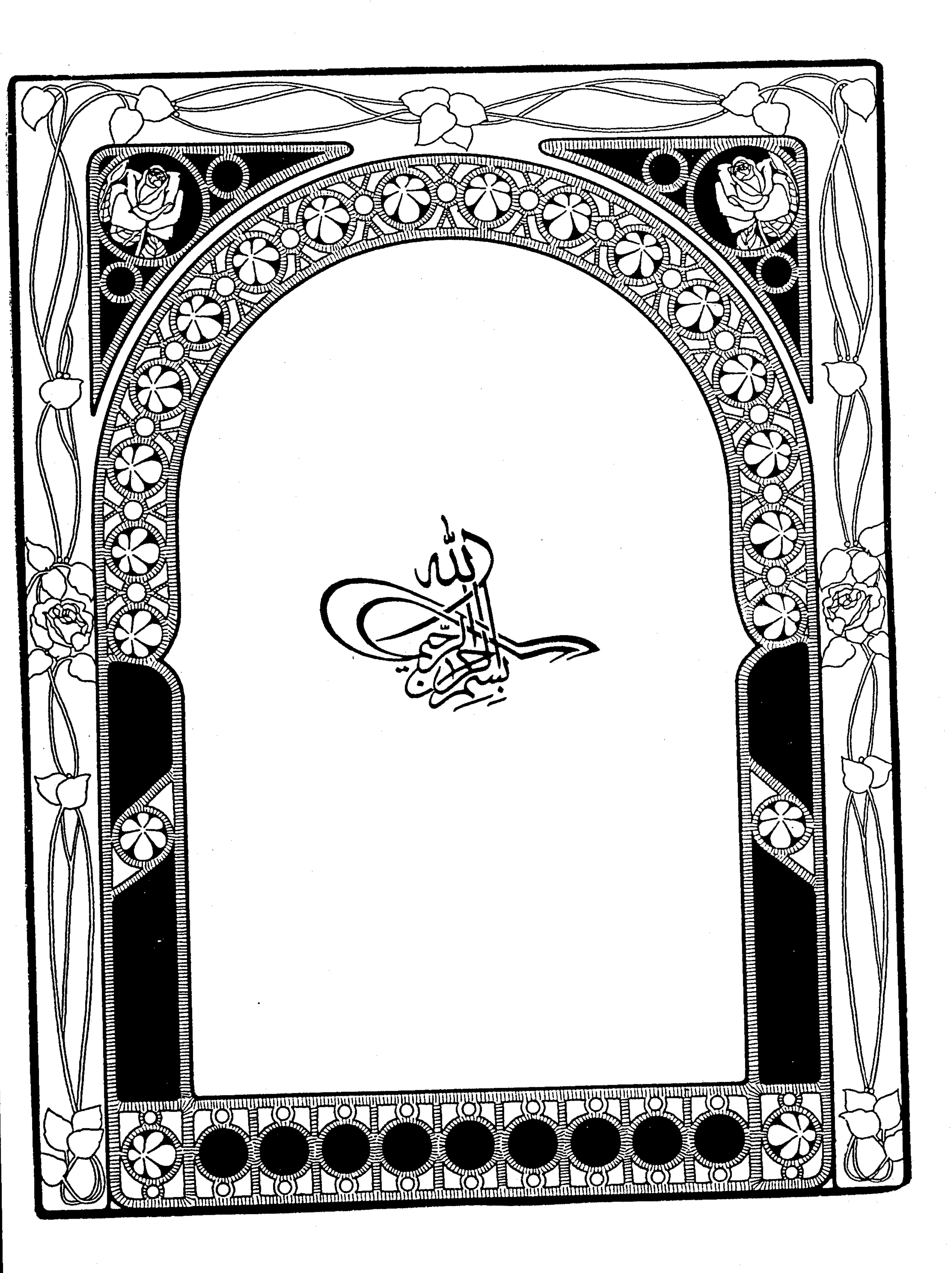
اعداد الطالب
علي جرادان الثبيتي



اشراف الدكتور
بشـــير حـــاج التـــوم

الفصل الدراسي الثاني

١٤١٢ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

اهـــــــداء

الى والدي الغالي الذي ارجو له حسن الخاتمة ٠

الى روح والدتي الطاهرة التي ادعـو الله لها بالرحمة والغفران ٠

الى زوجتي وأبنائي الذين تنازلوا عن حقهم في الفسحة والترويح أثناء إعداد هذا البحث

الى شباب الامة ممن يهدرون أوقاتهم ، الذين أدعو الله لهم بالتوفيق لاغتنام أوقاتهم والعمل الطيب في فرصة آجالهم ٠

إليهم جميعا أهدي هذا الجهد المتواضع ٠

الباحث

كلمـــة شـــــكر

يرفع الباحث شكره العظيم الى المولى الجليل صاحب المن والفضل والتوفيق ، الذي له الامر من قبل ومن بعد واليه ترجع الامور ٠

ويتقدم بالشكر الجزيل إلى سعادة الدكتور / **بشير حاج التوم** المشرف على هذا البحث ، الذي لم يتوان في المراجعة والمتابعة أولا بأول ، ولم يبخل على الباحث بالتوجيه ، وإسداء النصح ، حتى خرج هذا العمل كما هو في صورته الراهنة ، وكان ـ أثابه الله ، وأمد في عمره ـ جم التواضع ، لين الجانب مع كثرة شغله ومسئولياته ٠

كما يشكر الباحث الأستاذ / **علي خضر الثبيتي** ـ موجه اللغة العربية بمنطقة الطائف ـ الذي قام ببعض التصويبات النحوية ٠

والشكر للزميلين : الأستاذ / **عبدالله الناصر الغامدي** ، والأستاذ / **عبدالإله السواط** اللذين لم يقصرا تجاه الباحث بخدماتهما وتوجيهاتهما ٠

ويقدم الباحث شكره إلى كل من ساهم في إخراج هذا العمل من موجهين ، ومدرسين ، وطلاب ممن التقى بهم الباحث ، ويخص بالذكر أستاذه الكريم ذا الخلق الرفيع / **عبدالعزيز الشايع** ـ موجه التربية الإسلامية ـ بالطائف ، والدكتور / **عايد الثبيتي** موجه الإدارة المدرسية ، والأستاذ / **محمد الصديقي** موجه العلوم ، والأستاذ / **صالح بارقعه** موجه الرياضيات والأستاذ / **محمد فيصل الفعر** المرشد الطلابي بثانوية عكاظ ، فلهم جزيل الشكر على حسن تعاونهم وكرم أخلاقهم ٠

كما يشكر الباحث الأستاذ / **عثمان جمعة** _ المحاضر بكلية التربية بالطائف _ الذي فتح مكتبته الخاصة أمام الباحث ولم يبخل عليه بالتوجيه والإرشاد •

وأخيرا يشكر الباحث المناقشين الكريمين : فضيلة الدكتور / **أحمد نافع المورعي** الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين _ جامعة أم القرى _ وسعادة الدكتور / **عبدالرحمن الشميري** الأستاذ المساعد بكلية التربية _ جامعة أم القرى _ اللذين كلفا بقراءة هذا البحث وإختباره _ لما كان لملاحظاتهما وتوجيهاتهما من أثر طيب ، وفائدة جمة في تطوير البحث والرقي به •

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى •

ملخص الدراسة

* **موضوع البحث : التربية الإسلامية وتقدير قيمة الوقت ٠**

* **أهداف البحث :**

(١) توضيح أهمية الوقت في الإسلام، من خلال ما ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة وأقوال السلف الصالح ٠
(٢) بيان كيفية استغلال الوقت عند سلفنا الصالح ٠
(٣) الكشف عن واقع الشباب المعاصر، ومدى اهتمامهم بالوقت ٠
(٤) تقديم بعض الحلول التي تساعد في توجيه الشباب إلى اغتنام أوقاتهم والمحافظة عليها ٠

* **منهج البحث :**

اعتمد الباحث على ثلاثة مناهج في هذه الدراسة وهي :
- المنهج الاستنباطي الذي انتهجه في تفسير النصوص من القرآن والسنة٠
- المنهج التاريخي الذي ساعد الباحث في تتبع سيرة السلف الصالح من القرن الأول الهجري وحتى القرن الثامن الهجري ٠
- المنهج الوصفي الذي اعتمد عليه الباحث في وصف واقع الوقت اليوم٠

* **فصول الدراسة :**

- الفصل التمهيدي : وفيه أهداف البحث وتساؤلاته ، وأهميته ، والدراسات السابقة ٠
- الفصل الأول : الوقت في الإسلام وفيه ثلاثة مباحث : الوقت في القرآن ، الوقت في السنة النبوية ، ثم الوقت في أقوال السلف الصالح ٠
- الفصل الثاني : وفيه نماذج من سلفنا الصالح الذين كان للوقت نصيب من اهتمامهم ٠
- الفصل الثالث : وقد إختص هذا الفصل بوصف واقع الوقت اليوم ٠
- الفصل الرابع : وفيه قدم الباحث تصوراته لمعالجة إهدار الوقت لدى الشباب ٠
- الفصل الختامي : وفيه خاتمة الموضوع ، ونتائجه ، وتوصياته ٠

* **نتائج البحث :**

(١) وضوح أهمية الوقت في التربية الإسلامية ٠
(٢) بروز المثل الأعلى ، والقدوة الصالحة من سلفنا الصالح الذين كانت أوقاتهم معمورة بالعمل الصالح ٠
(٣) أظهرت الدراسة أن الوقت لا قيمة له بين معظم الشباب في واقعنا المعاصر ٠
(٤) أظهرت الدراسة أن الأسرة لا تقوم بواجبها المطلوب في توجيه أبنائها نحو الاستثمار الأفضل للوقت ٠
(٥) بينت الدراسة أن هناك مجموعة من الأسباب تتداخل فيما بينها وتؤدي إلى ضياع الوقت ، وعدم الاكتراث به ـ خاصة بين الشباب ـ والتي من أهمها : التلفزيون ، الغفلة وغياب الهدف ، التسويف وطول الأمل ، صحبة البطالين الفارغين ٠
(٦) بينت الدراسة دور بعض المؤسسات التربوية والإجتماعية في علاج إهدار الوقت لدى الشباب ٠

* **توصياته :**

(١) يوصي الباحث بضرورة قيام دراسات وأبحاث عن أسباب ضياع الوقت لدى الشباب ٠
(٢) يوصي الباحث الأسرة المسلمة الحريصة على تربية أبنائها تربية إسلامية فاضلة أن ترسم لهم منهجا ، وبرنامجا يوميا يسير الولد بموجبه لينشأ محافظا على وقته ، حريصا على اغتنامه ، منظما له ٠
(٣) يوصي الباحث بأن تهتم وزارة المعارف بابراز قيمة الوقت في المنهج الدراسي الذي يدرس لطالب المرحلة الثانوية ٠
(٤) يؤكد الباحث على دور المدرسة في تنمية إتجاه احترام الوقت وتقديره لدى الطلاب ، وذلك بالمحافظة على مواعيد الدراسة ودخول الحصص ، والانصراف ، إضافة إلى مايقوم به المدرسون من توجيهات لطلابهم بهذا الخصوص ، كما يوصي الباحث بأهمية التوعية بقيمة الوقت ويتم ذلك عن طريق الصحف الحائطية ، والملصقات على جدران المدرسة ، والإذاعة المدرسية ٠
(٥) يوصي الباحث بضرورة التعاون بين المؤسسات التربوية والمؤسسات الإعلامية لتوجيه الشباب إلى استغلالهم أوقاتهم ٠
(٦) يوصي الباحث بأن تعمل وزارة العمل والشئون الإجتماعية بالتعاون مع القطاعين العام والخاص بتوفير بعض الوظائف والأعمال المؤقتة في مواسم الاجازات للراغبين من الشباب ٠

الباحث /	المشرف	عميد كلية التربية
علي جرادان الثبيتي	د٠ بشير حاج التوم	د٠ هاشم بكر حريري

فصول الدراسة

الموضوع	الصفحة
(الفصل الرابع)	
دور المؤسسات التربوية والاجتماعية	
في معالجة واقع الوقت المعاصر	
(الفصل الختامي)	

الفصل التمهيدي

(١) المقدمة .

(٢) موضوع البحث .

(٣) تساؤلات البحث وأهدافه .

(٤) أهمية البحث .

(٥) منهج البحث .

(٦) الدراسات السابقة .

(٧) فصول الدراسة .

بسم الله الرحمن الرحيم

* مقدمة :

الحمد لله وحده، الذى خلق الإنسان وكرمه، وجعله خليفة له في الأرض ليعمرها بالخير والصلاح، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة : ٣٠)

وصلى الله على سيدنا محمد، نبي الله ورسوله إلى الناس كافة: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
(سبأ : ٢٨)

وهو الذي بلغ الأمانة، وضرب المثل الأعلى في تحقيق العبودية لله سبحانه، وقد غفر الله ذنبه ما تقدم منه وما تأخر، ولكنه لم يتوان في العبادة شكرا لربه، حيث قال حينما سأله بعض أصحابه عن إجهاده لنفسه في قيام الليل: ((**أفلا أكون عبدا شكورا**)) (البخارى، كتاب التهجد، رقم ١٠٥٤).

وهو الذي حث أصحابه على العمل، وتوخي التوازن في طلب الدنيا والآخرة، حرصا منه على أوقاتهم، ومن هنا كان سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ كلهم نهم، وتسابق في الطاعات واغتنام الفرصة، حتى إن الفقراء منهم يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق** ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من**

سبقكم وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون أحدا أفضل منكم إلا من صنع مثل ماصنعتم ، قالوا : بلى يارسول الله ، قال : تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة)) . (مسلم ، ١٢٤٧ هـ ، ج ٥ ، ص ٩٢ ، إستحباب الذكر بعد الصلاة) .

فما أحوجنا ونحن في هذا الزمن الذي تقوقعت فيه الأمة الإسلامية ، وقعدت عن ركب الحضارة العالمية إلى تربية أصيلة خاصة لأجيالنا الذين يهدرون أوقاتهم فيما لا ينفع ، وكأن الصلة قد انقطعت بينهم وبين ماضيهم الزاهر العظيم .

إن الناشئة الإسلامية المعاصرة تعاني من قصور في التوجيه والتوجه ، كثير منهم لا يدركون القيمة الحضارية للوقت الذي ينبغي أن ينفق فيما ينفع الأمة ، لتوجيه الجهود من أجل البناء الفكري والمادي على حد سواء ، وعلى خلاف ذلك نجد أن الأمم المتقدمة قد أدركت هذه القيمة كما يقول سفر (١٤٠٤ هـ) : « وليس ثمة مبالغة في القول بأن العالم المتحضر لم يصل إلى ما وصل إليه من تقدم ورقي إلا لأنه طوع الوقت واعتبره أغلى شيء في الوجود ، حتى لقد أصبحت السلع تقيم بمقدار ما ينفق عليها من وقت ، وحسبت الأجور على الساعة ومعشارها » . (ص ١٧٢)

وعلى هذا الأساس يصبح احترام الوقت وتقديره حافزا على العمل المثمر ـ عمل الدنيا والآخرة ـ الذي يحقق واجب الإستخلاف في الأرض ، والريادة ، ومركز الصدارة بين الأمم . قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة : ١٤٣)

إن الأمة الإسلامية هي صاحبة الرسالة والريادة، وقد كانت كذلك حينما كان المسلمون الأوائل يحرصون على أوقاتهم ولم يضيعوا حياتهم هدرا، وإنما كانت مليئة بالعلم، والعمل، والاجتهاد، فاستقامت أمورهم، وبنوا أعظم حضارة إنسانية قائمة على العمل المنتج، والعدل، ورفع الظلم عن الناس جميعا، وقد تلقف الغرب علوم المسلمين ومآثرهم، وأضافوا عليها من جهدهم، وصنعوا حضارة مادية، نقف اليوم أمامها مشدوهين حائرين.

فلننظر نحن - شباب المسلمين - إلى حضارة الإسلام في عهد ازدهارها، ونسأل أنفسنا .. لماذا توقفت وجمدت ؟!.

ولا مانع أن ننظر إلى حضارة الغرب القائمة، ونسأل أنفسنا ..

لماذا ازدهارها، وتفوقها ؟!

والإجابة أن ذلك مرده إلى تقدير قيمة الوقت عند أولئك القوم.

فالواجب علينا أن نصحو من غفلتنا، ونعيد سابق مجدنا، من أجل أن نكون أمة تقدر الزمن، وتوجه الجهود من أجل المنافسة والبناء.

وقد قال حافظ إبراهيم في وصف ماضينا الزاهر العظيم:

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا * إلا بقية دمع في مآقينا
كنا قلادة جيد الدهر فانفرطت * وفي يمين العلا كنا رياحينا
كانت منازلنا في العز شامخة * لا تشرق الشمس إلا في مغانينا

(الديوان . د . ت - جـ ٢ ص ١١٩)

فلن نستطيع أن نعيد بناء حضارتنا ، والوثوب من كبوتنا ، والاستيقاظ من غفلتنا إلا باغتنام الوقت وإنتهابه ·

والباحث ـ حين يقدم دراسته هذه التي أبرز فيها قيمة الوقت في التربية الإسلامية ، وحالته في واقعنا المعاصر ـ يناشد المؤسسات التربوية القائمة أن تعزز قيمة الوقت في نفوس الناشئة ، وتعمل على معالجة الأسباب المؤدية إلى ضياعه ، وإهداره ، وتنمي فيهم حب العمل والاجتهاد في طلبه · راجيا من الله العلي القدير أن ينفع بهذا البحث وأن يكون خطوة على طريق التطوير والإصلاح التربوي ·

* موضوع البحث :

يمثل الوقت قيمة حضارية عظيمة في حياة المسلم وذلك لما له من الأثر في بناء الحضارة ، ومن هنا وجبت المحافظة عليه وتقدير قيمته ، فالإنسان المسلم حقا هو الذي يدرك هذه القيمة . والحضارة الرائدة هي التى تربي أبناءها على الاهتمام بالوقت إذا أرادت أن يكون لها زمام القيادة والريادة .

يقول مالك بن نبي (١٤٠٥ هـ) « إن وقتنا الزاحف صوب التاريخ لا يجب أن يضيع هباء كما يهرب الماء من ساقية خربة ولا شك أن التربية هي الوسيلة الضرورية التي تعلم الشعب العربي الإسلامي تماما قيمة هذا الأمر » (ص ١٤٠) .

ويرى الباحث أن بعض الشباب الإسلامى اليوم لا يقدرون قيمة الوقت ، وذلك لأنهم لايستثمرونه فيما يعود عليهم وعلى أمتهم بالنفع ، وإنما يقتلونه بأساليب مختلفة وغير منتجة .

ومن هنا يمكن أن يسهم هذا البحث في بيان قيمة الوقت في التربية الإسلامية ، وقد عالج الباحث هذا الموضوع من الجوانب التالية :

أولا ـ أهمية الوقت في الإسلام :

حيث تناول الباحث الآيات الكريمات التي عرضت لمفهوم الزمن وقام بتحليلها وتفسيرها من خلال كتب التفسير من أجل إبراز قيمة الوقت من القرآن الكريم الذي هو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامى ، ثم انتقل الباحث ـ بعدها ـ إلى الأحاديث الشريفة ذات

العلاقة ، وبعد ذلك أورد بعضا من أقوال السلف الصالح التي أشارت إلى بيان أهمية الوقت ، ووجوب إغتنامه • مثال ذلك ما يقوله الحسن البصري ـ رحمه الله ـ « ابن آدم إنما أنت أيام ، كلما ذهب يوم ، ذهب بعضك » (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٤ ، ص ٥٨٥) •

ثانيا: قدم الباحث نماذج من سلفنا الصالح ، وأعلام الفكر الإسلامي ممن قدروا الوقت حق قدره ، وكانت حياتهم مليئة بالعطاء والإنتاج ، ممن عاش منهم في القرنين الأول والثاني الهجريين من التابعين ومن بعدهم ، الذين أخذوا عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بينهم وبينه بعيد مسافة زمنية ، فكانوا بذلك أحق أن نأخذ عنهم ونقتدي بهم ، ثم عرض الباحث بعد ذلك نماذج من القرن الثالث ، والرابع ، والخامس ، لأن هذه الفترة تعتبر أوج إزدهار الفكر الإسلامى • ثم نماذج من القرن السادس وحتى الثامن الهجري ممن كان لهم إهتمام بالوقت يتجلى في إنتاجهم العلمي والحضاري مع ما صاحب هذه الفترة التاريخية من مظاهر العدوان على العالم الإسلامي ممثلة في العدوان الصليبي ، والمغولي عسكريا وفكريا •

ثالثا: عالج الباحث واقع الشباب المعاصر ، وما هو عليه من إهدار للوقت ، وضياع لفرصة الحياة ، متوخيا الأسباب التي صنعت هذا الواقع ، وهو بذلك يمهد لتقديم بعض الحلول التي يمكن أن تسهم في معالجة الواقع القائم •

رابعا: تقديم تصورات للحلول وأساليب المعالجة من خلال بعض المؤسسات التربوية والاجتماعية •

* تساؤلات البحث :

يمكن لموضوع البحث أن يلخص في التساؤلات التالية :

(١) ما أهمية الوقت من وجهة النظر الإسلامية ؟

(٢) كيف كان السلف الصالح ، والعلماء يستثمرون أوقاتهم ؟

(٣) ما الحالة التي عليها واقع الناشئة الإسلامية المعاصر في استغلال الوقت ؟

(٤) ما هي الحلول ، وأساليب المعالجة التي يتصورها الباحث ؟

* أهداف البحث :

(١) توضيح أهمية الوقت في الإسلام ، من خلال ماورد في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وأقوال السلف الصالح .

(٢) بيان كيفية استغلال الوقت عند سلفنا الصالح ، وعلمائنا الأفاضل .

(٣) الكشف عن واقع الشباب والناشئة الإسلامية المعاصرة ، ومدى اهتمامهم بالوقت ، وكيفية استغلاله ، وذلك عن طريق المقابلة الشخصية مع المعنيين بالدراسة ، والقائمين على تربيتهم من مدرسين ، ومشرفين تربويين .

(٤) تقديم بعض الحلول التي تساعد في توجيه الشباب إلى اغتنام أوقاتهم ، والمحافظة عليها .

* أهمية البحث :

تأتي أهمية الموضوع من حاجة مؤسساتنا التربوية القائمة إلى تأصيل النظرة إلى أهمية الوقت ، من أجل تنوير الناشئة الضائعة التي فاق تبذيرها للوقت حد الإهدار والتبديد .

فالوقت نعمة عظيمة ، يغفل الكثير عن تقديرها ، ولا يقومون بالمحافظة عليها ، روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم . قوله :
((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)) .

(البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، كتاب الرقاق ، رقم ١٢٧٩) .

ويكفي الوقت أهمية أن الله سبحانه وتعالى أقسم به في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ (العصر : ١ ـ ٣)

« يقول ابن عباس : العصر هو : الزمن (الرازي ، جـ ٢٢ ، ص ٨٤) ، وقال تعالى :
﴿ وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ (الضحى : ١ ، ٢)

إن الباحث يرى أن الموضوع جدير بالاهتمام ، وذلك لما يسمع من العبارات التي يرددها الشباب حول قتل الوقت يتجمعون في أماكن الترفيه ، وتدور بينهم الضحكات العريضة على نكتة سخيفة ، أو نميمة وغيبة ، ويمارسون بعض الألعاب التي تلهيهم عن ذكر الله مثل : لعب الورق ، أو التجمع حول التلفاز لمشاهدة الأفلام ، والمباريات حتى ولو كانت في وقت الصلاة ، أو السهر لمشاهدة أفلام الفيديو وهم بذلك

لا يبالون بإهدار الوقت ، ليلهم نهار ، ونهارهم ليل ، أي أنهم يسهرون الليل ، ويناموون النهار ، ولقد شاهد الباحث هذه الظاهرة تستشري في مجتمعنا ، خصوصا في مواسم الإجازات ، وبعض الشهور كشهر رمضان المبارك ، شهر الرحمة والغفران ، ولكن أين شبابنا من هذا ؟ إنهم لايلتمسون رحمة ولا مغفرة ، ولا يدرون أن قتل الوقت على هذه الصورة قتل للنفس وانتحار بطيء مؤذن بالهلاك ، ويؤيد هذا ما يقوله مالك بن نبي (١٤٠٥ هـ) « وحظ الشعب العربي الإسلامي من الساعات كحظ أي شعب متحضر ولكن .. عندما يدق الناقوس مناديا الرجال والنساء والأطفال إلى مجالات العمل في البلاد المتحضرة ، أين يذهب الشعب الإسلامي ؟ تلكم هي المسألة المؤلمة » (ص ١٤٠).

إن الشباب عماد الأمة في عزها ، ونصرها ، فما أحوجه إلى العناية ، والتربية والتوجيه ، ومن هنا جاء هذا البحث ليقدم وصفا لواقع الوقت اليوم ، ويقدم تصورات تستفيدُ منها المؤسسات التربوية ـ ممثلة في الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام خصوصا (التلفاز) الذي يدخل إلى كل منزل ـ من أجل تربية سليمة للناشئة في استغلال الوقت وتقدير قيمته ، باعتبار أن الناشئة هم القاعدة في الاصلاح والبناء الاجتماعي ، فلابد من الاهتمام بهم وتوجيههم إلى تقدير قيمة الوقت ، إقتداء بسلفنا الصالح الذين كانوا أشد حرصا على استثمار الوقت بما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والأخرة .



* منهج البحث :

إعتمد الباحث على المناهج التالية :

أولا _ المنهج الإستنباطي :

إن المنهج الإستنباطي هو الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة • (صالح وآخرون ، ١٩٨٨ م ، ص ٤٢) •

وقد استخدم الباحث هذا المنهج في تفسير الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة ذات العلاقة بموضوع الوقت وتقديره •

ثانيا _ المنهج التاريخي :

يقول حسن عثمان (١٢٨٦ هـ) :

> « منهج البحث التاريخي هو المراحل التي يسير خلالها الباحث حتى يبلغ الحقيقة التاريخية بقدر المستطاع ويقدمها إلى المختصين بخاصة والقراء بعامة ، وتتلخص هذه المراحل في تزويد الباحث نفسه بالثقافة اللازمة له ثم إختيار موضوع البحث وجمع الأصول والمصادر وإثبات صحتها وتعيين شخصية المؤلف وتحديد زمان التدوين ومكان وتحرى نصوص الأصول وتحديد العلاقة بينها ونقدها نقدا باطنيا إيجابيا وسلبيا وإثبات الحقائق التاريخية وتنظيمها وترتيبها والإجتهاد فيها وتعليلها وإنشاء الصيغة التاريخية ثم عرضها عرضا تاريخيا معقولا » • (ص ٢٠)

إعتمد الباحث على هذا المنهج في تتبع سيرة بعض الصحابة والتابعين في عبادتهم واجتهادهم ، وكذلك متابعة بعض العلماء من سلفنا الصالح ممن كان لهم شهرة على الساحة الفكرية لمعرفة مدى حرصهم على أوقاتهم •

ثالثا ـ المنهج الوصفي :

للمنهج الوصفي جوانب منها ـ الوصف ، والتحليل ، والتفسير ، والتنبؤ ٠

يقول عبيدات وآخرون (١٩٨٨ م) : « يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبر عنها تعبيرا كيفيا أو تعبيرا كميا فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها ، أما التعبير الكمي فيعطينا وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى » ٠ (ص ١٨٧)

إعتمد الباحث على هذا المنهج في الفصل المتعلق بواقع الوقت المعاصر ، حيث قام بإجراء مقابلات شخصية مع عينة من شباب المرحلة الثانوية ، وكذا مع مجموعة من المربين القائمين على تربية الناشئة من أجل جمع معلومات ميدانية ووصفها ثم تحليلها وتفسيرها للخروج بتصور حول واقع الناشئة ومدى اهتمامهم بأوقاتهم ٠

وتجدر الإشارة إلى أن المقابلة الشخصية التي أجراها الباحث كانت على نوعين :

(أ) **المقابلة المقننة :**

وتعني المقابلة المقيدة بأسئلة محددة أعدها الباحث مسبقا ٠

(ب) **المقابلة الحرة :**

وهى المقابلة المفتوحة التى طرح الباحث فيها أسئلته حسب الحاجة إليها وما يراه مناسبا لخدمة هدف البحث ٠

كما استخدم الباحث هذا المنهج في تقديم التصورات التي ينبغي للمؤسسات التربوية ، والإعلامية أن تقوم بها لتوجيه الشباب إلى اغتنام أوقاتهم ٠

* الدراسات السابقة :

لم يعثر الباحث على دراسة تربوية متكاملة سابقة عن هذا الموضوع ، ولكن هناك دراسات جزئية ناقشت جوانب محددة من هذا الموضوع ، منها :

أولا : يوسف القرضاوي ـ **الوقت في حياة المسلم** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .

وقد عرض القرضاوي للجوانب التالية :

* عناية القرآن والسنة بالوقت والدلائل التي تحملانها حول أهمية الوقت .
* خصائص الوقت ـ وقد عد من هذه الخصائص : سرعة انقضائه ، وأن ما مضى منه لا يعود ، وأنه أنفس مايملكه الإنسان .
* الحرص على الإستفادة من الوقت . وقد ناقش المؤلف تحت هذا العنوان قتلة الوقت ، اغتنام الفراغ ، المسارعة في الخيرات ، الاعتبار بمرور الأيام ، تنظيم الوقت ، لكل وقت عمله ، تحري الأوقات الفاضلة ، نظام الحياة اليومي للمسلم .

ثانيا: عبدالفتاح أبو غدة : **قيمة الزمن عند العلماء** ، دار البشاير الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الرابعة (١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) .

عرضت هذه الدراسة بشكل خاص لنماذج من العلماء المسلمين الذين كان لهم دور بارز في تقدير قيمة الزمن .

ثالثا: عبدالستار نوير : **الوقت هو الحياة** ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) .

قدم المؤلف في دراسته مجموعة من القواعد العملية التي تفيد في اغتنام العمر ، وكان عددها إثنتي عشرة قاعدة هي :ـ

تربية القوة الذاتية ، إستخدام الآلة ، الإستعانة بالعاملين والأعوان ، الاشتغال بأفضل الأعمال ، احسان العمل وإجادته ، تكثيف العمل في الوقت ، القصد في العمل والمداومة عليه ، العناية بالآثار الباقية ، النظام ، العناية بالنوم والراحة ، الحذر من آفات الوقت ، محاسبة النفس .

رابعا: خلدون الأحدب : **سوانح وتأملات في قيمة الزمن** ، مكتبة الوفاء ، جده ـ المملكة العربية السعودية ، ط ٣ ، ١٤١٠ هـ .

جاءت هذه الدراسة في حدود ثمانين صفحة من القطع المتوسط أبرز فيها المؤلف مجموعة من القواعد التى تحث على إغتنام الزمن ، وقد رتبها على النحو التالى :

- الزمن هو أجل وأشرف ما يحصله العقلاء بإجماع العلماء .
- من شرف الزمان أن الانسان العاقل يحرص على اغتنامه إلى حالة النزع والذماء .
- الإشتغال بالندم على الوقت الفائت تضييع للوقت الحاضر .
- التسويف عجز وكسل .
- إعتقاد التفرغ من الشواغل في مستقبل الأيام وهم وسراب .
- إنما تضيع الأزمان بصحبة البطالين .
- إنما تكمل العقول بترك الفضول .
- ترويح النفس .

خامسا : جاسم محمد المطوع ـ **الوقت عمار أو دمار** ـ دار الدعوه ، الكويت ، ١٤١٠ هـ ، ط ١ •

جاءت هذه الدراسة في جزئين :

الجزء الأول : وفيه ناقش المؤلف مجموعة من الأفكار والخواطر حول مفهوم الوقت ، وجعل ذلك في عشرة فصول :

(١) **الفصل الأول:** يحاور الكاتب القارىء في ثلاث دقائق :

الدقيقة الأولى : وسماها « أعظم الاضاعات » وذكر أن الوقت من أعظم ما يضيعه الانسان في حياته •

الدقيقة الثانية: « الوقت سيف بتار » فإن لم يكتسب الوقت بحقه أصبح وبالا على من ضيعه •

الدقيقة الثالثة: أطلق عليها الكاتب اسم « ساعة اللحد » التى هي من أشد ساعات العمر التى يمر بها الانسان ، وقد نبه الكاتب إلى ضرورة مراقبة تلك الساعه والتزود بالعمل الصالح قبل الوصول إليها •

(٢) **الفصل الثانى:** عد المؤلف في هذا الفصل أنواع الفراغ حيث ذكر منها : الفراغ العقلي ، الفراغ القلبي ، الفراغ النفسي •

(٣) **الفصل الثالث:** رسم المؤلف فيه منهجا لكيفية استغلال الوقت حيث نصح باتباع الأساليب التالية : الحركة الهادفة ، المخالطة ، حب

المساعدة وقضاء الحاجات ، خمسية الصحابة التى كانوا يحرصون عليها والتى منها : الحرص على ملازمة الصالحين ، اتباع السنة ، عمارة المسجد ، تلاوة القرآن ثم الجهاد في سبيل الله . وذكر بعد ذلك القراءة والندوات والرحلات والألعاب الرياضية .

(٤) **الفصل الرابع :** ذكر فيه مجموعة من العوامل التى تساعد على استغلال الوقت ومنها : معرفة أهمية الوقت ، الزهد في الدنيا ، تذكر الموت والخوف من الله ، تنويع البرامج ، الدعاء ، تنمية الهمة العاليه ، معرفة أثر البطالة ، معرفة قيمة الشباب وحال الفارغين ، معرفة كيفية استغلال الصالحين لأوقاتهم .

(٥) **الفصل الخامس :** قدم فيه المؤلف مجموعة من عوائق استغلال الوقت ذكر منها : اتباع الهوى ، طول الأمل ، خواء القلب .

(٦) **الفصل السادس :** الصالحون يربون أبناءهم على استغلال الوقت .

(٧) **الفصل السابع :** أقسام السائرين الى الله بحسب استغلالهم لأوقاتهم . حيث جعلهم فريقين . فريق صرف ما فضل من الوقت بعد الفرائض الى النوافل ، وفريق صرف مافضل من الوقت بعد الفرائض والسنن إلى اصلاح قلوبهم .

(٨) **الفصل الثامن :** بين المؤلف في هذا الفصل كيف أن أعداء الاسلام قد أدركوا قيمة الوقت .

(٩) **الفصل التاسع :** وفيه تصورات عن فوائد استغلال الوقت ٠

(١٠) **الفصل العاشر:** قدم المؤلف أمثلة من المتحسرين على ضياع أوقاتهم ٠

أما الجزء الثاني : فقد جاء في ستة فصول قصيرة ومقتضبة جاءت على النحو التالي :

(١) مقدمة في السباق : معنى السباق ، أنواع السباق ، نتائج السباق ٠

(٢) رسوم الاشتراك في السباق القلبي : تصور الكاتب أن الذي يريد سباق الصالحين عليه أن يدفع رسوم اشتراك من قلبه ٠

(٣) مفاهيم قبل السباق : كيف تجعل قلبك أسرع القلوب ، إسأل عن الشر ٠

(٤) نماذج من المتسابقين : أورد المؤلف نماذج من سباق الأنبياء ، والصحابة والتابعين والصالحين ٠

(٥) كيف كانت نهاية المتسابقين : حيث أكد الكاتب على النهاية الطيبة والخاتمة الحسنة للصالحين ٠

(٦) قدم المؤلف بعضا من وصايا السلف الصالح في اغتنام الوقت والتزود للآخرة ٠

ويمكن للباحث أن يوضح أن دراسته تختلف عن الدراسات السابقة في الجوانب التالية :ـ

(١) **أهمية الوقت في الإسلام** ، من خلال ما ورد في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة وأقوال السلف الصالح ، فالدراسات السابقة لم تتوسع في هذا الجانب وإنما قدمت إشارات بسيطة ومحدودة ٠

(٢) واقع الناشئة الإسلامية ، فالباحث قام بالوصف والتحليل ، والدراسات السابقة لم تتعرض لهذا الجانب .

(٣) تصور لدور المؤسسات التربوية والإعلامية في معالجة ظاهرة عدم اهتمام الناشئة بالوقت ، وإن الدراسات السابقة لم تتعرض لهذا الجانب لا من قريب ولا من بعيد .

ويؤكد الباحث أن دراسته تفيد من دراسة (القرضاوي) في الجانب المتعلق بأهمية الوقت في الإسلام ، إضافة إلى أنه بذل قصارى جهده في إبراز هذه الأهمية أكثر مما عرض له صاحب الدراسة السابقة من أجل إثراء المعرفة الإسلامية في هذا الجانب .

أما دراسة (ابو غدة) فقد استفاد منها الباحث فيما يتعلق بالنماذ ج من السلف الصالح والعلماء الأفاضل الذين كان لهم دور واضح في تقدير قيمة الوقت ، إضافة إلى أنه عرض نماذ ج أخرى لم تعرض لها الدراسة السابقة ، ووسع كثيرا في هذا الجانب ، وألقى مزيدا من الضوء على تلك النماذ ج العظيمة التي فيها القدوة الحسنة لناشئتنا الحاضرة .

وأما دراسة (نوير) فقد أفادت الباحث في تصور الأسباب التي تؤدي إلى إهدار الوقت وضياعه . ولكن الباحث لم يكتف بما قدمه المؤلف من آفات الوقت وإنما أضاف أسبابا أخرى ـ من خلال تصوره ـ لم تعرض لها الدراسة السابقة .

وجاءت دراسة « **الأحدب** » لترسخ في ذهن الباحث قيمة الوقت وذلك من خلال مايقوله صاحب الدراسة : من أن الوقت أجل وأشرف ما يحصله العقلاء باجماع العلماء ، ومن هنا رأى الباحث أن يطرق هذا الموضوع مبتدئا ببيان قيمته وفضله من وجهة النظر الاسلاميه التى يمثلها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأقوال العلماء • وقد كان لهذه الدراسة السابقة فائدة واضحة في هذا الجانب •

أما الدراسة التى قدمها « **المطوع** » فقد كانت دراسة عامة ذات أسلوب وعظي أفاد منها الباحث في الفصل المتعلق بالنماذج من العلماء الذين كان لهم باع طويل في اغتنام أوقاتهم ، اضافة الى عوائق استغلال الوقت •

ويود الباحث أن يوضح أن تلك الدراسات السابقة ما هي الا معالم على الطريق استنار بها الباحث وهو يقدم دراسته التى جاءت جامعة ومفصلة عن الوقت وقيمته في ماضيه وحاضره عند الأمة الاسلاميه •

الفصل الأول

(الوقت فى الاسلام)

* تمهيد ·

(أ) الوقت فى القرآن ·

(ب) الوقت فى السنة المطهرة ·

(جـ) الوقت فى أقوال السلف الصالح ·

* **تمهيد :**

إن الوقت من النعم العظيمة التي أنعم الله بها على الإنسان ، وأن إدراكه لقيمة الزمن يتوقف على معرفته بالغاية التي خلقه الله من أجلها • وهي عبادة الله وحده وتحقيق الخلافة عن الله في الأرض كما يتبين ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

فالخلافة في الأرض تعني عمرانها ـ قال تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود : ٦١) •

يقول ابن كثير (١٤٠٠ هـ) : « أي جعلكم عمارا تعمرونها وتستغلونها » •
(جـ ٢ ، ص ٤٥٠)

والعمارة تتطلب من الإنسان وقتا ، وجهدا ، ولذلك جاءت شعائر الإسلام ، وآدابه تؤكد على قيمة الوقت ، والاهتمام به ، وتوقظ في الإنسان الوعي لإدراك هذه القيمة عمليا ، وليدرك بذلك قيمة وجوده ووظيفته •

ودراسة الوقت في الإسلام تتطلب الرجوع إلى المصادر الأساسية ممثلة في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، والذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : ((**كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ مابعدكم ، وحكم مابينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذي لاتزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي من تركه من**

جبار قصمه الله ، ومن إبتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، والذكر العظيم ، والصراط المستقيم)) ٠

(الدارمي ـ كتاب فضائل القرآن ، جـ ٢ ، ص ٤٢٥)

فهذا الوصف لكتاب الله الكريم من الرسول العظيم فيه دلالة على أن القرآن الكريم يحتوي على ماينظم حياة المسلم ، ويسعده في دنياه وآخرته ٠ وقد كان للوقت نصيب من هذا حيث وردت الآيات التي تشير إلى قيمته ، وأهميته العظيمة في حياة الإنسان ، وإضافة إلى القرآن هناك السنة المطهرة باعتبارها المصدر الثاني في التشريع الإسلامي ، ولأن صاحبها صلى الله عليه وسلم هو القدوة والمربي الأول الذي لا يقول إلا الحق ٠ قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم : ٣ ـ ٤)٠

والذي يقول عن نفسه : **((أوتيت القرآن ومثله معه))**

(ابن حنبل ، ١٢٧٢ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٢٩)

إنه خير من أدرك قيمة الزمن ، فهو الذي غير وجه التاريخ ، وأخرج أمة جاهلة غافلة لاهية من غفوتها ، وضلالتها إلى الهدى ، ودين الحق ، ورسم لها منهاج حياة تسير على نهجه إلى قيام الساعة ـ إن شاء الله ـ كان ذلك في برهة من الزمن لاتتجاوز ثلاثا وعشرين سنة ، فهو الداعية العظيم ، والمجاهد الكبير ، والمعلم الأول ، فمن يستطيع أن يفعل فعله ، وينجز ما أنجزه صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة الوجيزة من الزمن ؟٠

ثم جاء من بعده أصحابه الذين نهجوا نهجه ، وساروا على خطاه ، ومن بعدهم من التابعين الذين عرفوا قيمة الوقت ، وقدروه حق قدره ٠ فجاهدوا وتعلموا

وعلموا ، وشيدوا حضارة إنسانية عظيمة بقيت زمنا طويلا منبعا للخير والعطاء ، وانطبق عليهم الوصف الرباني في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران : ١١٠)

ومن هذا المنطلق يعرض الباحث صورة من واقعهم الزاهي وجملة من أقوالهم في الوقت ، ووجوب اغتنامه بجانب ماحواه القرآن ، وحملته السنة من تأكيدات عظيمة على هذا الجانب ، لتكون الرؤية واضحة ، والفائدة شاملة في التأكيد على أهمية الوقت ، وتقدير قيمته في الإسلام .

أولا ـ الوقت في القرآن الكريم :

لم يغفل القرآن الكريم الإشارة إلى أهمية الوقت إذ أنه الأساس في حياة المسلم، فمن ضيع وقته فقد ضيع عمره، والآيات الدالة على أهميته كثيرة ويمكن للباحث استعراض ما وفقه الله إلى استنباطه من الكتاب الكريم ٠

أقسم الله سبحانه وتعالى بالوقت، أو بجزء منه، وفي هذا دلالة عظيمة على أهميته وعظيم قدره، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

(العصر : ١ ـ ٢)

يقول ابن كثير (١٤٠٠ هـ) « العصر : الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر » (جـ ٤ ، ص ٥٤٧)

ويقول الشوكاني (د ٠ ت) « أقسم الله بالعصر وهو الدهر لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار، على تقدير الأدوار، وتعاقب الظلام والضياء فإن في ذلك دلالة بيّنة على الصانع عز وجل وعلى توحيده، ويقال لليل عصر، والنهار عصر »

(جـ ٥ ، ص ٤٩١) ٠

والدهر هو الزمن الذي تحصل فيه الأعاجيب كالسراء، والضراء، والصحة والسقم، والغنى، والفقر ٠ والعقل لايقوى أن يحكم على الزمن بالعدم فإنه مجزأ بالسنة، والشهر، واليوم، والساعة، وأجزاء الساعة، ومحكوم عليه بالزيادة، والنقصان، والمطابقة، وكونه ماضيا ومستقبلا ٠ فكيف يكون معدوما ؟ وأن مامضى منه ينتقص عمر الإنسان، فإذا لم يكن في مقابله كسبا صار ذلك النقصان خسرانا ولذلك قال الله تعالى في حق من يهدر وقته ويضيع عمره في العبث واللهو « إن الانسان لفي خسر » (الرازي، ١٤٠٥ هـ) ٠

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ (الليل : ١ ، ٢)

فالليل ، والنهار ماهما إلا الزمان المتعاقب على الإنسان ، وهنا يقسم الله تعالى بالليل إذا يغشى الخليقة بظلامه ، والنهار إذا تجلى بضيائه ، وإشراقه . (ابن كثير ، ١٤٠٠ هـ) ويقول الشوكاني (د . ت) « أخرج الطبراني في الأوسط عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الهاجرة فرفع صوته فقرأ : ﴿ والشمس وضحاها ـ والليل إذا يغشاها ﴾ ـ فقال له أبي بن كعب : يارسول الله أمرت في هذه الصلاة بشيء ؟ قال : لا : ولكن أردت أن أوقت لكم » (جـ ٥ ، ص ٤٥١) .

وكذلك يقسم الله تعالى بالفجر والضحى ، وهما جزءان من الزمن فقال تعالى : ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ﴾ (الفجر : ١ ، ٢)

وقال تعالى : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ (الضحى : ١ ، ٢) والقسم بالفجر تأكيد لأهمية هذا الوقت لما فيه من خشوع القلب في حضرة الرب ، وبالليالي الفاضلة المباركة من شهر ذي الحجة التى من أفضل أيام السنة من حيث عظمة العمل فيها . (الصابوني ، ١٤٠١ هـ) .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ (الشمس : ٣ ، ٤)

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ (التكوير : ١٧ ، ١٨)

أي والليل إذا خيم على الأرض وكساها بظلامه ، فينصرف الناس إلى الدعة والسكون . والصبح إذا تفتح عن الظلام ليدب النور والحركة في الحياة .

(قطب ، ١٤٠٧ هـ)

إن الله لم يقسم بالزمن أو يجزء منه إلا لعظمته وعلو منزلته ، فكيف لايكون عظيما في نفوسنا له قدره ومنزلته الرفيعة ، وقد أشار القرضاوي (١٤٠٨ هـ) إلى الغرض الرباني من القسم بالزمن فقال « ومن المعروف لدى المفسرين ، وفي حس المسلمين أن الله إذا أقسم بشيء من خلقه فذلك ليلفت أنظارهم إليه ، وينبههم إلى جليل منفعته وآثاره » (ص ٥)

ويقول خلدون الأحدب (١٤١٠ هـ) : « وقسمه سبحانه بأجزاء من الزمن تلك كان لفتا للأنظار نحوها لعظيم دلالتها عليه ، ولجليل مااشتملت عليه من منافع ، وآثار » (ص ١٥)

والآيات التي تؤكد على قيمة الزمن كثيرة فلننظر إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف : ٥٤)

ففي الآية السابقة تأكيد على أن الزمن من مخلوقات الله سبحانه مثله مثل السموات والأرض فعلى ذلك لايستطيع الإنسان أن يوقف عجلة دورانه فهو يمر سريعا حثيثا ﴿ يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ﴾ ، ومن أراد أن يغتنم هذا الزمن في عمل صالح فعليه أن يكيف نفسه مع انصرامه ، وتعاقب أيامه ، ولياليه ٠ ويقول تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس : ٣٧ ـ ٤٠)

يقول ابن كثير (١٤٠٠ هـ) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ « أي لا يفوته بوقت يتأخر عنه بل هو في أثره بلا واسطة » (جـ ٢ ، ص ٢٢١)

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١)

إن في اختلاف الليل والنهار فائدة عظيمة لمن أراد أن يغتنم وقتهما في العمل النافع من عبادة الله سبحانه ، والتفكر في هذا الكون الذي من صنع الله ، ومحاولة تسخيره فيما يعود عليه بالنفع لأمر دنياه وآخرته ٠ واختلاف الليل والنهار تعاقبهما ، وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس ، وغروبها ، أو في تفاوتهما بزيادة أحدهما على حساب الآخر ، وذلك باختلاف حال الشمس بالنسبة إلينا بحسب الأزمنة ، أو في تفاوتهما بحسب الأمكنة فإذا كان الوقت صيفا صار النهار أطول من الليل ، والعكس في الشتاء ، وقد يكون عندنا نهار وعند غيرنا ليل بحسب اختلاف موقع المكان بالنسبة للشمس ٠ وأن اختلاف الليل والنهار مع غيره من الآيات دلالة على عظمة الخالق صاحب القدرة التامة الذي لم يخلق شيئا عبثا ٠ وفيه توجيه لأولي الألباب ذوي العقول الخالصة عن شوائب الوهم ، المتدبرين في روائع حكمة الله المودعة في الأنفس ، والآفاق ، المثابرين على مراقبته ، وذكره ٠ (ابوالسعود ، د ٠ ت)

روى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ((**أنه رقد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظ(يعني رسول الله) وتوضأ وهو يقول :﴿ إن في خلق السموات**

والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة ، ثم قام فصلى ركعتين فأطال فيهما القيام . والركوع والسجود ثم انصرف ونام حتى نفخ (*) ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات ، ثم أوتر بثلاث ، فأذن المؤذن فخرج إلى الصلاة ... الحديث)) (مسلم ، ١٣٤٧ هـ ، جـ ٦ ، باب صلاة الرسول ودعائه) .

ويقول سبحانه وتعالى في معرض إمتنانه على عباده وبيان أن الوقت من النعم العظيمة التي أنعم الله على الناس بها ، ويتمثل هذا في تسخير الشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾
(ابراهيم : ٣٣ ، ٣٤)

وفي آية أخرى يقول : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (الفرقان : ٦٢)

يقول الرازي رحمه الله (١٤٠٥ هـ) :

« المعنى جعلهما ذوي خلفة أي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك ، وذاك هذا قال إبن عباس رضي الله عنهما جعل كل واحد يخلف صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه فمن فرط في عمل في أحدهما قضاه في الآخر . قال أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب وقد فاتته قراءة القرآن الكريم بالليل يابن الخطاب لقد أنزل الله فيك آية وتلا : وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر . مافاتك من النوافل بالليل فاقضه في نهارك ومافاتك من النهار فاقضه في ليلك » (جـ ٢٤ ، ص ١٠٦)

(*) نفخ بفمه : أخرج منه الريح (الفيروز آبادي) .

في ضوء ماتقدم من الآيات الكريمات نتبين أهمية الوقت وأنه من أجَلِّ النعم التي يجب على المسلم اغتنامها ، والمحافظة عليها إضافة إلى أن لتنظيم الوقت فائدة كبيرة أشار القرآن إليها في آيات متعددة يجتزئ الباحث منها قوله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ ﴾ (البقرة : ١٨٩)

يقول الصابوني (د ٠ ت) : « أي يسألونك يامحمد عن الهلال لم يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يعظم ويستدير ثم ينقص ويدق حتى يعود كما كان ؟ ﴿ قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ أي فقل لهم إنها أوقات لعبادتكم ، ومعالم تعرفون بها مواعيد الصوم والحج والزكاة » (جـ ١ ، ص ١٢٥) ٠

من هنا تبرز فائدة تنظيم الوقت ، وتسهيل متابعة أيام الشهور ، وحسابها من أجل توخي الدقة في أوقات العبادات كمعرفة هلال شهر رمضان لتحديد أول أيام الصيام ، وهلال آخر الشهر ، وكذا الحال في شهر ذي الحجة ـ يؤيد هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((صوموا لرؤيته فإن غمي (*) عليكم الشهر فعدوا ثلاثين)) (مسلم ، ١٢٤٧ هـ ، جـ ٧ ، ص ١٩٢ ، باب وجوب صيام رمضان لرؤية الهلال)

وقال تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (الأنعام : ٩٦) ٠

فالله سبحانه وتعالى هو الذي يشق الصبح في الظلام وهو الذي جعل الليل للسكون ، وقدر للشمس والقمر حركتهما ودورتهما تقدير هيمنة وعلم وإحاطة

(*) غمي : غم الهلال بالضم فهو مغموم حال دونه غيم رقيق ٠ (الفيروز آبادي ١٣٧١ هـ) ٠

شاملة بحساب دقيق يجري على نمطه حساب الحياة ، ولا مجال للمصادفة العابرة فيه ، تقدير عزيز عليم أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، والذي خلق كل شيء فقدره تقديرا • (سيد قطب ، ١٤٠٧ هـ)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة : ٣٦)

في هذه الآية بيان أن الله سبحانه ، وضع هذه الشهور ، وسماها بأسمائها على هذا الترتيب المعروف يوم خلق السموات والأرض ، وأن هذا هو الذي جاءت به الأنبياء ، ونزلت به الكتب ، وأنه لا اعتبار بما عند العجم من الشهور التي يصطلحون عليها يجعلون بعضها ثلاثين يوما ، أو أكثر ، أو أقل ، ومن هذه الشهور أربعة حرم القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب فهذه الأشهر الإثنا عشر هي التي يجري عليها الحساب • (الشوكاني : د • ت)

ويقول الصابوني (د • ت) « أي أن عدد الشهور المعتد بها عند الله في شرعه وحكمه هي إثنا عشر شهرا على منازل القمر فالمعتد به الشهور القمرية إذ عليها يدور فلك الأحكام الشرعية » (جـ ١ ، ص ٥٢٤) •

وآية أخرى تبين فائدة الوقت وتنظيمه هي قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس : ٥)

يقول سيد قطب (١٤٠٧ هـ) :

« هذان مشهدان بارزان من مشاهد الكون ننساهما لطول الألفة ، ونفقد وقعهما في القلب بطول التكرار ... هذان مشهدان مألوفان مكروران يردنا القرآن إليهما ليثير في مشاعرنا وهلة الجدة ، وليحي في قلوبنا إحساس التطلع الحي ، والتأمل الذي لم يبلده التكرار ، والتيقظ لما في خلقهما ، وطبيعة تكوينهما من التدبير المحكم ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء ﴾ فيها إشتعال ﴿ والقمر نورا ﴾ فيه إنارة ﴿ وقدره منازل ﴾ ينزل في كل ليلة منزلا يكون فيه هيئة خاصة كما هو مشهود في القمر بدون حاجة إلى علوم فلكية لا يدركها إلا المتخصصون ، ﴿ ليعلموا عدد السنين والحساب ﴾ وماتزال المواقيت والمواعيد تضبط بالشمس والقمر لكافة الناس . هل هذا كله عبث ؟ هل هذا كله باطل ؟ هل هذا كله مصادفة ؟ » . (ص ٧٦٥)

إن الإجابة على التساؤلات التي يطرحها قطب في تفسيره للآية السابقة هي بالنفي قطعا ، أي أن الله لم يخلق الشمس والقمر عبثا ، وإنما ذلك تقدير العزيز بحكمته وقدرته ، العليم بمصالح العباد من أجل أن تكون أوقاتهم مضبوطة في حركاتهم ، وسكناتهم ومتطلبات معيشتهم .

وهناك الآيات ذات الدلالة على تنظيم الوقت وأن لكل وقت عمله كقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ (البقرة : ١٩٧) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (النساء : ١٠٣)

يقول ابن كثير (١٤٠٠ هـ) : « قال ابن مسعود : إن للصلاة وقتا كوقت الحج ، وقال زيد بن أسلم « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » قال منجما كلما مضى نجم جاء نجم يعني كلما مضى وقت جاء وقت » .

(جـ ١ ، ص ٥٥٠) .

ويشير القرآن إلى وقت الزكاة بقوله تعالى: ﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

(الأنعام : ١٤١)

قال ابن عباس: « يعني الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيله » .

(ابن كثير ، ١٤٠٠ هـ ، جـ ١ ، ص ١٨١) .

وعلى هذا ينبغي أن يعمل الإنسان العمل المناسب في الوقت المناسب لأن الله سبحانه وتعالى قد وقت لكثير من العبادات والفرائض بمواقيت محددة لا يجوز التقدم عليها ، أو التأخر عنها . (القرضاوي ، ١٤٠٨ هـ) .

إضافة إلى ماتقدم حول تنظيم الوقت في القرآن الكريم تطالعنا هاتان الآيتان الكريمتان: ﴿ وَجَعَلْنَا الَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ (النبأ : ١٠ ، ١١) .

فقد جعل الله الليل للسكنى والراحة من عناء يوم مثقل بالعمل ، والنهار لطلب المعاش والرزق .

ويجب على المسلم أن يغتنم الوقت وأن يسارع في الخيرات من أجل أن يجني ثمرة جهده دنيا وأخرى فلنقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة : ١٤٨)

ويستطرد الحق سبحانه وتعالى في الحث على التسابق في أعمال الخير قبل الرجوع إليه ليوفي كل عامل بما عمل ، فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَىٰكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة : ٤٨) .

يقول أبوالسعود (د ٠ ت) « فاستبقوا الخيرات : أي سارعوا إلى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقة ، والأعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها إنتهازا للفرصة ، وإحرازا لسابقة الفضل » (جـ ٢ ، ص ٤٦) ٠

وآية أخرى كريمة شبيهة بسابقتها يأمر الله عباده فيها إلى المسارعة في طلب المغفرة وإلى نعيم الآخرة : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٣).

وقوله تعالى : ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الحديد : ٢١) .

يقول الشوكاني (د٠ ت) « أي سارعوا مسارعة السابقين بالأعمال الصالحة التى توجب المغفرة لكم من ربكم ، وتوبوا مما وقع منكم من المعاصي »٠ (جـ ٥ ، ص ١٧٥) ٠ فالمسارعة في العمل لا تتأتى إلا باغتنام الأوقات ، والحرص على العمل الصالح فيها ، ولذلك يقول تعالى :

﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (المطففين : ٢٦)

إنه توجيه عظيم يلفت نظر أهل الأرض ، وقلوبهم إلى ماوراء رقعة الأرض الصغيرة ، وهم يقومون بأمر الخلافة فيها ٠٠ توجيه إلى عمل الآخرة الذي يليق بالخلود ، فعمر الإنسان في الدنيا قصير ، وعليه أن يغتنم عمره الدنيوي في عمل يكسبه من أجل منافسة عظيمة مع الأبرار إلى ذلك النعيم المقيم ٠

(سيد قطب ، ١٤٠٧ هـ) ٠

ويمتدح الله سبحانه وتعالى أولئك الذين لا يضيعون أوقاتهم هدرا ، ويغتنمون فرصة العمر في تحقيق عمل صالح فيقول : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (الأنبياء : ٩٠) ·

يقول أبوالسعود (ـ · ت) : « كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير » (جـ ٦ ، ص ٨٢) · وقال تعالى في مدح الصالحين من أهل الكتاب بأنهم : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(آل عمران : ١١٣ ، ١١٤) ·

يقول ابن كثير (١٤٠٠ هـ)

> « أي لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب ، وهؤلاء الذين أسلموا ، ولهذا قال تعالى ﴿ ليسوا سواء ﴾ أي ليسوا كلهم على حد سواء بل منهم المؤمن ، ومنهم المجرم ولهذا قال تعالى ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ أي قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه متبعة نبي الله قائمة يعني مستقيمة ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ أي يقيمون الليل ويكثرون التهجد ويتلون القرآن في صلواتهم »
>
> (جـ ١ ، ص ٣٩٧) ·

وبجانب إمتداح القرآن الكريم لأهل الفضل والمسارعة في عمل الخير ، فهو يعيب على أولئك الذين يضيعون أعمارهم ، وأوقاتهم في اللهو واللعب ، ولا يستفيدون من فرصة العمر التي باغتنامها يتحقق لهم منزلة عظيمة في يوم لا ينفع فيه الندم على مافات بل إن القرآن الكريم يتهدد ويتوعد هذا الصنف من الناس بأن هناك موعدا ينتظرهم ، قال تعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾

(المعارج : ٤٢) ·

فالخطاب موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يأمره الله أن يتركهم يخوضوا في دنياهم ، ويضيعوها لعبا ولهوا حتى يلاقوا ماحصدوه من شرور وآثام في ذلك اليوم العصيب الرهيب (ابن كثير ، ١٤٠٠ هـ) • وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ (الجن : ٢٤) • ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ (النبأ : ٤٠) •

فما أعظمها من خسارة !! ، وما أحقرها من أمنية للكافر الذي لم يؤمن ولم يغتنم حياته في تحقيق ما أراد الله منه !! ويقول تعالى :

﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ (الذاريات : ١٠ ، ١١) •

يقول ابن كثير (١٤٠٠ هـ) :

« قال مجاهد : الكذابون قال : وهي مثل التى في عبس ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ والخراصون الذين يقولون لا نبعث ولا يوقنون وقال علي بن أبي طلحة عن إبن عباس رضي الله عنهما ﴿ قتل الخراصون أي لعن المرتابون وقال قتادة : الخراصون أهل الغرة والظنون وقوله تبارك وتعالى ﴿ الذين هم في غمرة ساهون ﴾ قال إبن عباس وغير واحد في الكفر والشك غافلون لاهون » (جـ ٤ ، ص ٢٢٢) •

وقال تعالى متوعدا المكذبين الذين يعيشون حياة العبث ، والاستهتار :

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾ (الطور : ١١ ، ١٢) •

وقال تعالى ﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ (الدخان : ٩) •

يقول الشوكاني (د ٠ ت) : « أضرب عن كونهم موقنين إلى كونهم في شك من التوحيد والبعث ، وفي إقرارهم بأن الله خالقهم ، وخالق سائر المخلوقات ، وأن ذلك منهم على طريقة اللعب والهزو » (جـ ٤ ، ص ٥٧١) ٠

وهناك الآيات التي تلفت نظر الإنسان المسلم إلى اغتنام الوقت في أعمال البر والخير بحيث لاينشغل بأمور الدنيا ومتاعها وزخرفها فقط وينسى العمل للآخرة والاستعداد ليوم الحساب فقد قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(المنافقون : ٩ ، ١٠) ٠

في الآية السابقة نهي بعدم الإنشغال بالأموال والأولاد عن فرائض الله ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ أي من ألهاه ماله وولده عن ذكر الله ﴿ فأولئك هم الخاسرون ﴾ في تجارتهم حيث باعوا الشريف الباقي بالخسيس الفاني ، وفي الآية أمر من الله بالإنفاق ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم ﴾ يريد زكاة المال ﴿ من قبل أن يأتي أحدكم الموت ﴾ وهي علاماته ودلائله فيسأل الرجعة إلى الدنيا ﴿ رب لولا أخرتني إلى أجل قريب ﴾ أي هلا أمهلتني وزدت في عمري حتى أتصدق ولكن هيهات له أن يرجع فإذا انقطع الأجل فلا ينفع عمل ٠ **(الرازي : ١٤٠٥ هـ) ٠**

إن الوقت هو أنفس ما يملكه الإنسان ومن جهل قيمته وقدره فسيأتي عليه حين يعرف قدره ونفاسته ، وساعتئذ يندم حيث لاينفع الندم في ساعة الاحتضار حين يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة ويتمنى لو منح مهلة من الزمن ليصلح ما أفسد ويتدارك مافات من قصور وضياع ولكن الرد يأتي مانعا وقاطعا على تلك الأمنية الفارغة فيقول تعالى :

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون : ١١)

وموقف آخر يمر به الإنسان الذي أهدر وقته وضيع عمره ذلك الموقف حينما يأتي الحساب ويفضي كل إلى ماقدم حيث انتهى زمن العمل وجاء وقت الجزاء وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ (الفرقان : ٢٧ ، ٢٨) ٠

فما أعظمه من موقف على من ضيع عمره ، ولم يغتنم وقته في عمل صالح يدخره لذلك الموقف الرهيب ! حين يعض المفرط في العمل الصالح ، المضيع للوقت أصابعه بأسنانه ندامة على ماذهب من وقته عبثا ، وأسفا على عدم طاعته لله ورسوله ٠ ثم هو يدعو بالويل والثبور على حظه العاثر ويتمنى لو كانت صحبته في الدنيا مع المتقين الأخيار بدلا من صحبته مع الأشرار تلك الصحبة الفاسدة التي ضيعت عليه وقته ٠

ويقول الله تعالى مؤكدا على أن الدنيا للعمل ، والآخرة للحصاد والجزاء ، وأن من فرط في العمل الصالح في زمن الدنيا فلن يكون له حجة في الآخرة وأن مصيره إلى

النار : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (فاطر : ٣٦ ، ٣٧) ٠

إن حجة المفرطين قد انقطعت ، ولم يعد لهم عذر ، لأن الله قد أمد في أعمارهم مايكفي لاكتساب الثواب ، والقيام بأمر الله وطاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وحذر منه ، ولهذا كان السؤال التقريعي الذي لم يجدوا له جوابا ﴿ أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾ (القرضاوي ، ١٤٠٨ هـ ، ص ١٢) ٠

إن الحكمة من الخلق واضحة جلية فهي تحقيق العبودية الكاملة لله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦) ، وعمران الأرض الذي يحقق واجب الخلافة عن الله فيها ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة : ٣٠) ، ولا يتم الاستخلاف إلا بالعمل الدؤوب ، واغتنام الوقت الذي قدره الله لعمر الإنسان ٠ ويزداد الأمر وضوحا حينما نقف عند قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون : ١١٥) ٠

يقول ابن كثير (١٤٠٠ هـ) :

« أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا ، وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وإنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل ﴿ وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ أي لا تعودون في الدار الآخرة كما قال تعالى ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ يعني هملا » ٠ (جـ ٢ ، ص ٢٥٦) ٠

وهكذا يتبين لنا أن القرآن الكريم مليء بالآيات التي تحث على المسارعة في الأعمال الطيبة ، والمنافسة في اكتساب الأجر والثواب ، إضافة إلى تلك الآيات التي تدل على الأوقات الفاضلة ، وتحري العمل فيها كما في قوله تعالى :

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات : ١٧ ، ١٨)

يقول ابن كثير (١٤٠٠ هـ) « قال الحسن البصري : كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله ونشطوا ومدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر » (جـ ٤ ، ص ٢٢) • وفي الآية دليل واضح على أنه سبحانه قد فضل هذا الوقت للعبادة على سائره من الأوقات ، وهو الثلث الأخير من الليل حيث يتجلى الله على عباده الساهرين في جنح الليل والناس نيام ، الذين يدعون ربهم خوفا وطمعا كما قال الله تعالى في وصفهم : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (السجدة : ١٦)

ويوجه الله رسوله الكريم إلى المثابرة على قيام الليل ، والصلاة النافلة وقراءة القرآن فيقول : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (الإسراء : ٧٩) •

ومن الأوقات الفاضلة من بين أيام الأسبوع يوم الجمعة الذي جعله الله عيدا أسبوعيا للمسلمين ، وفيه ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله شيئا إلا استجاب له • وقد ورد ذكره في القرآن الكريم : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الجمعة : ٩)

ويستطرد الحق سبحانه في التأكيد على أهمية الوقت والحرص على العمل الديني والدنيوي ، فيقول تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الجمعة : ١٠)

يقول سيد قطب (١٤٠٧ هـ) :

«والآية الأولى في هذا المقطع تأمر المسلمين أن يتركوا البيع وسائر نشاطات المعاش بمجرد سماعهم للأذان وترغبهم في هذا الإنخلاع من شئون المعاش والدخول في الذكر في هذا الوقت مما يوحي بأن الإنخلاع من شئون التجارة والمعاش كان يقتضي هذا الترغيب والتحبيب وهو في هذا الوقت ذاته تعليم دائم للنفوس فلا بد من فترات ينخلع فيها القلب من شواغل المعاش وجواذب الأرض ليخلو الى ربه ويتجرد لذكره ، ويتذوق هذا الطعم الخاص للتجرد والإتصال بالملأ الأعلى ويملأ قلبه وصدره من ذلك الهواء النقي الخالص العطر ويستروح شذاه ! ثم يعود إلى مشاغل العيش مع ذكر الله وهذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي ٠ التوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض من عمل وكد ونشاط وكسب وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو وانقطاع القلب وتجرده للذكر» (ص ٣٥٩٦)

ومن بين شهور السنة شهر عظيم ، كما كان يوم الجمعة بين أيام الأسبوع وهو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الكريم ، والذي أمرنا الله بصيامه وقيامه ، والذي يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في فضله : ((**إذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين**))

(مسلم ، ١٢٤٧ هـ ، جـ ٧ ص ١٨٧ ، باب فضل رمضان - كتاب الصيام)

وقد قال تعالى في وجوب تحري شهر رمضان وصومه : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (البقرة : ١٨٥)

يقول ابن كثير (١٤٠٠ هـ) : « يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم » (جـ ١ ، ص ٢١٥).

وفي شهر رمضان ليلة مباركة عظيمة ، وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر كما يقرر ذلك القرآن .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾

(القدر : ١ - ٥).

إن اغتنام هذه الليلة بعد الاجتهاد في طلبها ومصادفتها تعدل العبادة فيها عبادة ألف شهر فيما سواها ، ولن يصادفها إلا من كان حريصا على القيام والسهر في عبادة الله وطاعته .

ويقول تعالى في وصفها بالخير والبركة :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (الدخان : ٣)

ويقرر سبحانه وتعالى بأنها الليلة التي تقدر فيها الأقدار وتصرف فيها الأمور والأحكام : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (الدخان : ٤).

وهي ليلة العظمة والشرف فمن أصابها فقد أصاب خيرا كثيرا ومن إغتنم وقتها كان ذا قدر وشرف عند الله سبحانه (الرازي ، ١٤٠٥ هـ) ٠

ومن الأوقات الفاضلة في كل سنة موسم الحج الذي لم يغفله القرآن بل أشاد بفضله ، وعظمة ثوابه في آيات متعددة نأخذ منها قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(آل عمران : ٩٧)

وقوله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾

(الحج : ٢٧ ، ٢٨)

يقول سيد قطب (١٤٠٧ هـ) :

« والمنافع التي يشهدها الحجيج كثير ، فالحج موسم ومؤتمر الحج موسم تجارة وموسم عبادة والحج مؤتمر إجتماع وتعارف ومؤتمر تنسيق وتعاون ، وهو الفريضة التي تلتقي فيها ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة ٠٠٠ أصحاب السلع والتجارة يجدون في موسم الحج سوقا رائجة حيث تجبى إلى البلد الحرام ثمرات كل شيء ٠٠٠ من أطراف الأرض ويقدم الحجيج من كل فج وقطر ومعهم من خيرات بلادهم ماتفرق في أرجاء الأرض في شتى المواسم يتجمع كله في البلد الحرام في موسم واحد ٠ فهو معرض تجارة ، ومعرض نتاج وسوق عالمية تقام في كل عام » (ص ٢٤١٨ ، ٢٤١٩) ٠

فهكذا القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه حجة الله البالغة على عباده ، مليء بالآيات البينات التي تنظم حياة الناس في عبادتهم ،

ويقول تعالى ناهيا عن اتباع سبيل الغافلين الذين لايدركون قيمة حياتهم :

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾

(الكهف : ٢٨)

نعوذ بالله العظيم أن نكون كذلك مفرطين غافلين ، فإن الغفلة مرض يصيب القلب والعقل والحواس حيث يفقد الإنسان القدرة والوعي لأهمية الوقت والحياة وكر الليالي والأيام .

ثانيا ـ الوقت في السنة المطهرة :

السنة المطهرة المصدر الثاني ـ بعد القرآن الكريم ـ من مصادر التشريع الاسلامي ، وقد جاءت تحمل الكثير عن الوقت وأهميته سواء ماكان منها أفعال للمصطفى صلى الله عليه وسلم يبدو فيها حرصه على الوقت واغتنامه ليقتدي به من أراد أن يكون له فيه أسوة حسنة ، أو ما كان من أقواله صلى الله عليه وسلم التي يحث فيها على المسلك والنهج القويم من أجل سعادة المسلمين في الدنيا والآخرة ٠

وما من شك في أن الرسول هو المعلم الأول لأمة الإسلام ، وهو القدوة الحسنة التي أرادها الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب : ٢١) ٠

إنه لا ينطق عن الهوى فكل ما قاله وفعله وحي من الله :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم : ٣ ، ٤) ٠

روى عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال له حينما سأله عن تدوين الحديث : ((**أكتب فوالذي نفسي بيده ماخرج مني إلا الحق**)) (ابن كثير ، ١٤٠٠ هـ ، جـ ٤ ، ص ٢٤٧) ٠

والباحث يكتفي بعرض بعض الأحاديث ذات الدلالة على أهمية الوقت في حياة المسلم الذي ينشد النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة ، فما أحوج شباب الأمة الإسلامية في حاضرهم إلى التبصير بقيمة الوقت وحسن استغلاله من أجل إعادة بناء أمة الإسلام ذات المجد والشرف الرفيع ، والشباب أمل الأمة بما لهم من قوة ،

ونشاط ، وحيوية ٠ يصور لنا هذا ما كان يتمناه الشاعر العربي حينما وهنت قواه ، ودبت فيه الشيخوخة فيقول :

ليت وليت ينفع شيئا ليت ليت شبابا بوع فاشتريت

(ابن عقيل ، ١٤٨٤ هـ ، ص ٥٠٢)

ومن أجل التأكيد على أهمية الوقت في حياة المسلم ، وأن الإسلام دين العمل والمثابرة ، والحياة الكريمة ، يلقي الباحث الضوء على بعض من أفعال الرسول الكريم لأنه المثل الأعلى ، والقدوة الحسنة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا فمن فعله صلى الله عليه وسلم الذي يظهر فيه حرصه على اغتنام الوقت مارواه المغيرة بن شعبة حيث قال : ((**قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال : أفلا أكون عبدا شكورا**))(١) (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، جـ ٦، كتاب التفسير رقم ١٢٦٢) ٠ ومن اجتهاده في العبادة وقيام الليل ماروا ه عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : ((**صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء ، قلنا : وما هممت ٠ قال : هممت أن أقعد وأذر النبي صلى الله عليه وسلم**)) (البخاري ، جـ ٢ ، ١٤٠٧ هـ ـ كتاب التهجد رقم ١٠٦٠) (٢) ٠

---

(١) متفق عليه : رواه مسلم في كتاب صفة القيامة ، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، جـ ١٧ ص ١٦٢ ٠

(١) متفق عليه : رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب إستحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ، جـ ٦ ، ص ٦٣ ٠

ومن أقواله صلى الله عليه وسلم : **((لاتزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسئل عن خمس : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وماله من أين إكتسبه ، وفيم أنفقه ، وماذا عمل فيما علم)) (١)** (الترمذي ـ كتاب صفة القيامة ـ رقم ٢٤١٦) ، وهكذا يسأل الانسان عن عمره عامة ، وعن شبابه خاصة الذي هو جزء من العمر وذلك بإعتباره سن الحيوية والقوة والعزيمة الماضية التي بين ضعف الطفولة ، وضعف الشيخوخة ، فكيف به إذا سئل عن ذلك ؟ ماذا يقول المفرط ؟ وبما يجيب ؟ (القرضاوي ، ١٤٠٨ هـ) ٠

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((أعذر الله إلى إمرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنه)) ٠**
(البخاري ـ كتاب الرقاق ، ١٤٠٧ هـ ، جـ ٨ ، رقم ١٢٨٦) ٠

يقول العسقلاني (١٤٠٧ هـ) :

« الاعذار : إزالة العذر والمعنى أنه لم يبق له إعتذار كأن يقول لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به ٠ يقال أعذر إليه : إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكنه منه ، وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة ، والاقبال على الآخرة بالكلية ، ونسبة الاعذار الى الله مجازية ، والمعنى أنه لم يترك للعبد سببا في الاعتذار يتمسك به ، والحاصل أنه لا يعاقب إلا بعد حجة » (جـ ١١ ص ٢٠٤) ٠

---

(١) قال الترمذي ـ حديث حسن صحيح ٠
رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح ٠

ومعنى أعذر الله « أي أزال عذره ولم يبق له موضعا للاعتذار ، إذ أمهله طول هذه المدة المديدة من العمر » (ابو غدة ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٥) ٠

وقد قال الرسول منوها بأن أعمار أمته قصيرة : **((عمر أمتي من ستين إلى سبعين سنة))** (الترمذي _ كتاب الزهد رقم ٢٢٢١)(١) ٠

فيجب على المسلم أن يحرص على عمره وأن لا يبدده في غير منفعة ، ويغتنم صحته قبل مرضه ، وشبابه قبل شيخوخته في عمل طيب من تعلم علم ، أو كسب مال حلال ، أو عدل في رعية ، وتقوى تجانبها الشرور ، والآثام ٠ ففي الحديث :

((إغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك)) (الحاكم ، ١٣٤٢ هـ _ كتاب الرقائق) ٠ وقال عليه الصلاة والسلام : **((بادروا بالأعمال سبعا : هل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هرما مفندا ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال ؟ فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر))** (الترمذي _ كتاب الزهد ٢٢٠٦)(٢) ٠

---

(١) قال الترمذي « حديث حسن غريب » ٠

(٢) قال الترمذي « حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث محرز بن هارون » ٠

فماذا بعد ذلك ؟ إن العاقل الحصيف هو الذي يدرك المعاني العظيمة التي تحملها هذه الأحاديث الشريفة ، ويحاول جاهدا أن يكون من الذين يستمعون الذكر فيتبعون أحسنه ، ولعمري أنه أحسن كلام وأنفعه .

« قال بعض الحكماء : الأسنان (١) أربعة : سن الطفولية ثم الشباب ، ثم الكهولة ثم الشيخوخة ، وهي آخر الأسنان وغالب ماتكون الستين والسبعين فحينئذ يظهر بالنقص ضعف القوة ، والإنحطاط فينبغي له الإقبال على الآخرة لاستحالة رجوعه للحالة الأولى من القوة والنشاط » (المناوي ، ١٢٥٧ هـ ، جـ ٢ ، ص ١١) .

إن نعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى فمن أجَلّ نعمة الصحة في البدن ، ومن أرجأ العمل وقت الصحة إلى حين السقم ، وانتظر المعوقات التي تشغل عن عبادة الله والقيام بأمره ، فقد خسر فرصة حياته ، وأصبح مغبونا فيها . ويشير إلى هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**)) (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، الرقائق ، جـ ٨ ، رقم ١٢٧٩) .

يقول ابن حجر العسقلاني (١٤٠٧ هـ) : « فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ، ومن استعملها في معصية فهو المغبون لأن الفراغ تعقبه الشغل ، والصحة يعقبها السقم » (جـ ١١ ، ص ٢٢٤) ، ويقول القرضاوي (١٤٠٨ هـ) : « يقصد بالفراغ الخلو من المشاغل ، والمعوقات الدنيوية ، المانعة للمرء من حيث الاشتغال بالأمور

---

(١) الأسنان : أي الأعمار .

الأخروية ، ولا ينافي ماجاءت به النصوص الكثيرة من حث على الكسب ، وطلب المعاش ، مادام ذلك لا يغرقه في لجة الحياة ومطالبها ، ولا يعطله عن القيام بحق الله عز وجل » (ص ١٥) ٠

ويفهم الباحث من الحديث الشريف أن الصحة والفراغ سلعتان غاليتان يجب على المسلم أن يستثمرهما في طاعة الله عز وجل ، ويغتنم وقتهما ويملأهما بالعمل المفيد لدنياه وآخرته ، فمن يفعل ذلك فقد ربح في تجارته ، أما من انتظر المعوقات التي يجلبها الزمن من سقم في الصحة ، وشغل دائم ليس معه عبادة فقد خسر بيعه ، وكان هو المغبون الذي عناه الرسول الكريم حين قال : ((**مغبون فيهما كثير من الناس**)) فمتى يشعر الإنسان بالغبن ؟ إنه يشعر به حين يريد أن يعمل صالحا ولكنه لايستطيع لمعوق نزل به ، وساعتها يندم على مافات من عمره سدى ، ويتمنى لو يعود له شبابه ، وعافيته ولكن هيهات له ذلك ؟ ومن هنا كان للوقت قيمته ونفاسته وأن مامضى منه لايعود ، ومن أمضى شبابه لهوا ، ولعبا فهو المغبون حقا لأنه أتبع نفسه هواها ، وكان وقته فارغا من الخير والعمل الصالح ، فمن الفراغ تكون الصبوة ٠
كما يقول الشاعر الحكيم :

لقد هاج الفراغ عليك شغلا   وأسباب البلاء من الفراغ (المناوي ، ١٢٥٧ هـ)

ويبين الرسول الكريم أن العاقل الحكيم هو من إكتسب أجله ، وفرصة عمره في الأعمال الصالحة المفضية به إلى السعادة بعد موته حين لا ينفع مال ، ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأن العاجز هو من خسر حياته ، وضيع وقت عمره في

الآمال والأماني ، والتسويف ، حتى داهمه الموت وهو لم يقدم خيرا • ويقول عليه السلام في هذا المعنى : ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله))(١) (البيهقي ـ كتاب الجنائز ـ باب ماينبغي لكل مسلم من قصر الأمل والإستعداد للموت) إنه من الحمق والسفه الاعتماد على عفو الله ومغفرته بدون عمل صالح كما يقول بعض الصالحين « طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ، وارتجاء الشفاعة بلا اتباع للسنة نوع من الغرور ، وارتجاء رحمة الله مع المعاصي حمق وجهل » (القرضاوي ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٤٤) •

وفي حديث آخر ذو دلالة على اغتنام الوقت ، والحث على عمل الدنيا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((إن الله يحب العبد المؤمن المحترف)) (الطبراني في الأوسط ، ١٦٢ وفي الكبير برقم ١٢٢٠) فالمحترف هو المتكلف في طلب المعاش في صناعة ، أو زراعة ، أو تجارة ، الأخذ بالأسباب ، فإن الإنسان إذا تعطل عن العمل كان فارغا في جسمه ، وقلبه الذي يصبح مأوى للشيطان يبيض فيه ويفرخ • ومن هنا قيل : الفراغ للرجال غفلة ، وللنساء غلمه • ومن لم ينفع نفسه في اكتساب الرزق ، وينفع غيره بحرفة يعلمها ويعملها فلا خير فيه ، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل عن الرجل يعجبه : أله حرفة ؟ فإذا قيل له : لا • سقط من عينه • (المناوي ، ١٢٥٧ هـ) •

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك • وقال حديث صحيح على شرط البخاري •

ومن الأحاديث التي تدل على شرف الزمان ، وعلو منزلته ـ حتى في أصعب المواقف وأكثرها هولا ـ ماقاله عليه الصلاة والسلام : ((**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة ، فإن إستطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل**)) (١) .

(ابن حنبل ، ١٢٧٢ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٩١) .

يتساءل القرضاوي (١٤٠٨ هـ) فيقول : لماذا الغرس في هذه اللحظة ؟ فيجيب على تساؤله فيقول :

> « إنه تكريم للعمل ، لذات العمل ، إنتفع بثمراته أحد أم لم ينتفع ، وإشعار بأن الإنسان لايدع عمارة الأرض ، والإنتاج للحياة ، ولا يكف عن العمل ، والعطاء مادامت الحياة قائمة ، وأنه لا يجوز أن يعيش بغير عمل لحظة من الدهر ، وإن كان إسرافيل قد أمسك بالصور لينفخ فيه ، ويتهدم بعدها سرادق الحياة كلها .
>
> إن غرس الفسيلة في مثل هذا الموقف يمثل القيام بحق الوقت الحاضر حق اللحظة الواقعة بغض النظر عن الماضي ، أو المستقبل » (ص ٥٢) .

ولقد أجاب الرسول الكريم حين سئل ـ أي الناس أفضل ؟ فقال : ((**من طال عمره ، وحسن عمله**)) (٢) (الترمذي ـ كتاب الزهد ، رقم ٢٢٢٩) .

ففي الحديث دلالة على أن الإنسان لم يخلق عبثا ، وإنما خلق لطاعة الله سبحانه وأن العمر المديد ما هو إلا نعمة من الله يجدر بالعاقل أن يستثمره ويحاسب نفسه على ما فرط ، ويصلح ما فسد من عمله في صباه .

---

(١) قال المناوي في فيض القدير « رواه البخاري في الأدب وكذا البزار والطيالسي والديلمي (عن أنس) قال الهيثمي ورجاله ثقات وأثبات .

(٢) قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وروى أبو هـريرة رضي الله عنه أن الرسـول صلى الله عليه وسلم قال :
((**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل**)) ٠ (النسائي ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٤٠٢) ٠

يعلق فاروق حمادة (١٤٠٦ هـ) فيقول : « في هذا الحديث يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نتخذ ما في الإستطاعة لأداء العمل ، وبلوغ الغاية ، فإن حُقِّقت فالحمد لله ، وإن لم تُحقَّق فلا بأس ، ولا تقاعس بل تقدير الله وإرادته ، والنهي عن اللَّـو ، إبعاد لليأس ، وتشجيع للمحاولة من جديد » (ص ٤٠٢) ٠

ويرى الباحث أن الحديث السابق يحث على اغتنام الوقت وإنتهابه في كل عمل يعود على المسلم بالنفع ، وأن الكسل ، والتقاعس مضيعة للوقت مدعاة للعجز عن العمل ٠

وكما أن القرآن الكريم يؤكد على أداء الشعائر الدينية في أوقاتها ، كذلك السنة المطهرة ، فقد جاءت الأحاديث التي يقف الباحث عند بعضها تؤكد على وقت الصلاة المكتوبة ، وعدم تأخيرها عن أوقاتها ٠ فقد روى أبو ذر رضي الله عنه قال :
((**إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان مجدع الأطراف** ، وأن أصلي الصلاة لوقتها ، فإن أدركت القوم وقد صلوا كنت قد أحرزت صلاتك وإلا كانت لك نافلة))

(مسلم ، ١٣٤٧ هـ ، جـ ٥ ، ص ١٤٩ ، باب كراهة تأخير الصلاة) ٠

يقول النووي (١٣٤٧ هـ) في شرح ذلك « معناه صلِّ في أول الوقت وتصرف في شغلك ، فإن صادفتهم بعد ذلك ـ يعني الجماعة ـ وقد صلوا أجزأتك صلاتك ، وإن أدركت الصلاة معهم فصلِّ وتكون هذه الثانية نافلة » (ص ١٤٩)

وحديث آخر يبين عظم العقوبة لمن يؤخر الصلاة عن وقتها ، فقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ فقال : ((**هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها**))
(البيهقي ـ كتاب الصلاة ـ باب الترغيب في حفظ وقت الصلاة) .

ومن التوجيهات النبوية الكريمة حول فضائل الأوقات ، والحث على عمل الخير فيها مارواه جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((**إن في الليل لساعة لايوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة**)) (مسلم ١٣٤٧ هـ ، جـ ٦ ، باب صلاة الليل) .

في هذا الحديث إثبات لساعة الإجابة بأنها في كل ليلة ، ويتضمن الحث على قيام الليل ، والدعاء في جميع ساعاته رجاء مصادفتها ، وقد جزم الغزالى بأنها مبهمة وليس لها وقت معين . (المناوي ، ١٢٥٧ هـ) .

وفي إشارة من الرسول الكريم إلى أهمية قيام الليل ، وذلك حينما امتدح عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فقال : ((**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**)) (١) (البخارى ، ١٤٠٧ هـ ، جـ ٢ ، كتاب التهجد ، رقم ١٠٤٦) .

---

(١) متفق عليه . رواه مسلم في فضائل الصحابة ، جـ ١٦ ، ص ٣٩ .

ومن أجل الإستزادة من الخير ، واغتنام الوقت يقول أبو هريرة : ((**أوصاني خليلي محمد صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام**)) (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، ومسلم في صلاة الضحى) ٠

إن الإلتزام من المسلم بما تؤكد عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه دلالة قوية على أنه من أولئك الذين يقدرون الوقت حق قدره ، ولا يضيعونه عبثا ، أليس من اغتسل يوم الجمعة ثم تطيب ـ إن كان يجده ـ ثم بادر بالخروج من بيته قاصدا المسجد انتظارا للصلاة ممن للوقت أهمية في نفوسهم ؟ بلى والدليل على ذلك ماورد عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال :

((**إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر ، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي البدنة ثم كالذي يهدي بقرة ثم كالذي يهدي الكبش ثم كالذي يهدي الدجاجة ثم كالذي يهدي البيضة**))

(مسلم ، ١٢٤٧ هـ ، جـ ٦ ، ص ١٤٥ ، فصل التهجير يوم الجمعة) ٠

ويستدل الباحث من خلال هذا الحديث على أهمية المبادرة ، وإنجاز العمل المطلوب في وقته سواء كان عملا دينيا أو دنيويا لأن التسويف والتأجيل يذهب بفرصة النجاح المرتقبة فليس السابق كاللاحق في الفضل والأجر ٠

ولم تغفل السنة النبوية فضل رمضان ، وما فيه من الخير العظيم إذ يقول الرسول منوها بعظيم فضله لمن اجتهد في العبادة فيه : **((من قامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))** (البخاري ، ١٤٠٧ هـ جـ ٢ صلاة التراويح رقم ٢٦٤) وفيه ليلة القدر في العشر الأواخر منه ، والتي يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيها : **((تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان))** (البخاري ١٤٠٧ هـ جـ ٢ كتاب فضل ليلة القدر رقم ٢٧٢) . إنه ترغيب من رسولنا الكريم على انتظار هذه الليلة التي غيبها الله عن المسلمين من أجل أن يستكثروا من عمل الخير في تلك العشر الفاضلة من رمضان ، فمن أصابها فقد أصاب خيرا كثيرا ، فإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي غفر الله له ذنبه ما تقدم منه ، وما تأخر ، أشد ما يكون عبادة واجتهادا في رمضان ، وخصوصا عشره الأواخر ، فكيف بنا ؟ ونحن في أمس الحاجة إلى عفو الله ومغفرته ، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها :

((أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره (*) وأحيا ليله وأيقظ أهله)) (البخاري ، ١٤٠٧ هـ جـ ٢ كتاب فضل ليلة القدر رقم ٢٧٨)

ويستحب الصوم في غير رمضان ، فهناك أيام لصيامها فضل كبير ، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

((من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر))

(مسلم ، ١٢٤٧ هـ جـ ٨ ص ٥٦ ، استحباب صيام ست من شوال)

(*) شد مئزره : فيه كناية عن الاجتهاد في العبادة وقيام الليل .

أما صيام عاشوراء فهو سنة مؤكدة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

((**قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال ماهذا ، قالوا هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى قال : فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه**)) ٠

(البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، جـ ٢ ـ كتاب الصوم رقم ٢٦٠) ٠

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : ((**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما**)) (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، جـ ٢ ـ كتاب التهجد رقم ١٠٥٥) ٠

يقول المناوي (١٣٥٧ هـ) : « فهذا أفضل من صوم الدهر لأنه أشق على النفس ، وربما فوت بعض الحقوق ، هذا ما في فطر يوم من الرفق بالبدن ، وعدم إنهاكه ، وذكر بعض الشافعية أن من فعله فوافق فطره يوما يسن صومه كالإثنين ، والخميس يكون فطره فيه أفضل ليتم له فطر يوم وصوم يوم » (جـ ٢ ، ص ٤٢) ٠

وفي فضل موسم الحج ، وزيارة المشاعر المقدسة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينها ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**)) ٠

(مسلم ، ١٢٤٧ هـ ، جـ ٩ ، ص ١١٧ ، فضل الحج والعمرة) ٠

يقول النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٣٤٧ هـ) : « وأعلم أن جميع السَّنَة وقت للعمرة ، فتصح في كل وقت منها إلا في حق من هو متلبس بالحج فلا يصح إعتماره

حتى يفرغ من الحج ... ((**والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**)) الأصح الأشهر أن المبرور هو الذي لايخالطه إثم مأخوذ من البر وهو الطاعة » (ص ١١٨ ، ١١٩) .

ويوم عرفة التاسع من ذي الحجة الذي يتساوى فيه الحجاج أمام خالقهم على صعيد واحد ، فعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ((**مامن يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وأنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء**)) (مسلم ، ١٣٤٧ هـ ، جـ ٩ ، ص ١١٧ ، فضل يوم عرفة) . فهو يوم عظيم الفضل تتنزل فيه الرحمة ، والكرامة ، فإذا كان يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع فيوم عرفة أفضل أيام السنة . (النووي ، ١٣٤٧ هـ) .

وتؤكد السنة النبوية على فضل الجهاد في سبيل الله فهو من أعلى مراتب الدين ، فمن يكون مجاهدا في سبيل الله فهو في شغل دائم لاينصرف إلى الفراغ المذموم ، وفي فضله والحث عليه ما جاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا ومافيها**)) (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، جـ ٤ ، كتاب الجهاد رقم ٩٨٨) ، وليس الجهاد مقصورا على المرابطة في سبيل الله ، وقتال العدو ، ولكن الجهاد يشمل مجاهدة النفس ، ومغالبتها على تعلم الهدى ، ودين الحق ، والعمل به ، والدعوة إليه ، وتعليمه لمن لايعلمه ، والصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، وتحمل أذى الناس ، إضافة إلى مجاهدة الشيطان على دفع مايلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك ، والإرادات الفاسدة ، والشهوات المفسدة للدين والمروءة .
(ابن القيم ، ١٤٠٥ هـ) .

أما الجهاد المقصود في الحديث السابق فهو الخروج في سبيل الله إقتداء برسول الله ، فحسبنا أنه أخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وغير وجه التاريخ ، وجعل من هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس في مدة وجيزة من الزمن لاتزيد عن ثلاث وعشرين سنة ، وكان فيها صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى في الصبر ، والثبات برغم كل المعوقات التي اعترضت سبيل دعوته ، ولكنه الثبات الذي لا نظير له ، واغتنام للوقت لا يدانيه اغتنام (القرضاوي ، ١٤٠٨ هـ) .

أما تنظيم الوقت في السنة المطهرة فيظهر واضحا جليا في أقوال ، وأفعال الرسول عليه الصلاة والسلام فهو المتعبد ، المجاهد ، فلنستمع إليه حين يقول ردا على من أراد أن يهجر الدنيا ، وينقطع للعبادة والرهبانية من أصحابه .

((أنتم الذين قلتم كذا ، وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكني أصوم ، وأفطر وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)) (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، جـ ٧ ، كتاب النكاح) .

ومن الأحاديث الشريفة التى تدل على تنظيم الوقت مارواه حنظلة الأسيدي قال : ((إنطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : نافق حنظلة يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وماذاك ؟ قلت : يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ماتكونون عندي وفي الذكر

لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة ، وساعة ، ثلاث مرات)) (مسلم ١٢٤٧ هـ ، جـ ١٧ ، ص ٦٦ ، فضل دوام الذكر) .

في الحديث إخبار أن العمل والاشتغال بأمور الدنيا ليس من النفاق وأنهم لا يكلفون الدوام على الاشتغال بأمور الآخرة ، وإنما ساعة كذا ، وساعة كذا ، أي لطلب الدنيا وقته ، ولطلب الآخرة وقته . (النووي ، ١٢٤٧ هـ) .

ويقول القرضاوي (١٤٠٨ هـ) : « فهذا شأن المسلم ساعة وساعة ، أي ساعة لربه ، وساعة لقلبه(١) كما يقول المثل السائر » (ص ٢٠)

ومن أقوال الرسول التي ينصح فيها من يبالغ في التنسك والقيام ، ويترك أمر الدنيا ، ورغبات النفس المباحة ماروراه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : **((قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت بلى يارسول الله قال : فلا تفعل . صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقا ، وأن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا وإن لزورك (٢) عليك حقا ... الحديث))** (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، جـ ٢ ، كتاب الصوم) . فما أعظمها !! من توجيهات تربوية كريمة من سيد الخلق لصحبه الكرام من أجل أن يستشعروا الغاية من وجودهم في القيام بأمر الخلافة في الأرض ، ولا يتم ذلك إلا بتوخي التوازن بين الدنيا والآخرة .

---

(١) يقصد بذلك التمتع بالمباح واللهو البريء .

(٢) لزورك : أي لضيفك .

وفي إشارة منه عليه الصلاة والسلام، إلى هذا المعنى قوله : ((إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة))

(النسائي، ١٢٨٢ هـ – كتاب الإيمان – باب الدين يسر) .

ومعناه : لا يتعمق أحد في العبادة، ويترك الرفق كالرهبان لأن ذلك سيؤدي إلى العجز حتما، ومنع الإفراط المؤدي للملل، والتزام السداد وهو الصواب بلا إفراط، ولا تفريط . (المناوي، ١٢٥٧ هـ) .

ويبين المصطفى صلى الله عليه وسلم إضافة إلى ماتقدم أن تنظيم العبادة في أوقات محددة أفضل من الاستمرار فلنسمع إلى مايقوله : ((مه عليكم ما تطيقون من الأعمال فإن الله لا يمل حتى تملوا)) . (البخاري، ١٤٠٧ هـ، جـ ٢ – كتاب التهجد رقم ١٠٧٥) يقول خلدون الاحدب (١٤١٠ هـ) : « إن العمل مطلوب والهمة مرجوة، والمتابعة شرط بيد أن هذا منوط بأن لا يرهق الإنسان نفسه إرهاقا يضعف من قوته، ويحول دون إستمرار عطائه وبنائه، ففي ذلك تضييع للزمان، وثمرته من حيث يظن أنه يحافظ عليه » (ص ٦١) .

وفي تدبير النوم واليقظة يقول الرسول الكريم : ((اللهم بارك لأمتي في بكورها)) (١) . (ابن حنبل، ١٢٧٢ هـ، جـ ٢، رقم ١٢١٩) .

---

(١) رواه ابن ماجة والترمذي وقال حديث حسن صحيح .

يقول ابن القيم في زاد المعاد (١٤٠٥ هـ) : « وأما هديه في يقظته فكان يستيقظ إذا صاح الصارخ وهو الديك فيحمد الله تعالى ويكبره ويهلله ويدعوه ، ثم يستاك ، ثم يقوم إلى وضوئه ، ثم يقف للصلاة بين يدي ربه ، مناجيا له بكلامه ، مثنيا عليه ، راجيا له ، راغبا راهبا فأي حفظ لصحة القلب والبدن ، والروح والقوى ولنعيم الدنيا والآخرة فوق هذا » (جـ ٤ ، ص ٢٤٦) .

ومن هذا ينطلق النووي في رؤوس المسائل حيث يقول « يسن لمن له وظيفة من نحو قراءة أو علم شرعي وتسبيح أو إعتكاف أو صنعة فعله أول النهار وكذا نحو سفر وعقد نكاح أو إنشاء أمر » . (المناوي ، ١٣٥٧ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٠٤) .

وهكذا يتبين لنا من القرآن الكريم ، والسنة المطهرة مدى إهتمامهما بالوقت ، وبيان فضله ، وأهميته للمسلم الذي يريد النجاح في عمل الدنيا ، والآخرة ، ولا غرابة في ذلك فإن هذين المصدرين هما عماد التشريع الإسلامي ، وعليهما المعول في إستنباط الأحكام ، والتشريعات الاجتماعية ، والتربوية كما يتضح من قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

((تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي))(١)

(الحاكم ، ١٣٤٢ هـ ، كتاب العلم) .

---

(١) له شاهد من الحديث الذي أخرجه الترمذي برقم ٢٦٧٦ في كتاب العلم ، باب ماجاء في الأخذ بالسنه وإجتناب البدع ، وقال حديث حسن صحيح .

ويبقى للباحث أن يعرض بعضا من أقوال السلف الصالح حول الوقت ، وذلك زيادة في إبراز أهميته لأن سلفنا الصالح أجدر من غيرهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأخذ عنهم ، ولأنهم قدروا قيمة الوقت ، وبنوا لهم حظا كبيرا - إن شاء الله - في الآخرة ومجدا مؤثلا في الدنيا ، فلننظر إلى خلفاء الرسول ، ومن معهم من الصحابة الأجلاء كيف فتحوا الآفاق ، ونشروا العلم ، والدين إلى الأمم الأخرى في برهة من الزمن لا تتجاوز أربعين عاما ، ثم تبعهم بعد ذلك التابعون الصالحون ، وعملوا على منوالهم ، فكيف لا تكون أقوالهم ، وأفعالهم مثالا يحتذى لشباب الأمة الإسلامية في حاضرهم فهم في أمس الحاجة إلى إبراز المثل الأعلى ، والقدوة الحسنة لهم ليسيروا على نهجهم ، وتعود للأمة الإسلامية مكانتها ، وصدارتها بين الأمم التى أرادها الله لها حين يقول : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة : ١٤٣) .

ثالثا ـ الوقت في أقوال السلف الصالح :

بين الباحث في نهاية المبحث الأول السبب الذي حدا به أن يضيف أقوال بعض السلف الصالح في الوقت إلى ما ورد في القرآن ، والسنة ، ذلك لأنهم خير القرون علما وعملا وجهادا وفضلا ، وخصوصا صحابة رسول الله الذين قال الله في امتداحهم :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (الفتح : ٢٩)

فمن مثل أولئك الذين نعتهم خالقهم بهذه الصفات ؟ وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**)) (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، جـ ٥ ـ كتاب فضائل أصحاب النبي) • فبم كانوا خير الناس ؟ إنهم المعلمون بعد رسول الله لمن جاء بعدهم ، الذين كانوا أشد الناس حرصا على صرف أوقاتهم في عبادة الله ، ورضاه • والباحث ـ إن شاء الله ـ سيورد ماتيسر له من أقوالهم في الوقت وأهميته •

يقول القرضاوي (١٤٠٨ هـ) « كان من دعاء أبي بكر رضي الله عنه : اللهم لاتدعنا في غمرة ، ولا تأخذنا على غرة ، ولا تجعلنا من الغافلين » •

(ص ٦٢)

ومن خطبة له :

« ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون ، وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه فإن استطعتم أن تنقضي الآجال ، وأنتم في الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم الوحاء ، الوحاء (*) ، النجاء ، النجاء ، إن وراءكم طالبا حثيثا مره سريع »

(ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١٢٧) .

إن الباحث يرى أن الصديق رضي الله عنه ينصح الأمة بإغتنام فرصة العمر قبل تصرم الأجل ، وأن يجعل المسلم وقته مشغولا على الدوام بعبادة الله ، والقيام بأمره فهو يقول : (الوحاء ، الوحاء) أي المسارعة إلى الاستزادة من العمل الصالح من أجل النجاة وسلامة العاقبة وحسن الختام .

ولنستمع إليه رضي الله عنه وهو يوصي عمر بن الخطاب حين حضرته الوفاة :

« إني أوصيك بوصية إن أنت قبلتها عني . إن لله عز وجل حقا بالليل لا يقبله بالنهار ، وإن لله عز وجل حقا بالنهار لا يقبله بالليل ، وإن الله عز وجل لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة » (المطوع ، جـ ٢ ، ١٤١٠ هـ ، ص ٨٩)

لقد أدرك أبوبكر أن لكل وقت عمله ، وينبغي للمؤمن أن يعرف مايتطلبه الوقت من عمل القلب ، واللسان ، والجوارح ، فيتحراه ويجتهد في القيام به حتى

(*) الوحاء : الإسراع والعجلة (الفيروز آبادي ، ١٣٧١ هـ) .

يوافق المقصود ، وأن يكون عمله مناسبا للوقت ، ولا أدل على ذلك من أن الله سبحانه وتعالى وقّت لكثير من العبادات والتكاليف الشرعية بمواقيت محددة لايجوز أن يتقدم المسلم عليها ، أو يتأخر عنها ، كما سبق للباحث أن وضحه عند الكلام عن تنظيم الوقت في القرآن الكريم والسنة النبوية ٠

رحم الله أبا بكر الذي كان على بينة من ربه ، يعبد الله كأنه يراه ويحرص على وقته أكثر من أي شيء آخر فقد وصفته زوجه أسماء بنت عميس كيف كان يعبد ربه في خلوته فقالت : « كان إذا جاء وقت السحر قام فتوضأ وصلى ٠٠ ثم يظل يصلي ٠٠ يتلو القرآن ويبكي ٠ ويسجد ، ويبكي ٠٠ ويدعو ، ويبكي » (خالد محمد خالد ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٢٥) إنه الحرص العظيم من أبي بكر الصديق على اغتنام الوقت الذي يحلو فيه النوم لدى كثير من الناس ٠

أما الفاروق عمر رضي الله عنه فهو القائل « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، تزينوا للعرض الأكبر ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ » (ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١٤٩) ٠

هذا هو منهج أمير المؤمنين عمر في محاسبة النفس وإيقاظها من سباتها فهو يطلب من المسلم أن يكون رقيبا على نفسه يحاسبها يوميا ٠ ماذا قدم من عمل ؟ وما هي جوانب القصور التي لحقت به في يومه ؟ هل كان يومه شاهدا له أم شاهدا عليه ؟ ، فلو كان المسلم على هذا النحو الذي يريده عمر لما كان غبن في الوقت ، وحسرة على ماضاع منه ٠

وكان رضي الله عنه إذا نظر إلى الرجل يعجبه يقول : أله حرفة ؟ فإذا قيل له : لا • سقط من عينه (المناوي ، ١٢٥٧ هـ) • ويقول القرضاوي (١٤٠٨ هـ) « كان يضرب قدميه بالدرة إذا جن الليل ويقول لنفسه : ماذا عملت اليوم ؟ » (ص ٤٨) ، فما الذي نفهمه من كلام الفاروق هذا ؟ إنه الحرص منه رضي الله عنه أن يمر به النهار ولم ينتج شيئا ، أو يعمل عملا لدينه ودنياه فقد كان يكره الكسل وأهله ، ويذم البطنة وكثرة الأكل لأنه يرى فيهما ترهلا وضعفا عن أداء واجب العبد المسلم في الإستخلاف عن الله في الأرض فمن قوله « أيها الناس إياكم والبطنة من الطعام ، فإنها مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسد ، مورثة للسقم ، وإن الله عز وجل يبغض الحبر (*) السمين ، ولكن عليكم بالقصد في قوتكم ، فإنه أدنى من الإصلاح وأبعد من السرف ، وأقوى على عبادة الله عز وجل ، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه » (ابن الجوزي ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٨٠) •

ماالذي نفهمه من عمر رضي الله عنه ؟ إنه يقدم النصيحة والموعظة التربوية من أجل إجتناب المعوقات التي تحول دون إغتنام الوقت كالبطنة المذمومة التي تثقل الرجل ، وتعطله عن العمل ، وتزيد في الرغبة إلى النوم والراحة ، وكلما كان المسلم مقتصدا في الأكل مبتعدا عن نزوات النفس والهوى كلما كان حريا بإصلاح نفسه منظما لوقته مقتدرا على العبادة والعمل •

(*) الحبر : بكسر الحاء : هو المتنعم الفاره (الفيروز آبادي ، ١٣٧١ هـ) •

وللاستزادة من حكمة الفاروق نستمع إليه وهو يقول : « يثغر الغلام لسبع سنين ويحتلم لأربع عشرة سنة ، ويلتقي طوله لإحدى وعشرين سنة ، وينتهي عقله إلى ثمان وعشرين سنة ، ويكمل ابن أربعين سنة »

(ابن الجوزي ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٢٠٨) ٠

فكأنه رضي الله عنه يرى أن العمر له محطات يبدأ منها عمل ، وينتهي إليها عمل فمن بلغ الثمان والعشرين ولم يكتمل عقله فلا حلم له ٠ ولنستمع إليه حين يقول لرجل متنطع منقطع للعبادة منصرفا عن عمل الدنيا بصيام الدهر ، بل إنه يضربه بمخفقته وهو يقول : « كل يا دهر ، يا دهر » (ابن الجوزي ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٢٠١)

وأما ما كان من أمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد روي عنه أن قال « ما أحب أن يأتي علي يوم ولا ليلة إلا أنظر في الله ـ يعني القراءة بالقرآن ـ » (ابن حنبل ، ١٩٨١ م ، ص ٤١) ٠

فهذا عثمان بن عفان الذي لم يكن من المفرطين في أوقاتهم ، وإنما كان حريصا كما يبدو من قوله السابق في اغتنام ساعات الليل ، والنهار في عبادة الله سبحانه ، ومما يدل على ذلك ما قاله حسان بن ثابت رضي الله عنه في وصفه بعد إستشهاده :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به   يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

فرحم الله عثمان الذي قالت إمرأته فيه حين أطافوا ببيته يريدون قتله « إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن »

(ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ١ ، ص ١٥٨)

ولنا وقفة مع أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه الذي وصفه ضرار بن ضمره « وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه وغارب نجومه، وقد مثل في محرابه ، قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ••• » (ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ١ ، ص ١٦٦) •

فما الذي يدل عليه هذا القول ؟ إنه دلالة على حرص علي بن أبي طالب على الوقت، والقيام بالليل من أجل الاستزادة من الأجر والثواب •

وله في الحث على المبادرة بالأعمال وترك الآمال قوله : « أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ، ولزوم طاعته ، وتقديم العمل وترك الأمل ، فإنه من فرط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله » (ابن عبد ربه ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٤ ، ص ٦٧) فلزوم الطاعة ، والمواظبة عليها ، والمبادرة في العمل لا يحرص عليها إلا من كان للوقت قيمة في نفسه ، بعيد عن الأمل المضيع للعمل فإن العمر فان والموت يأتي على غرة •

وقال رضي اللـه عنه يحث على التوسط في الأمور ، وعدم المغالاة في الدين : « خير هذه الأمة هذا النمط الأوسط ، يرجع إليهم الغالي ، ويلحق بهم التالي » (ابن عبدربه ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٠)، وله وصية في تنظيم الوقت للسير للجهاد ، والراحة للجند « ولا تسر أول الليل فإن الله جعله سكنا وقدره مقاما لا ظغنا » • (العقاد ، ١٩٦٧ م ، ص ٢٠٧) •

أما عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الذي قال فيه رسول اللـه صلى الله عليه وسلم « من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » (ابن حنبل ، ١٢٧٢ هـ ، جـ ١ ، باب القرآن) فقد روي عنه أنه قال :

« إنكم في ممر من الليل والنهار في آجال منقوصة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة ، فمن زرع خيرا فيوشك أن يحصد رغبة ، ومن زرع شرا فيوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثل مازرع ، لا يسبق بطيء بحظه ، ولا يدرك حريص مالم يقدر له ، فإن أعطي خيرا فالله أعطاه ، ومن وقي شرا فالله وقاه ، المتقون سادة ، والفقهاء قادة ومجالسهم زيادة » (ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ١ ، ص ٢١٥) .

إنه يؤكد على قيمة الوقت ونفاسته حيث يعتبر الليل والنهار مسافة زمنية يعبرها الإنسان ، ولا يعود منها مرة أخرى فمن فات يوم من عمره فهو منقوص من أجله ، ولا يستطيع أن يعوض فيه عمله ، وهكذا يدرك عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ثمرة الوقت ، ويوصي بأن تكون هذه الثمرة طيبة ، فلكل حاصد مازرع فمن كانت أوقاته مهدرة ، وحياته عابثة فزرعه خبيث وحصاده الندامة ومن كان مغتنما أجله محافظ على ساعات عمره في عمل طيب فزراعته كريمة ، وحصاده النجاح والفلاح ، ولنتبين صحة هذا القول نستمع إلى هذا الصحابي الجليل وهو يقول : « إني لأبغض الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة » (ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ١ ، ص ٢١٧) ويقول أيضا ينهى عن إضاعة الوقت في العبث نهارا والنوم الطويل ليلا : « لا ألقين أحدكم جيفة ليل قطرب (*) نهار » (المصدر السابق ، ص ٢١٧) .

(*) قطرب : بالضم اللص ، والجاهل (الفيروز آبادي ، ١٣٧١ هـ) .

ويقـول في الحث على المبـادرة في العمـل ، والرغبـة في الاستزادة من الخير « ماندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي » (القرضاوي ، ١٤٠٨ هـ ، ص ١٢) • فيالها من كلمات جامعة تحمل معاني سامية من الترغيب في ملء الوقت بالعمل الصالح ، والتحذير من ضياعه ، والتأكيد على قيمته •

وكان أبو هريرة رضي الله عنه ينظم وقته بين العبادة ، والنوم ، وطلب العلم فهو القائل « جزأت الليل ثلاثة أجزاء : ثلثا أصلي ، وثلثا أنام ، وثلثا أذكر فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم » (البغدادي ، جـ ٢ ، ص ٢١٩) •

ومثله معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي كان يتهجد بالليل ، ويدعو قائلا : « اللهم قد نامت العيون ، وغارت النجوم ، وأنت حي قيوم ، اللهم طلبي للجنة بطيء ، وهربي من النار ضعيف ، اللهم إجعل لي عندك هدى ترده إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد » (العفاني ، ١٤١٠ هـ ، ص ٢٠٨) •

يستدل الباحث من هذا الدعاء الذي كان يدعوه معاذ بن جبل أنه من أولئك الذين كانوا أحرص الناس على العبادة وقيام الليل والناس نيام ، ومع حرصه هذا فهو لا يأمن على نفسه من مكر الله حين يقول « اللهم طلبي للجنة بطيء ، وهربي من النار ضعيف » • فإذا كان الصحابة على هذه الدرجة من الخوف والرجاء فكيف بنا في حاضرنا ، وبيننا وبينهم أمد بعيد في المنزلة ، وعلو الهمة ؟ •

وهذا عبدالله بن العباس يروي عنه عبدالله بن أبي مليكة فيقول : « صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة ، فكان إذا نزل قام شطر الليل يرتل ، ويكثر في ذلك

التسبيح »(ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ١ ، ص ٢٨٢) ، وهو الذي يقول في الصبر على التعلم « من لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في الكبر حيث يحب »(ابن عبدربه ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٢ ، ص ٤٢٥) ، ولقد قام رضي الله عنه وهو ابن عشر سنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يعد له وضوءه من الليل ، ويصلي بجانبه حتى إذا غفا أخذ بشحمة أذنه يفركها ٠ قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٣٤٧ هـ) : «إنما فتلها تنبيها له من النعاس » (جـ ٦ ، ص ٤٦) ٠

ومن الأمثلة الرائعة من صحابة رسول الله عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الذي كان من أشد الناس حرصا على قيام الليل حيث « كان له مهراس فيه ماء فيصلي ما قدر له ثم يصير إلى الفراش فيغفى إغفاء الطير ، ثم يثب فيتوضأ ثم يصلي ، يفعل ذلك الليلة أربع مرار ، أو خمس مرار » (ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ١ ، ص ٢٩٤) ٠ فلننظر إلى هذا الحرص على اغتنام الوقت ، ومجاهدة النفس على قيام الليل ، وليكن لنا فيه مثلا في ترويض النفس ، واستثمار الوقت فيما ينفع من عمل وعلم وعبادة ٠ ويروي عنه ابن الجوزي (١٤٠٩ هـ) دعاء كان يقوله إذا أصبح « اللهم اجعلني من أعظم عبادك نصيبا في كل خير تقسمه الغداة ، ونور تهدي به ، ورحمة تنشرها ، ورزق تبسطه وضر تكشفه ، وبلاء ترفعه ، وفتنة تصرفها » (جـ ١ ، ص ٢٩٥) ٠

ويقول عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما « أشر شيء في العالم البطالة » (المناوي ، ١٢٥٧ هـ ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠) وكان رضي الله عنه « قوام الليل صوام النهار ، وكان يسمى حمام المسجد » (ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ١ ، ص ٢٨٩) ٠

ومر رجل على أبي الدرداء رضي الله عنه وهو يزرع شجرة وكان شيخا كبيرا فقال له : « أتغرس هذه وأنت شيخ كبير وهذه لا تطعم إلا في كذا وكذا عاما ... ... فقال أبوالدرداء : ما علي أن يكون لي أجرها ويأكل منها غيري »

(المطوع ، ١٤١٠ هـ ، جـ ٢ ، ص ٢١) .

إنه إدراك الرجل الثاقب النظر النافذ البصيرة الذي عرف أن الله لم يخلقه عبثا فكانت إجابته تفيض بالحكمة الدالة على قيمة وشرف الزمان عند بني الإنسان أمثال أبي الدرداء .

وللباحث وقفة أخرى مع صحابي جليل وهو سلمان الفارسي الذي قال : « ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني : مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه لايدري أساخط رب العالمين عليه أم راض »

(ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ١ ، ص ٢٨١)

فمن هو الغافل الذي يعنيه سلمان الفارسي ؟

إنه بلا شك الغافل عن قيمة الوقت الذي لايغتنمه فيما ينفعه ، الذي يعيش حياة لاهية عابثة ، ولا يدري كيف يكون المنقلب .

إنها نماذج عظيمة من أقوال الصحابة الكرام يقدمها الباحث تأكيدا على قيمة الوقت ، ثم ينتقل إلى عرض بعض من أقوال التابعين ، ومن بعدهم في الوقت ، لتكون أقوالهم حجة قوية على المفرطين ، وتنبيها للغافلين ، وأمثلة تحتذى لمن أراد أن يخطو خطاهم ، ويسير على نهجهم رضوان الله عليهم أجمعين .

فهذا أويس القرني الذي يقول فيه سيد الأنام صلى الله عليه وسلم : ((إن خير التابعين رجل يقال له أويس ، وله والده ، وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم))

(مسلم ، ١٣٤٧ هـ ، جـ ١٦ ، ص ٩٥ ، فضائل الصحابة) .

وروى الشعبي عنه قال : « مر رجل من مراد على أويس القرني فقال : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت أحمد الله عز وجل . قال : كيف الزمان عليك ؟ قال : كيف الزمان على رجل إن أصبح ظن أنه لايمسي ، وإن أمسى ظن أنه لايصبح ، فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار . يا أخا مراد إن الموت وذكره لم يترك لمؤمن فرحا ، وإن علمه بحقوق الله لم يترك له في ماله فضة ولا ذهبا ، وإن قيامه لله بالحق لم يترك له صديقا »

(الذهبي ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٤ ، ص ٢٠) .

فهذا أويس القرني الذي أدرك قيمة الوقت ، وسرعة إنقضائه ، وأن مامضى منه لايعود ، وأن أجل الإنسان في علم الغيب لايدري إذا كان في نهاره هل يمسي ، وإذا كان في ليله هل ينتظر الصباح . هذه الحقيقة أدركها سيد التابعين ، وكان حريصا على اغتنام الوقت ، وفرصة العمر في القيام بأمر الله ، والعمل الدائم على طاعته ، حتى إنه لايجد متسعا من وقته لمجالسة صديق ، ومنادمة خليل .

ومن رؤوس التابعين ، وفضلائهم الحسن البصري ، وهو الذي دعا له عمر بن الخطاب وهو صغير فقال « اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس » (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٤ ، ص ٥٦٥) . وإنه القائل في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (الفرقان : ٦٢)

« من عجز بالليل فإن له بالنهار مستعتب ، ومن عجز في النهار كان له في الليل مستعتب » (العفاني ، ١٤١٠ هـ ، جـ ١ ، ص ٢٤٦) ٠ أي من فاتته فرصة في ليله كانت له في نهاره فرصة ٠

ومن أقواله في الحث على اغتنام الوقت في أيام العمر : « ابن آدم إنما أنت أيام ، كلما ذهب يوم ، ذهب بعضك » (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٤ ، ص ٥٨٥) ٠

ويروي عنه الذهبي في نفس المصدر (١٤٠٢ هـ) : « ضحك المؤمن غفلة من قلبه » (ص ٥٨٥) ٠ فكأنه بهذا القول يطلب الجد في كل الأحوال ، فمن حكمته رحمه الله أن الأيام لا تتكرر ، فكل يوم قضى ليس له عودة ، ومن هنا يرى أن المفرط في يومه خسران ولنستمع إلى قوله في هذا المعنى « ما من يوم ينشق فجره إلا وينادى ، يابن آدم ، أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني ، فإنني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة » (القرضاوي ، ١٤٠٨ هـ ، ص ١٠) ، وكذلك يقول في أهمية الوقت عند صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدركت أقواما كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصا على دراهمكم ودنانيركم » (القرضاوي ، ١٤٠٨ هـ ، ص ١١) ٠

وقال أيضا في ذم الأمل والتسويف « ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل » (المطوع ، ١٤١٠ هـ ، جـ ١ ، ص ١٠٥) ويفهم الباحث من قوله هذا أنه يعني أولئك الذين يطول أملهم في الحياة ، ولا يدرون أن الموت يأتي بغتة فيسرحون ويمرحون ، ويضيعون أوقاتهم في اللهو والعبث ويؤجلون عمل اليوم إلى الغد ويتمنون على الله الأماني ٠

ولـه أيضا في نفس المعنى « أياك والتسويف ، فإنك بيومك ولست بغدك ، فإن يكن غد لك فكن في غد كما كنت في اليوم وإن لم يكن لك غد لم تندم على ما فرطت في اليوم » (القرضاوي ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٦٤) هذه نصيحة يقدمها للغافلين المسوفين ، يحذرهم من الركون إلى الآمال ويوصيهم باغتنام وقت اليوم الحاضر الذي يعيشونه فإن الإنسان لا يدري أيكون له حظ في الغد أم لا ، فإن كان له نصيب من الحياة في الغد فالاستزادة من عمل الخير عظيمة نافعة ، وإن لم يكن له نصيب في غده بمرض معوق ، أو إنتهاء أجل لم يندم على ما فرط في يومه الذي انقضى ٠

ثم هو بعد ذلك يصف المؤمن الحريص على وقته ، وعمله ، ويستطرد في الحديث عن المنافق الذي يسيء العمل ويتمنى على الله الأماني الواهية ، فيقول : « والمؤمن أحسن الناس عملا ، وأشد الناس وجلا فلو أنفق جبلا من مال ما أمن دون أن يعاين ، لا يزداد صلاحا وبرا إلا ازداد فرقا ، والمنافق يقول : سواد الناس كثير وسيغفر لي ولا بأس علي ، فيسيء العمل ويتمنى على الله »

(الذهبي ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٤ ، ص ٥٨٦) ٠

وهذا محمد بن سيرين رحمه الله (ت ١١٠ هـ) الذي يقول عنه ابو نعيم الأصفهاني (١٣٥٧ هـ) « كان ابن سيرين يصوم يوما ويفطر يوما ، وكان الذي يفطر فيه يتغدى ولا يتعشى ، ثم يتسحر ويصبح صائما » (جـ ٢ ، ص ٢٧٢) ، ويقول عنه ابن الجوزي (١٤٠٩ هـ) : « كان لمحمد بن سيرين سبعة أوراد يقرؤها بالليل فإذا فاته منها شيء قرأه بالنهار » (جـ ٢ ، ص ١٦٥) ٠

وكان يتحين ساعات الغفلة والراحة عند الناس فيذكرهم بالله فمن ذلك أنه كان « يدخل السوق نصف النهار يكبر ويسبح ويذكر الله تعالى ، فقال له رجل : ياأبا بكر في هذه الساعه ؟ قال : إنها ساعة غفلة »(الاصفهاني ، ١٢٥٧ هـ ، ص ٢٧٢) • فلولم يكن مدركا لقيمة الوقت ، وضرورة المبادره إلى اغتنامه ما فعل هذا •

أما حفصة بنت سيرين فتقول في وصيتها للشباب « يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب »(ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ٤ ، ص ٢١) فالشباب هو الطاقة والحيوية فمن لم يغتنم وقت شبابه في البذر ، والإنتاج والبناء فلا خير فيه ، لأنه إذا تجاوز هذه المرحلة من العمر يصبح ضعيفا لا يقوى على ما يقوى عليه الشباب من المكابدة والقدرة •

ومن أعلام التابعين وهب بن منبه (ت ١١٤ هـ) الذي كان يتدفق علما وحكمه ، وقد ضرب أروع الأمثلة في اغتنام الوقت في العبادة ، وطلب العلم حيث قال عن نفسه « لقد قرأت ثلاثين كتابا نزلت على ثلاثين نبيا » (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٥٤٧) أما عن الزمان فيقول : أنظر إلى الدهر تجده ثلاثة أيام : يوما مضى ترتجيه ، ويوما لابد منه ، ويوما يجيء لا تأمنه ، فأمس شاهد مقبول وأمين مؤد وحكيم وارد ، قد فجعك بنفسه وخلف في يديك حكمته ، واليوم صديق مودع كان طويل الغيبه ، وهو سريع الظعن (*) ، أتاك ولم تأته ، وقد مضى قبله شاهد عدل ،

(*) الظعن : السير والإرتحال (الفيروز آبادي ، ١٣٧١ هـ) •

فإن كان ما فيه لك فاشفعه بمثله » (ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٩٢) ٠ إنه ينبه الإنسان على أنه بين ثلاث محطات من عمره ، الماضي الذي انصرم ، وطويت صفحته على ما فيه من العمل ، والحاضر الذي هو فيه فيوصيه باغتنامه في العمل الصالح ، وأن لا يُضيِّع شيئا منه ، والمستقبل الذي لا يدري ما الله صانع به فيه ، وهل هو من أهله أو مرتحل عنه ٠

ومن أقواله في مراحل العمر « قرأت في بعض الكتب أن مناديا ينادي من السماء الرابعه كل صباح : أبناء الأربعين ، زرع قد دنا حصاده ، أبناء الخمسين ماذا قدمتم وماذا أخرتم ؟ أبناء الستين لا عذر لكم ، ليت الخلق لم يخلقوا ، وإذا خلقوا علموا لماذا خلقوا ، قد أتتكم الساعه فخذوا حذركم »(ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٩٢) في هذا حث على استغلال أيام العمر الأولى وعنفوان الشباب في أعمال الخير ، والبر والصلاح قبل أن يتقدم الزمن بالإنسان ويقربه من سن الكهولة ، والتي تبدأ من سن الأربعين فحينما يصلها الإنسان فكأنه زرع قد شارف على الحصاد ، ومن بلغ الخمسين ، ولم يعمل صالحا ، ولم يقدم خيرا فمتى يعمل ؟ وماذا يعمل ، وقد شارف على الهلاك ؟ ومن بلغ الستين وقد قضاها لهوا وضياعا ، فمن أين له عذر يقدمه إلى خالقه ؟ ولنستمع إلى قوله تعالى في بيان أن سن الأربعين محطة فاصلة من عمر الإنسان ـ لمن بلغه الله إياها ـ حيث يكتمل عقله ، وينضج حلمه ورشده ، فمن بلغ هذه السن ولم يرعو فمتى يرعوي ؟ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأحقاف : ١٥)

يقول ابن كثير (١٤٠٠ هـ) في تفسير قوله تعالى ﴿ حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنه ﴾ : « أي تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه ويقال أنه لا يتغير غالبا عما يكون عليه ابن الأربعين » (جـ ٤ ، ص ١٥٧) ٠

فإذا كانت أعمار هذه الأمة تتراوح بين الستين والسبعين غالبا كما تبين من الحديث الشريف ـ الذي أورده الباحث سابقا ـ فإن الأربعين قد أخذت ثلثي العمر ، ولم يبقى منه إلا ثلثا ، وهو مرحلة الضعف وخور القوى وسأم الحياه ، ومن تجاوز السبعين ـ ونادر هذا ـ فلا يبقى لديه رغبه في شيء من الدنيا يعبر عن ذلك قول الشاعر العربي :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم

وعودة إلى وهب بن منبه حيث يصف لنا علامات ذي الدين صاحب الجد والعمل ، وكذا الغافل الكسلان فيقول « لكل شيء علامة يعرف بها ، وتشهد له أو عليه ، وإن للدين ثلاث علامات يعرف بهن ، وهي الإيمان ، والعلم ، والعمل ، ٠٠٠٠٠ وللكسلان ثلاث علامات : يتوانى حتى يفرط ، ويفرط حتى يضيع ، ويضيع حتى يأثم وللغافل ثلاث علامات : السهو ، واللهو ، والنسيان » (الاصفهاني ، ١٢٥٧ هـ ، جـ ٤ ، ص ٤٨) ٠ نعم إن الغفلة والتقاعس والتسويف مؤذنة بالتفريط في الوقت ، وإن التفريط فيه مؤذن بالإثم من الله عز وجل ، وزيادة في التوضيح ذلك الذي يتقاعس عن الصلاه في أوقاتها يفرط في صلاة الجماعه ، ويسوف صلاته إلى خروج الوقت ، ومن هنا يكون آثما ٠

ما أجمل هذه الموعظه التي يسوقها ابن منبه وما أحرانا ـ نحن شباب الأمة الإسلامية ـ بها خصوصا في هذا العصر الذي زادت به المغريات وكثرت فيه أماكن اللهو والعبث ، والضياع فهو يقول : « طوبى لرجل لا يسلك سبيل الخطائين ، ولا يجالس البطالين ، ويستقيم على عبادة ربه ، فمثله كمثل شجرة ثابتة على ساقية لا يزال فيها الماء يفضل بثمرتها في زمن الثمار فلا تزال خضراء في غير الثمار » .

(الاصفهاني ، ١٢٥٧ هـ ، جـ ٤ ، ص ٦٢) .

وهذا همام بن الحارث النخعي الكوفي الذي توفي زمن الحجاج (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ) الذي كان يدعو فيقول : « اللهم اشفني من النوم باليسير ، وارزقني سهرا في طاعتك » يقول الذهبي (١٤٠٢ هـ) : « وكان لا ينام إلا هنيهة وهو قاعد » (ص ٢٨٤) . فمن مثل همام بن الحارث رحمه الله ؟ الذي يطلب من الله أن يملأ وقته بالعبادة ، وأن يصرف عنه النوم الذي لا يزيد في العمر ، ولا يكسب عملا ، ولا فضلا .

أما عمر بن عبدالعزيز (ت ١٠١ هـ) الذي عده كثير من العلماء خامس الخلفاء الراشدين لعدله ورشده وتقواه يقول « إن الليل والنهار يعملان فيك ، فاعمل فيهما » (القرضاوي ، ١٤٠٨ هـ ، ص ١٢) ، والمقصود ان الليل والنهار ، وهما الزمان المتعاقب على الإنسان المسلم أن يدرك هذه الحقيقة ، ويعمل في الليل والنهار ، وألا يضيع وقتهما سدى يستغلهما في كل عمل ينفع لأمر الدنيا والآخره .

وله رحمه الله شعر بديع في مناصحة أصحاب الأماني، والغرور حيث يقول :

أيقظان أن اليوم ؟ أم أنت نائم	وكيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لخرقت	مدامع عينيك الدموع السواجم
تسر بما يبلى وتفرح بالمنى	كما اغتر باللذات في اليوم حالم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة	وليلك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيما تكره غبه	كذلك في الدنيا تعيش البهائم

(الذهبي ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٥ ، ص ١٢٨)

وهذا أمير المؤمنين هارون الرشيد (ت ١٩٢ هـ) الذي يقول عنه الذهبي (١٤٠٢ هـ) « كان من أنبل الخلفاء ، وأحشم الملوك ، ذا حج وجهاد ، وغزو وشجاعة ورأي » (ص ٢٨٧ ، جـ ٩) ، ويدل على نبله وحرصه على تأديب ولده ما يقوله لمؤدب أحد أولاده : « ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه » (ابن خلدون ، د ٠ ت ، ص ٥٤١) ٠ إنها مقولة تربوية جديرة بالإهتمام ، وذلك لفائدتها في أسلوب التعليم إضافة إلى أنها ذات فائدة في تنظيم وقت التعليم ، وضرورة استغلاله فيما ينفع من علم وأدب ونحو ذلك ، من غير تشديد وإرهاق للمتعلم فوق حدود طاقته ٠

وللسَّري السَّقَطي (ت ٢٥٢ هـ) كلام جميل في الحث على اغتنام الوقت فهو يقول : « إن اغتممت بما ينقص من مالك فابك على ما ينقص من عمرك » (ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤) ٠ فما المقصود من هذا القول ؟ إنه يبين

أن الوقت أهم من المال ، وأكثر نفاسة منه ، فإذا احتاج الإنسان أن يغتم لفقدان شيء من ماله في غير وجهه ، فهو أكثر حاجة أن يبكي ويدعو بالويل والثبور لما يفوت من عمره هدرا بدون خير يكسبه ، أو علم يُحصّله ، أو حسنة يدخرها ٠

وله قول مشابه لقول وهب بن منبه ـ السالف الذكر ـ في مفهوم الزمن حيث يقول : « الدهر ثلاثة أيام ، يوم مضى بؤسه وشدته وغمه لم يبق منه شيء ، واليوم الذي أنت فيه صديق مودع لك طويل الغيبة عنك سريع الرحلة عنك ، وغدا في يديك تأميله ولعلك من غير أهله » (ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٢٤٩) ٠

إن في هذا توجيه إلى القيام بحق اللحظة الحاضرة ، والوقت الذي نحن فيه ، واغتنام هذا اليوم الحاضر قبل أن ينصرم ، ويكون في عداد الأيام الماضية التي لا نستطيع أن نضيف إلى سجلها عملا ، وفيه توجيه إلى عدم الركون والتسويف إلى الغد ، لأننا لا ندري ما الله قاض في غد ٠ فياله من توجيه عظيم من رجل حكيم عاقل أريب حريص على وقته واغتنام أيام عمره ٠

ومن سلفنا الصالح أبوبردة عامر بن عبدالقيس الأشعري (ت ٢٠٠ هـ) الذي كان يقول « إذا جن عليه الليل وانصرف كل لراحته ونومه أذهب حر النار النوم ـ فما ينام حتى يصبح ـ وإذا جاء النهار قال : أذهب حر النار النوم ـ فما ينام حتى يمس ، فإذا جاء الليل ـ قال : من خاف أدلج وعند الصباح يحمد القوم السُّرى » (العفاني ، ١٤١٠ هـ ، ص ٢٤١) ٠

إنه مثل عظيم وقدوة صالحة لنا في صرف الوقت فيما خلقنا الله من أجله من عبادته، والقيام بأمره.

ويشبه ابن القيم (١٤٠٨ هـ) الوقت بالشجرة فإن كان مُغتَنماً فهو شجرة طيبة، وإن كان ضائعا فهو شجرة خبيثة لا تثمر فلنستمع إليه وهو يقول: « السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعه فثمره شجرة طيبة » (ص ٢٩٢). يؤكد ابن القيم على شرف الزمان، وعلو قيمته فحري بكل ذي لب أن يغتنم أجزاءه الصغيرة دقائقه وثوانيه في عمل صالح حتى يجني ثمرة طيبة وقت الحصاد.

فهكذا كان سلفنا الكرام في حرصهم على أوقاتهم يحسبونه بالأنفاس والساعات، ويجتهدون في عمل اليوم، والليلة عبادة وتكسبا حلالا، وعلما نافعا. فعسى أن يكون لشبابنا اليوم في أولئك الرجال قدوة حسنة، ومثلا يحتذى.

ويختتم الباحث أقوال السلف الصالح بمقولة لابن الجوزي حول قيمة الوقت في كتابه صيد الخاطر (د . ت) حيث يقول:

> « وأعلم أن الزمان أشرف من أن يضيع منه لحظة فإن في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قال سبحان الله العظيم، وبحمده غرست له بها نخلة في الجنه، فكم يضيع الآدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل، وهذه الأيام مثل المزرعه، فكأنه قيل للإنسان. كلما بذرت حبه أخرجنا لك ألف كر، فهل يجوز للعاقل أن يتوقف في البذر ويتوانى.
>
> والذي يعين على اغتنام الزمان الإنفراد والعزله مهما أمكن، والإختصار على السلام أو حاجة مهمة لمن يلقى.
>
> وقلة الأكل، فإن كثرته سبب النوم الطويل وضياع الليل » (ص ٤٨٠).

وله أيضا في المدهش (١٩٧٧ م) موعظة للغافلين وأصحاب المنى والتسويف « يا طويل الأمل ، في قصير الأجل • يا كثير الزلل ، في يسير العمل ، خلا لك الزمان ، وما سددت الخلل ، أفما عندك وجل ؟ من هجوم الأجل •

••••• يا معاشر الأصحاء ، إغتنموا نعمتي السلامة والإمهال • واحذروا خديعتي المنى والآمال • قد جربتم على النفس تبذيرها في بضاعة العمر ، فانتبهوا لانتهاب الباقي » (ص ٢٥١) •

إنه يخاطب أصحاب العقول المستنيرة ، والأجسام الصحيحة ، ويحثهم على اليقظة من غفلتهم مادام في الأمر متسع لهم من صحة ووقت ليبادروا إلى العمل فيما بقي من بضاعة العمر ، فإن الركون إلى الآمال مضيع للوقت مقرب للآجال ، وهو ينصح بالإنفراد والعزلة ما أمكن ذلك ، ويوصي بقلة المعشر ، لأنه يرى أن العزلة فيها اغتنام للوقت في طلب العلم ، وعبادة الله • أما المخالطة فإنها تبعث على إهدار الوقت فيما لا ينفع من لهو وعبث ، حتى وإن كان لهوا مباحا • وهذا لا يعني أن ابن الجوزي يدعو إلى القطيعة وبغض الناس ، فهناك من يحب المسلم مخالطتهم ، وغشيان مجالسهم من العلماء والفضلاء الذين تحفهم الملائكة ، ويذكرهم الله فيمن عنده ، ولكنه يحب عزلة البطالين الذين لا يقيمون وزنا لأوقاتهم ، يهدرونها في نميمة أو غيبة أو نكتة وفضول كلام لا فائدة منه ، وسمر لا طائل من ورائه ، ويوافق الشاعر

المسلم (ما يقوله ابن الجوزي) في محبة العزلة وصرف الوقت فيما ينفع حين يقول :

أعز مكان في الدنى سرج سابح

وخير جليس في الزمان كتاب

(المتنبي ، ١٢٩٧ هـ ، جـ ١ ، ص ١٩٢)

والبطنة تذهب الفطنة ، مدعاة للكسل جالبة للنوم ، ومن هذا المنطلق يوصي ابن الجوزي بالإقلال من الطعام حتى لا يثقل الإنسان عن اغتنام وقته لأن من أكثر الأكل أخلد للنوم والراحة ، ولذا يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ((**ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم ثلاث أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث طعام ، وثلث شراب ، وثلث لنفسه**)) (الحاكم ١٢٤٢ هـ - في آخر كتاب الرقائق) ويعتبر ابن الجوزي أن المنى والآمال من حبائل الشيطان ، وخديعة النفس الأمارة بالسوء فليس فيها إلا التسويف ، وتأجيل عمل اليوم إلى الغد ، وضياع الوقت في غير فائدة ٠ ومن قضى يومه في فرض أدَّاه ، أو علم حصله أو خير إكتسبه فقد أرضى ربه ، وبرَّ بوقته ٠

تبين لنا - من خلال العرض السابق - كم هو الوقت ثمين وعزيز من وجهة النظر الإسلامية ، حيث أكدت الآيات الكريمات ، والأحاديث الشريفة ، وأقوال السلف الصالح على أهميته ، وفوائده ، ووجوب اغتنامه ، وتنظيمه ٠

ويمكن للباحث أن يلخص ما ورد في الفصل السابق في النقاط التالية :

(١) بروز أهمية الوقت في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهره ٠ يتجلى ذلك في قسمه سبحانه وتعالى بالزمن أو بأجزاء منه وفي هذا دلالة عظيمة على أهميته

وعظيم قدره ، وسمو منزلته ، وكذلك أكدت السنة النبوية على تلك الأهمية في أحاديث متعددة وردت سابقا ٠

(٢) يؤكد القرآن الكريم على أن للوقت فوائد عظيمة للناس كما تبين ذلك الآية رقم (٦٢) من سورة الفرقان ، والتى وردت على الصفحة (٢٨) وكذا الآية رقم (١٨٩) من سورة البقرة والتى وردت على الصفحة (٢٩) ٠

(٣) ويشير القرآن الكريم إلى تنظيم الوقت في آيات كثيرة منها الآية رقم (١٩٧) من سورة البقرة ، والآية رقم (١٠٣) من سورة النساء ، وكذا الآية رقم (١٠ ، ١١) من سورة النبأ (انظر ص ٣١ ، ٣٢) ٠

(٤) يأمر القرآن الكريم ، والسنة النبوية باغتنام الوقت ـ فالأمر يعني الالزام والوجوب ـ ويتضح ذلك جليا في الآية رقم (٢١) من سورة الحديد ، والآية رقم (٢٦) من سورة المطففين ٠ انظر الصفحة (٣٣) وفي الحديث الذي رواه الحاكم والذي ورد على الصفحة (٤٨) ٠

(٥) ويحث القرآن الكريم والسنة النبوية على تحري الأوقات الفاضلة لعظمة العبادة فيها كما هو الحال في الآية رقم (٩) من سورة الجمعه ، والآية رقم (١٧ ، ١٨) من سورة الذاريات على الصفحة (٣٩) والآية رقم (١٨٥) من سورة البقرة ، والآيات رقم (١ ـ ٥) من سورة القدر ، والحديث الذي رواه مسلم والذي ورد على الصفحة (٥٤) والحديث الذي رواه البخارى والذي ورد على الصفحة (٥٥) ٠

(٦) يمتدح القرآن الكريم أولئك الذين يستغلون فرصة أعمارهم في العمل الصالح النافع كما هو مبين على الصفحة (٣٣) والصفحة (٣٤) ٠

(٧) يذم القرآن الكريم المفرطين في أوقاتهم الذين يعيشون حياة عابثة لاهية كما تبين ذلك الآيات رقم (١٠ ، ١١) من سورة الذاريات والآيات (١١ ، ١٢) من سورة الطور .

(٨) أدرك السلف الصالح المعاني السامية التى حملها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ولهذا استأنس الباحث بجملة من أقوالهم التى تدل على عظمة الوقت ، وعلو منزلته .

وفي الفصل التالي يقدم الباحث صورا رائعة من أفعال السلف الصالح التى تضافرت مع أقوالهم حول مفهوم الزمن وضرورة اغتنامه ، فقد كانوا ـ رحمهم الله ـ أساتذة الدنيا ، ومصابيح الدجى نفعنا الله بسيرتهم ، وأخذ بأيدينا على نهجهم .

(الفصل الثانى)

تقدير قيمة الوقت عند علماء السلف الصالح

* تمهيد

أولا : نماذج من القرن الأول والثانى الهجريين .

ثانيا : نماذج من القرنين الثالث والرابع .

ثالثا : نماذج من القرنين الخامس والسادس .

رابعا : نماذج من القرنين السابع والثامن .

خامسا: تعليق الباحث .

تمهيـــــد :

تميز الفصل الأول من هذا البحث بدراسة عن الوقت وقيمته في الإسلام ، مشتملا على ما جاء في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وأقوال السلف الصالح ٠ وفي هذا الفصل يقدم الباحث نماذ ج من أفعال السلف الصالح في عبادتهم وعلمهم ، وقد جعل الباحث أفعال أولئك السلف ـ رحمهم الله ـ في فصل مستقل ليقدم بذلك صورة واضحة جلية من حرصهم على أوقاتهم ، وجدهم واجتهادهم ، وليكون القارئ مستحضرا لهم حينما يطلع على سيرتهم من خلال هذا البحث ، يتصورهم وهم منتصبون للصلاة في الليل البهيم ، عازفين عن النوم الطويل ، يتصورهم وهم في حلقات العلم معلمون ومتعلمون ، ومرتحلون في طلب العلم من مصر لآخر ، منكبين على كراريسهم حفظا وكتابة ٠ وبذلك تراوده الرغبة في أن يحذو حذوهم ، ويكون على شاكلتهم ٠

لقد بنوا لأنفسهم مجدا عظيما ، وخلفوا لنا علما نافعا ، وكان عهدهم عهد إزدهار الأمة الاسلامية وتفوقها على غيرها من الأمم ، لأنهم أدركوا قيمة الزمن ، وعملوا جهدهم على نشر هذا الدين في الآفاق بالليل والنهار ، بالسيف والقلم ٠

ونحن في واقعنا المعاصر في حاجة ملحة لأن نتعرف على ذلك الجيل لنأخذ منه القدوة ، ولتكون لنا فيه الأسوة ، فانهم السابقون إلى كل خير وفضل ٠ ولقد كان سلفنا الصالح يشكل مفهوم الأمة التي أرادها الله مترابطة الأجزاء ، متناسقة النشاط ، لا تصطدم فيها الرغبات والنزعات ، أمة يتوجه نشاطها إلى عبادة الله

بالمعنى الشامل والخلافة عن الله في الأرض وحمل الأمانة التي أشفقت منها السموات، والأرض، وحملها الانسان .

فمن كان جديرا بحمل الأمانة فهو الناجح الفالح، ومن كان غير ذلك فهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

إن سلفنا الصالح قد أدركوا معنى الأمانة التي حملها الإنسان فحملوها، وقاموا بمسئوليتها خير قيام ولم يتأت لهم ذلك إلا باغتنام أوقاتهم فأحسنوا العمل في فرصة آجالهم، فكان سعيهم مشكورا، ونشاطهم ملحوظا، ولن يتحقق لنا اليوم ما تحقق لهم إلا إذا عملت التربية الإسلامية المعاصرة على التركيز على تلك النماذج العظيمة، لتسوق للأجيال المثل الأعلى منهم، ولتبعث في نفوس الناشئة الحب والتقدير لذلك السلف الفريد ، وتلهب مشاعرهم من أجل إعادة بناء الأمة من جديد .

والباحث حينما يقدم هذه النماذج يتوخى الترتيب الزمني فيبدأ بتقديم بعض النماذج من القرن الأول الهجري، والثاني، فالثالث، وهكذا ... إلى القرن الثامن، ولقد جرت العادة بهذا الترتيب في كثير من الدراسات خصوصا تلك التي تناولت سير الرجال والأعلام، ومن هنا لم يكن للباحث مندوحة عن هذا، إضافة إلى أن القرون تتمايز في الفضل إنطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((**خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم**)) (البخاري، ١٤٠٧ هـ، كتاب فضائل أصحاب النبي) .

وما دام الفضل للقرون الأولى ، فهم أولى من غيرهم من المتأخرين في أن نكتب عنهم أولا ، عسى الله أن ينفعنا بعلمهم ، ويأخذ بأيدينا على طريق الحق على هداهم •

سبق أن وضح الباحث في الفصل التمهيدى ـ عندما تحدث عن « موضوع البحث » ـ الأسباب التى دفعته إلى اختيار نماذج محددة من أعلام الأمة الاسلامية منذ القرن الأول وحتى القرن الثامن الهجري •

ولا مانع أن يبين الباحث هنا الأسس التي بنى عليها اختياره لهذه النماذج ، وهي كما يلي :ـ

(١) تناول الباحث فى القرن الأول والثاني للهجرة مجموعة من أعلام الفكر الإسلامي في هذه الفترة ممن كانت لهم شهرة تاريخية عظيمة في العلم ، والعبادة • فالتابعون تلقوا علومهم عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا بذلك من خير القرون ، وكان لنا الشرف العظيم أن نكتب عنهم ، ونوضح سيرتهم ونترسم خطاهم •

(٢) أما القرن الثالث والرابع فقد أورد الباحث فيه نماذج من ذوى الشأن الرفيع ، والعلم الغزير ، الذين تعتبر مؤلفاتهم وكتبهم مصادر عظيمة في الفكر الإسلامي أمثال (ابن حنبل ، والبخاري ، وإبن جرير الطبري) • وقد كانت هذه الفترة التاريخية أوج الإزدهار الفكرى والإنتاج العلمي •

(٣) ثم قدم الباحث نماذج من القرن الخامس والسادس لأن تلك الفترة كانت إمتدادا لما قبلها حيث اكتملت فيها مسيرة البناء ، وتنوعت فيها العلوم ، وامتزجت بغيرها من منتجات الحضارات الأخرى السابقة عن طريق الترجمة ومن دخل إلى الإسلام من غير العرب ، وركز الباحث على تلك النماذج التي كان لها دور واضح في الدفاع عن الفكر الإسلامي والوقوف بكل حزم في وجه المؤثرات الفكرية من أمثال الإمام الغزالي وابن الجوزى ٠

(٤) وساق الباحث مجموعة من النماذج في القرن السابع والثامن ليؤكد بذلك على علو الهمة ، وانتهاب الوقت ، وغزارة الانتاج الفكري ، وصلاح العقيدة أمثال ابن تيمية والفخر الرازي ، والذهبي ٠٠٠ وإذا علمنا أن تلك الفترة من عمر الأمة الإسلامية كانت عصيبة جدا إذ تعرضت فيها للعدوان المغولي والصليبي الشرس الذي كان يهدف إلى تدمير إنجاز الحضارة الاسلامية ، فقد وقف أولئك الرجال بجهادهم وأقلامهم في وجه العدوان وكان لهم فضل كبير في المحافظة على تراث الأمة ٠ فرحمهم الله رحمة واسعة ، ونفعنا بسيرتهم ، وجعل لشبابنا فيهم القدوة الحسنة ٠

أولا _ نماذج من القرن الأول والثاني الهجريين :

سعيد بن المسيب بن حزن (ت ٩٤ هـ) :

من أعلام التابعين ، وأشدهم حرصا على اغتنام الوقت ، وكان مثالا عظيما في عبادته ، واجتهاده في الطاعـه ، وطلب العلم ، ويقول عنه ابن الجوزي (١٤٠٩ هـ) « كان يسرد الصوم ، وروي عنه أنه ما نودي بالصلاه منذ أربعين سنة إلا وهو في المسجد ، وصلى رحمه الله الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة » (ص ٥٧) وإلى جانب حرصه الشديد على توخي أوقات الصلاة ، كان حريصا على التثبت في طلب العلم ، كثير الصبر والمجاهدة عليه ، فلنستمع إليه وهو يحدث عن نفسه بقوله « إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد » (الذهبي ، ١٣٧٧ هـ ، ص ٥٥) ٠

إنه في سيرته هذه خير مثال للإنسان المسلم الذي يدرك مسئوليته تجاه وقت عمره ، وحكمة وجوده ، فهو يتحمل مشاق السفر مع قلة الزاد والراحلة في ذلك الوقت ، من أجل أن يتعلم حديثا واحدا ، ويتثبت في نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكفى به مثلا لطالب العلم ٠

وللباحث وقفة أخرى مع علم من أعلام الأمة الإسلامية ، وإمام من أئمتها الفضلاء صاحب المذهب المشهور ، إنه الإمام :

أبوحنيفة النعمان (ت ١٥٠ هـ) : الذي كان غزير العلم ، شديد الكلف بطلبه ، لم يضيع من وقته شيئا منذ أن كان يافعا ، حدث عنه خلق كثير ذكر منهم الذهبي تسعا وتسعين ، وكان ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه ، وقد

قال عنه الإمام مالك بن أنس حينما سئل هل رأيت أبا حنيفة ؟ « قال نعم • رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته » (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٦ ، ص ٢٩٩) • وقال عنه الشافعي « الناس عيال على أبي حنيفة في الفقـه » (الصالحي ، ١٣٩٤ هـ ، ص ١٨٧) • ويقول عنه الذهبي (١٤٠٢ هـ) « الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام ، وهذا أمر لا شك فيه •

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل (ص ٤٠٢)

ومن الدلائل على اغتنامه للوقت ، وشدة وجله من الآخرة ، وقسوته على نفسه في الصلاة أنه قام يردد قوله تعالى : ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ ويبكي ويتضرع إلى الفجر (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ) •

ولا أدل على أن هذا الإمام من أعلام الفكر الإسلامي في أن مذهبه قد طبق الآفاق يأخذ به كثير من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فلولا أنه كان حجة وثبتا ومواظبا على طلب العلم ، والإجتهاد فيه ما حصل له هذا الذيع الصائت ، والرتبة العالية •

وكانت خطته في تنظيم وقت يومه أنه كان يصلي الغداة في المسجد ، ثم يجلس للناس في العلم إلى أن يصلي الظهر ، ثم يجلس إلى العصر ، ويقوم للصلاة ، ثم يجلس للعلم بعدها إلى أن تحين صلاة المغرب ، فإذا صلاها جلس للتعليم إلى العشاء ، ثم يصليها ، وينصرف إلى بيته • ولما يهدأ الناس يخرج إلى المسجد متعطرا ، وفي غفلة من الناس ، ولا يزال منتصبا للصلاة إلى أن يطلع الفجر ، ثم يرجع إلى بيته فيتوضأ لصلاة الغداه ، ويخرج إلى المسجد فيصلي • ثم يجلس للناس إلى صلاة الظهر •

وهكذا حتى أن بعض تلاميذه يحدث عنه فيقول : ما رأيت أبا حنيفه بالنهار مفطرا ، ولا بالليل نائما • (الصالحي ، ١٢٩٤ هـ)

وقد حج رحمه الله خمسا وخمسين حجة ، ومما ذكر فيه من الشعر الذي يدل على علو همته ونشاطه الذي لا مثيل له :

نهار أبي حنيفـــة للإفاده	وليل أبي حنيفة للعبـــاده
وسورة زلزلت قد زلزلتـــه	بسورتها وقد سلبت فؤاده
وودع نومه خمسين عاما	بطاعته وخداه الوســـاده

(الصالحي ، ١٢٩٤ هـ ، ص ٢٢٢)

نعم كان أبو حنيفة مثلا أعلى منظما لوقته مغتنما دقائقه وساعاته ، نهاره يقضيه في تعليم الناس ، وليله يقضيه في عبادة الله صلاة وقياما ودعاء • فمن أين لنا بمثله رحمه الله ؟ لقد بنى لنفسه مجدا عظيما تذاكره الأجيال جيلا بعد جيل ، ولولا أنه كان كذلك من الجهد والحرص عظيم الصبر ، عالي الهمة حسن النية ما نال هذه الشهرة التى طبقت الآفاق فكأني به وقد وعى المثل القائل « من طلب العلا سهر الليالي » فآثر السهر المضني على النوم المريح ، والتعب والمجاهدة على الدعة والراحة • فقد قيل : ما اشتار العسل من اختار الكسل • فالمعالي لا يدركها الإنسان إلا بالنصب وانتهاب الوقت واغتنامه •

ويتوقف الباحث عند أحد النماذج العظيمة وهو :

عبدالرحمن الأوزاعي (ت ١٧٥) الذي قال عنه الخريبي : « كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه » (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٧ ، ص ١١٢) وقال أبو مسهر : كان يحي الليل صلاة ، وقرآنا ، وبكاء » (الذهبي ، ١٢٧٧ هـ ، جـ ١ ، ص ١٧٩) •

وكان رحمه الله شديد المراقبة للوقت ، كبير الهمة في اغتنامه ، كثير الندم على ما يفوت منه دون فائدة ، يؤيد هذا ما يقوله في هذا المعنى : « ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يوما فيوما ، وساعة فساعة ، ولا تمر به ساعة لم يذكر الله تعالى فيها إلا انقطعت نفسه عليها حسرات ، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ، ويوم مع يوم وليلة مع ليلة »

(الأصفهاني ، ١٣٥٧ هـ ، جـ ٦ ، ص ١٤٢) ٠

فمتى تنقطع نفس المفرط حسرات ؟ إنه الوقت الذي لا يستطيع أن يزيد في حسناته شيئا ، ولا ينقص من سيئاته شيئا ٠ قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ٩٩ _ ١٠٠) ٠

فالأوزاعي خير مدرك لهذه الحقيقة _ حقيقة انصرام الأجل ، وبقاء العمل _ فكان عمله عظيما لا يقدر عليه إلا أقل الرجال « قال الوليد بن مسلم : رأيت الأوزاعي يثبت في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس » (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٧ ، ص ١١٤) وبجانب اجتهاده في العبادة كان من فقهاء الأمة ، وعلمائها ، فقد أخذ عن ثمانية وثلاثين من أئمة الحديث ، وعلماء التابعين ذكرهم الذهبي (١٤٠٢ هـ) بأسمائهم ، وروى عنه أنه كتب ثلاثة عشر فنداقا (*) احترقت زمن الرجفة التي أصابت الشام سنة ١٣٠ هـ (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ) ٠

(*) فنداق : صحيفة (الفيروز آبادي ، ١٣٧١ هـ) ٠

فإذا كان الأوزاعي ـ رحمه الله ـ على هذا القدر من العمل والعلم والحرص على اغتنام فرصة عمره فهو جدير بأن يكون مثلا يحتذى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ٠

حماد بن سلمة (ت ١٦٧ هـ) :

ومع نموذج آخر من سلفنا الكرام، الذي كان فعله خير شاهد على تقديره للوقت ٠ فقد روى الذهبي (١٤٠٢ هـ) « قال عبدالرحمن بن مهدي : لو قيل لحماد بن سلمة : إنك تموت غدا ما قدر أن يزيد في العمل شيئا »(جـ ٧ ، ص ٤٤٧) فماذا يفهم الباحث من هذا القول ؟ إن الوقت لدى حماد بن سلمة كان مملوءا عبادة وعلما ، فليس لديه برهة يسيرة من الزمن يكون فيها فارغا يستطيع أن يضيف فيها شيئا من عمل الخير إلى ما كان يفعله حتى لو أخبر بأنه سيموت في الغد ٠ كانت حياته جادة نشيطة لا تعرف الكلل، ولا يجد السأم والملل إلى نفسه سبيلا ٠

يزيد في هذا القول وضوحا ما يقوله الذهبي (١٤٠٢ هـ) « قال عفان : قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة ، لكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير ، وقراءة القرآن ، والعمل لله تعالى منه »(جـ ٧ ، ص ٤٤٧) ٠ وقد كتب من الحديث بضعة عشر ألفا ، وما شوهد ضاحكا ، كان مشغولا إما يحدث وإما يقرأ ، أو يسبح ، أو يصلي ، قد قسم نهاره على هذه الأعمال ٠ (الأصفهاني ، ١٢٥٧ هـ) ٠

وهو بهذا يستحق أن يكون علما من أعلام الأمة ، وقدوة صالحة لغيره من طلاب العلم ، حيث أسند عن كثير من التابعين ، وكان ثقة عند كثير من رجال

الحديث ، يقول فيه الإمام أحمد بن حنبل : هو عندنا من الثقات ما نزداد فيه كل يوم إلا بصيرة • (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ)

عبدالله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) :

هو الذي أخذ عن بقايا التابعين ، وطوف في البلاد من أجل طلب العلم ، وفي الغزو ، والتجارة • وكان كثير الإنفاق على الإخوان في الله وتجهيزهم معه إلى الحج ، وقد عد الباحث شيوخه ممن أوردهم الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء) فوجدهم أربعة وثلاثين شيخا ، وحديثه حجة بالإجماع • يقول ابن الجوزي (١٤٠٩ هـ) « قيل لابن المبارك : إذا صليت معنا لم تجلس معنا ؟ قال : أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين ، قلنا له : ومن أين الصحابة والتابعون ؟ قال : أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم ، ما أصنع معكم ؟ أنتم تغتابون الناس ، فإذا كانت سنة مائتين فالبعد من كثير من الناس أقرب إلى الله ، وفر من الناس كفرارك من أسد ، وتمسك بدينك يسلم لك » (ص ١٢٢) •

فأي حفظ للوقت أكثر من هذا ؟ وأي حرص على الوقت أفضل من حرص هذا الرجل الذي بذل وقته كله لعبادة الله ، وخلوته في طلب العلم ؟ لا يحب مجالسة الناس على فراغ لأن المجالس الفارغة تجر إلى الغيبة التي تجر بدورها إلى اكتساب الإثم ، وإهدار الوقت • فأكرم به من رجل عرف للوقت قيمته ، وآثر العزلة على مخالطة الفارغين الذين يهدرون أوقاتهم لهوا ولعبا • وإذا كان ابن المبارك يرى أن سنة مائتين للهجرة فيها من الفتن والعلائق ما يضيع الوقت ، ويسلب الزمن من

المسلم فكيف به لو اطلع علينا في واقعنا اليوم، وما نحن فيه من إهدار للوقت وعدم اكتراث بما يضيع منه دونما فائدة.

يقول الذهبي (١٤٠٢ هـ) « قال سفيان : إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام » (ص ٢٨٦) . فإذا كان سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ وهو من هو في العلم والفضل، يتمنى أن يعمل في عمره كله ما يعمله ابن المبارك في سنة واحدة، فإن في هذا دليل على أن عبدالله بن المبارك كان حريصا كل الحرص على ألا يصرف وقته إلا فيما يعود عليه بالنفع في دنياه وآخرته، وكان كثير الصيام والقيام، سئل مرة إلى متى يكتب الحديث ؟ فأجاب : « لعل الكلمة التي أنتفع بها ما كتبتها بعد . » (ابن الجوزي، ١٤٠٩ هـ، ص ١٢٤) ففي قوله توجيه إلى طلاب العلم باستمرارية التعلم، وأن الإنسان مهما بلغ من العلم فما زال بحاجة إلى المزيد منه، ولن يكسب العلم إلا من عقد العزم عليه، وصبر على مكابدته، وداوم على طلبه، وصرف الوقت في مجالسة أهل العلم، وخزائن كتبه.

ويود الباحث أن يشير إلى أن ابن المبارك مع علمه واجتهاده في العبادة كان مجاهدا يخرج للقتال في الثغور، فقد روي عنه أنه كان في سرية في بلاد الروم فصادف العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو يطلب المبارزة فخرج إليه رجل من جيش المسلمين وتجاولا ساعة، ثم صرعه المسلم، فخرج من العدو ثان فقتله ذلك المبارز المسلم، فثالث يخرج إليه فيقتله، ثم ازدحم عليه

الناس ، وكان ملثما فأخذ رجل بطرف ردائـه فإذا هو ابن المبارك رحمه الله رحمة واسعة • (ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ) •

وكان يرى أن القيام على أمر العيال ، وطلب الكسب والمعاش من أفضل الأعمال ، ولا يعدله شيء حتى الجهاد في سبيل الله لأن في ذلك حصانة للرجل من أن يريق ماء وجهه ويتكفف الناس (المصدر السابق) •

فهكذا كان ابن المبارك نموذجا في تاريخنا ، وعلما من أعلام أمتنا ، وحق لنا أن نتخذه مثلا ، نموذجا في عبادته ، نموذجا في علمه فقد تعلم وعلم ، وارتحل إلى أمصار كثيرة من أجل طلبه ، وجلس للطلاب في مجالس العلم بعيدا عن الريب والشبهات ، مجاهدا آخذا بعنان فرسه في سبيل الله ، موازنا بين دنياه وآخرته ، نفعنا الله بسيرته •

ثانيا _ نماذج من القرنين الثالث والرابع :

يحي بن معين (ت ٢٢٢ هـ) :

كان أحد المحدثين الكبار ، كتب العلم وهو ابن عشر سنين ، كان أبوه من النبلاء الأغنياء ، ترك له ألف ألف درهم فأنفقها كلها على تحصيل الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه ، وقال عن نفسه رحمه الله : كتبت بيدي هذه ست مئة ألف حديث (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ) ٠ فهكذا يكون الحرص على طلب العلم ، وعلو الهمة ، وإدراك معنى الحياة وقيمتها عند رجل يعزف عن الدنيا والأموال العظيمة ، ويصرف جل وقته ، واهتمامه لطلب العلم حتى يفتقر إلى ثمن نعل يلبسها ، ولكنه لم يندم بل زاحم العلماء وكان في موقع الصدارة بينهم ، وبنى لنفسه مجدا عظيما ، ونفع الله بعلمه خلقا كثيرا ٠

خلف _ رحمه الله _ من الكتب مائه قمطر (*) وثلاثين قمطرا وأربعة حباب (*) شرابية مملوءة كتبا (ابن خلكان ، ١٩٧٢ م) ٠

ويقول الذهبي (١٣٧٧ هـ) « قال ابن المديني : لا نعلم أحدا من لدن آدم عليه السلام كتب من الحديث ما كتب يحي ابن معين » (جـ ٢ ، ص ٤٣٠) ٠

(*) القمطر : سقط يسوى من القصب تحفظ فيه الكتب ٠

(*) الحباب : جمع حب بضم الحاء ٠ وهو الجرة الكبيرة الضخمة ٠

(الفيروز آبادي ، ١٢٧١ هـ) ٠

فأي رجل هذا ؟ وكيف كان اغتنامه للوقت رحمه الله ؟ إنه بلا شك لا يضيع شيئا من وقته ، وليس للعبث والهزل إلى وقته سبيل ، ولو لم يكن كذلك ما ترك هذا التراث الفكري العظيم .

ومن الأئمة الأربعة ذوي الفضل ، والاجتهاد « **أحمد بن حنبل** » (ت ٢٤١) فمما يدل على تعظيمه للوقت ، وحرصه عليه أنه حفظ ألف ألف حديث ، ولقد سئل عنه أبو زرعة : « من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ ؟ ، قال : أحمد بن حنبل . حرر كتبه اليوم الذي مات فيه فبلغت إثنى عشر جملا وعدل ، ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ، ولا في بطنه حدثنا فلان ، وكل ذلك كان يحفظه من ظهر قلبه (ابن الجوزي ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٦٠) . فهذا أكبر دليل على أن الإمام ـ رحمه الله ـ كان يصرف أوقاته في كتابة العلم وحفظه ، وليس أمرا هينا أن يبلغ علم أحد ، وما يحفظ حمل إثنى عشر جملا وزيادة ، ولهذا كان أحمد بن حنبل إماما في الفقه والحديث له مذهب من مذاهب أهل السنة ، ومدرسة لازالت قائمة ـ والحمد لله ـ على قدم وساق مع الحنفية ، والمالكية ، والشافعية .

وكان رحمه الله لا يمل من طلب العلم نهما في أخذه عن أهله حيث كان يصلي العتمة مع وكيع ، ثم ينصرف وكيع إلى بيته ، ومعه ابن حنبل فيقف على الباب ، ويأخذ بعضادتيه ويذاكره الحديث حتى يطلع الفجر ، وهما في مكانهما على مدخل الدار (ابن الجوزي ، ١٤٠٢ هـ) . يقول الذهبي (١٤٠٢ هـ) : « عدة شيوخه الذين روى عنهم في « المسند » مئتان وثمانون ونيف » (ص ١٨١) ومما يدل على جديته ، وبغضه لعبث القول وفضوله . أنه إذا دخل على يزيد بن هارون وكان من شيوخه ، وفيه

دعابة ترك المزاح هيبة من ابن حنبل فيقول الذهبي(١٤٠٢ هـ) : قال أحمد بن سنان القطان : ما رأيت يزيدا لأحد أشد تعظيما منه لأحمد بن حنبل ، ولا أكرم أحدا مثله ، كان يقعده إلى جنبه ، ويوقره ، ولا يمازحه »(ص ١٩٤) وكان له في العبادة شأن عظيم ، يصلي في كل يوم ، وليلة ثلثمائة ركعة ، وحينما مرض بسبب الضرب الذي لحقه من المأمون في قضية خلق القرآن كان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة وقد قربت سنه من الثمانين ، وكان يقرأ في كل يوم سبعا ، يختم في كل سبعة أيام ، وكان إذا صلى العشاء الآخره ينام نومة خفيفة ، ثم يقوم إلى الصباح يصلي ، ويدعو • ويحدث عنه إبنه عبدالله فيقول : « حج أبي خمس حجات ، ثلاث حجج ماشيا واثنتين راكبا » (ابن الجوزي ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٩٠)•

وله ـ رحمه الله ـ شعر بدير في مناصحة المسلمين لاغتنام أيام العمر ، ومحاسبة النفس على الهفوات ، وجوانب القصور ، ومما قاله :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقـل
خلوت ولكن قل علي رقيـــب
ولا تحسبن الله يغفل ســـاعة
ولا أن ما تخفي عليه يغيـــب
لهونا عن الأعمال حتى تتابعـــت
ذنوب على آثارهن ذنــــوب
فياليت أن الله يغفر ما مضــــى
ويأذن في توباتنا فنتــــوب
إذا مامضى القرن الذي انت فيهـم
وخُلِّفت في قرن فأنت غريـــب

(ابن الجوزي ـ مناقب الامام أحمد ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٠٥)

رحم الله إبن حنبل ، وجعل منه القدوة لشبابنا ، ينتفعون بسيرته في حياته ، ويأخذون منه المثل في الاشتغال بالعلم والعبادة حتى يبارك الله لهم في أوقاتهم ، ويزيدهم رغبة في الحرص على ساعات العمر من أن تضيع سدى .

محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) :

وهذا المحدث الكبير والحافظ الثقه محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الصحيح في الحديث المعروف « بصحيح البخاري » وله « التاريخ الكبير » كان من أشد الناس حرصا على الوقت ، بدأ يحفظ الحديث ، وعمره يقل عن عشر سنين (ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ) . ويحدث عن نفسه فيقول : « فلما طعنت في سن ست عشرة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع ، ثم خرجت مع أمي وأخي إلى مكة فلما حججت رجع أخي ، وتخلفت بها في طلب الحديث ، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين ، وأقاويلهم ، وصنفت كتاب التاريخ عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمره » (ابن الجوزي ، ١٤٠٦ هـ ، جـ ٤ ، ص ١٤٧) وقد لقي أكثر من ألف رجل من أهل العلم من الحجاز ، والكوفة ، والبصرة ، وواسط ، وبغداد ، والشام ، وأخرج صحيحه في الحديث من مجموع ستمائة ألف حديث (ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ) .

أما عن عبادته فكان رحمه الله يجتمع بأصحابه في أول ليلة من رمضان ، فيصلي بهم ، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية حتى إنه يختم القرآن كل ثلاث ليال .

ويحدث عنه محمد بن أبي حاتم فيقول : « كنت أرى أبا عبدالله يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه • وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحده » (ابن الجوزي ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١٤٨) •

ويقول عنه الذهبي (١٣٧٧ هـ) « وكان رأسا في الذكاء ، رأسا في العلم ، ورأسا في الورع ، والعبادة » (ص ٥٥٥) • فبهذه الصفات استحق إمامنا البخاري أن يكون نموذجا فريدا في المحافظة على الزمن ، وقضائه فيما ينفع ، وكانت حياته مليئة بالعلم والعمل في عبادة الله ، وترك لنا تراثا عظيما تنتفع به أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما شاء الله ، وهو صحيحه في الحديث الذي لا مثيل له مع صحيح مسلم في المكتبة الإسلامية •

ومن علماء الأمه وفقهاء الشافعية « **أبوالعباس بن سريج** »(ت ٣٠٦) الذي كان إماما في الحديث والفقه ، تصدر لاشتغال بالعلم ، وتفقه على يديه خلق كثير ، وقد بلغت فهرسة كتبه أربعمائة مصنف ، ويعتبره بعض أهل العلم من الأئمة الذين يجددون للأمة أمر دينها على رأس كل مائة سنة فقد سبقه الخليفة عمر بن عبدالعزيز على رأس المائة الأولى • والإمام الشافعي على رأس المائة الثانية ، وابن سريج على رأس المائة الثالثة • (الذهبي ، ١٢٧٧ هـ) •

ومما يدل على حرصه العظيم على طلب العلم ، وقطع السنوات العديدة في طلبه ما يقوله في نظمه :

لصيق فؤادي منذ عشرين حجة　　وصيقل ذهني والمفرج عن همي
عزيز على مثلي إعارة مثلـــه　　لما فيه من علم لطيف ومن نظـم
جموع لأصناف العلوم بأسرها　　فأخلق به أن لا يفارقه كمـــي

(السبكي ، ١٢٢٨٤ هـ ، ص ٢١)

أتدرون ماذا يعنيه ابن سريج في أبياته السابقة ؟ إنه يعني الكتاب الذي يضم بين جنباته العلم بفنونه المتعددة ، قريب إلى قلبه لا يبارحه لحظة من وقته ، صرف في مطالعته عشرين سنة من عمره ، وصقل ذهنه بمعارفه ، وفرج همومه بما يحمل من الخير ، يعز عليه أن يفارقه ، فهو دائم الاشتغال به ٠ وهكذا كان ابن سريج نموذجا ومثلا جديرا أن نتخذ منه القدوة الحسنة ٠

ويتوقف الباحث عند **ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)** فهو العلامة الحافظ صاحب التصانيف الكثيرة في القرآن وعلومه والحديث ، والتاريخ والسير ، كان أحد الأئمة يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته ، وفضله ، جمع من العلوم شيئا عظيما لم يكن لأحد مثل ما جمع ، حافظا لكتاب الله مدركا لعلومه ، عالما بالسنن ، عارفا بأحوال الصحابة ، والتابعين ، له التاريخ المشهور المعروف ب « تاريخ الرسل ، والملوك » وهو من الكتب الجامعة ، وله أيضا « تاريخ الرجال » يعرض فيه كل ما وقف عليه مكتوبا ، أو مسموعا ، وكتاب « جامع البيان في تفسير القرآن » ، وهو من أفضل التفاسير بالمأثور ٠ (الموسوعة العربية الميسرة ، ١٤٠٧ هـ) ٠

وكان رحمه الله من أكثر الناس محافظة على وقته ، فلم يعرف عنه أنه صرف من أيامه شيئا في غير فائدة ، فهو دائم الاشتغال بالعلم ، ومخالطة أهله ، ولم يعرف

قبله أحد كتب في العلم مثل ما كتب فقد قيل عنه : أنه مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة ، وحسبت مصنفاته ، ثم قسمت على المدة التى عاشها بعد بلوغه الحلم فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة (الذهبي ، ١٢٧٧ هـ) ٠

فإذا كان رحمه الله يكتب كل يوم منذ أن ناهز الحلم أربع عشرة ورقة فيكون مجموع ما صنف نحو ٣٦٠ ألف ورقة ما يخص تاريخه وتفسيره منها حوالي ٩ آلاف ورقة فكم تبلغ مؤلفاته الأخرى إنها تزيد على ٣٥٠ ألف ورقة ٠ فلله دره ما أعظمه من رجل عرف للوقت قيمته ، وسخره لإخراج هذا الزخم الهائل من العلم !! ٠

وهذا نموذج آخر من أسلافنا الكرام « **ابن شاهين** » (**٢٨٥ هـ**) الذي حدث عن نفسه بأنه صنف ثلاث مائة وثلاثين مصنفا في أبواب العلم المختلفة منها : التفسير الكبير ألف جزء ، ومنها المسند في ألف وثلثمائة جزء ، والتاريخ مائه وخمسون جزءا ، والزهد مائة جزء ٠ ويروى عنه أنه اشترى حبرا للكتابة بسبع مائة درهم (الذهبي ، ١٢٧٧ هـ) فرجل كهذا لابد أن يكون ممن أدركوا قيمة وشرف الزمان ، ففي كثرة مصنفاته ما يدل على هذا ، إضافة إلى ما أنفقه من الدراهم على شراء الحبر الذي يكتب به ، فلو قسمت الأوراق التي خطها بيده على أيام عمره منذ عرف الكتابه والتأليف لأصبح نصيب كل يوم منها يزيد على خمس ورقات ٠ يقول ابو غدة (١٤٠٧ هـ) « الجزء في عرف الأقدمين هو ما يعادل في زماننا ثلاثين صفحة من القطع الوسط المعتاد اليوم » (ص ٢٢) فكيف لا نتخذ من أولئك

الأعلام لنا مثلا ! وهم السابقون في الفضل ، وهم المدركون لحقيقة الحياة التي يجب أن تقوم على أساس واحد وهو عبادة الله وحده ، ولا يتأتى ذلك حتى يدرك الإنسان رسالته التي أنيطت به من القيام بأوامر الله ، وعمران الأرض علما وعملا فإذا أراد المسلمون في واقعنا المعاصر أن تستقيم أمورهم وأن يعيدوا بناء قد تهدّم ومجدا قد غَبَرَ فما عليهم إلا أن يدركوا حقيقة ما أدرك أولئك القوم من شرف الزمان ، وعلو مكانته .

نماذج من القرنين الخامس والسادس :

من أعلام هذه الفترة :

أبوبكر أحمد بن الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) • صاحب تصانيف كثيره منها « تاريخ بغداد » الذي لم يكن لأحد مثله ، ومصنفاته تزيد على الستين مصنفا •(السبكي ، ١٢٨٥ هـ) • يصفه ابن ماكولا فيقول « كان أبو بكر آخر الأعيان ، ممن شاهدناه معرفة ، وحفظا ، وإتقانا ، وضبطا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفننا في علله وأسانيده ، وعلما بصحيحه وغريبه ، وفرده ومنكره ، ومطروحه » (السبكي ، ١٢٨٥ هـ ، ص ٢١) إن هذا لم يأت من فراغ بل حققه البغدادي بفضل جهده واغتنامه لوقته ، ورحلته في طلب العلم إلى الأقاليم حتى سارت بذكره الركبان •

يقول الذهبي (١٣٧٧ هـ) : « قال مؤتمن الساجي : ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني مثل الخطيب » • (ص ١١٢٧) •

وكان رحمه الله يختم كل يوم ختمة • ويجتمع عليه الناس بعد انصرافه من الدرس فيقولون له : حدثنا • فيحدثهم وهو راكب • (السبكي ، ١٢٨٥ هـ) • ومما يروى عنه من الشعر الذي يدل على بعده عن الهزل وملازمته للجد في كل أحواله ما يقوله :

إن كنت تبغي الرشاد محضا لأمر دنياك والمعـــــاد
فخالف النفس في هواهـــــا إن الهوى جامع الفسـاد

(الذهبي ، ١٢٧٧ هـ ، ص ١١٤٥)

نعم إن الهوى أساس كل بلية ، دافع إلى العبث والفراغ المذموم ، مانع عن الفضيلة والعمل والجد والمثابرة •

عبدالله بن محمد الأنصاري ـ الهروي (ت ٤٨١ هـ)

وهو من النماذج العظيمة في هذه الفترة من تاريخ أمتنا المجيد • يقول عنه ابن رجب (١٣٧٢ هـ) : « وكان سيدا عظيما ، وإماما عالما عارفا ، وعابدا زاهدا ، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات ، كثير السهر بالليل ، شديد القيام في نصر السنه والذب عنها والقمع لمن خالفها » (جـ ١ ، ص ٥١) •

وكان رحمه الله يحفظ كثيرا مما كتبه أهل العلم في أبوابه المختلفة فحينما يتكلم في تفسير آية من القرآن يذكر أكثر من مائة تفسير لعلماء سابقين ، وكان يحفظ اثني عشر ألف حديث يسردها سردا • سُئل مرة عن تفسير آية فأنشد أربعمائة بيت من شعر الجاهلية في كل بيت منها لغة تلك الآية(ابن رجب ، ١٢٧٢ هـ)• فماذا بعد هذا الحفظ ؟ إنه بلا شك من النماذج الفريدة التي ملأت حياتها بالعلم والعمل ، والتي تركت تراثا فكريا كبيرا تناولته أيدي المتأخرين ـ بحثا ودراسة ـ دون كبير عناء •

ومع استمرار الباحث في عرض صور مشرقة من حياة السلف الصالح ، وأفعالهم العظيمه التي دأبوا عليها يبرز مثل رائع هو :

أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) :

كان أبو حامد الغزالي أعجوبة زمانه، وفريد عصره، الذي يقول عنه الذهبي (١٤٠٥ هـ) « قال ابن النجار : أبو حامد إمام الفقهاء على الإطلاق، ورباني الأمة بالإتفاق، ومجتهد زمانه، وعين أوانه، برع في المذاهب، والأصول، والجدل، والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وفهم كلامهم، وتصدى للرد عليهم، وكان شديد الذكاء، قوي الإدراك، ذا فطنة ثاقبة، وغوص على المعاني حتى قيل : إنه ألَّفَ « المنخول » فرآه أبو المعالي فقال : « دفنتني وأنا حي فهلا صبرت الآن، كتابك غطى على كتابي » (جـ ١٩، ص ٢٢٥).

تعلم الغزالي القرآن والفقه ببلدته طوس أولا، ثم رحل منها إلى نيسابور في مرافقة جماعة من طلبة العلم، وارتحل إلى بغداد، فلازم إمام الحرمين الجويني فبرع في الفقه في مدة يسيرة، ثم برع في علوم الكلام، والجدل حتى أصبح من عيون المناظرين، وطوف في البلاد من أجل العلم، وقصد الحج ثم بيت المقدس فدمشق ثم ارتحل إلى الإسكندرية، واستقر به المطاف أخيرا في طوس.

جلس للعلم، وشرع في التصنيف، وشاع ذكره وعمره لم يتجاوز الثلاثين. له من المصنفات الكثير الذي لا حصر له، ويسوق الباحث شيئا من هذه المصنفات ليكون ذكرها حجة له على مدى اغتنامه لوقته، وأن حياته كانت غنية بالعطاء، والانتاج الفكري العظيم الذي تتدانى أمامه همم الرجال، فمن هذه المؤلفات « إحياء علوم الدين » و « الاربعين » و « القسطاس » و « محك النظر » وكتاب « تهافت الفلاسفه » و « كيمياء السعاده » و « المعتقد » وكتاب « إلجام

العوام » وكتاب « الرد على الباطنية » و « معتقد الأوائل » وكتاب « جواهر القرآن الكريم » و « الغاية القصوى » وكتاب « فضائح الإباحية » و « مسألة عوز الدور » وكتاب « الوسيط » و « البسيط » و « الوجيز » و « الخلاصه » ، في الفقه ، وكتاب « المنحول والمنتحل في علم الجدل » و « معيار العلم » و « المنقذ من الضلال » و « كتاب المقاصد » و « المضنون به على غير أهله » ، وكتاب « مشكاة الأنوار » و « المقصد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى » وكتاب « حقيقة القولين » ، وغيرها من الكتب النافعة (الذهبي ، ١٤٠٥ هـ) و (ابن خلكان ، ١٢٩٧ هـ) .

وبالنظر إلى كثرة هذه التصانيف يبدو لنا الجهد العظيم الذي بذله الغزالي في تحصيل العلم ، والوقت الذي مكثه في تصنيف وكتابة هذا الزخم الكبير ، يعلم تلامذته ، ويقرأ لغيره ، ويستحلب أفكاره ، ويستلهم خواطره ، ويرتبها ، ويصفف أوراقه ورقاعه ، ويبري أقلامه ، ويكتب هذه التصانيف التي يندر أن يجود أحد بمثلها .

ليست لديهم في ذلك الزمان أقلام مرنة كلما جف قلم رمى به ليستبدل غيره ، وليست صحائفهم وأوراقهم متوفرة كوفرتها اليوم ، وناعمة كنعومة أوراق اليوم التي تنساب عليها الأقلام إنسيابا بل كانت خشنة تحتاج إلى جهد في الكتابه عليها ، ومع هذه المكابدة والجهد يكون ذلك الإنتاج الوفير .

ويقدم الباحث مقتطفات يسيره من أقوال الغزالي (١٩٥٥ م) التي تدل على حرصه الشديد على الوقت واستغلاله في طلب العلم ، حيث كان يختلس من وقته شيئا يسيرا لتعلم الفلسفة والاطلاع على حقيقتها ، مع أنه مشغول دائما في التصنيف ،

والتدريس • فهو يقول :

« فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب ، بمجرد المطالعة ، من غير استعانة بأستاذ • وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي ، من التصنيف ، والتدريس في العلوم الشرعيه وأنا ممنو(*) بالتدريس ، والإفادة لثلاثمائة نفس ، من الطلبة ببغداد • فأطلعني الله سبحانه وتعالى ، بمجرد المطالعه في هذه الأوقات المختلسة ، على منتهى علومهم في أقل من سنتين • ثم لم أزل أواظب على التفكر فيه ، بعد فهمه ، قريبا من سنة ، أعاوده وأراوده وأتفقد غوائله ، وأغواره حتى أطلعت على ما فيه من خداع ، وتلبيس ، وتحقيق ، وتخييل ، إطلاعا أشك فيه » • (ص ٩٤ ، ٩٥) •

فمتى تكون هممنا نحن الخلف كهمم أولئك السلف لنبني ما بنوا ، ونكسب من أعمارنا ما كسبوا ، وإن الباحث ليتمثل قول الفرزدق وهو يخاطب جريرا :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

(ديوان الفرزدق ، ١٢٨٦ هـ ، جـ ١ ، ص ٤١٨) •

أبو الوفاء علي بن عقيل (ت ٥١٢ هـ) :

من آبائنا الكرام وعلمائنا الأفاضل الذي عدد شيوخه ممن أخذ عنهم في أبواب العلم المختلفه فبلغوا أكثر من عشرين شيخا ، ويحدثنا عن نفسه فيقول : « وعصمني الله في عنفوان شبابي بأنواع من العصمة ، فقصر محبتي على العلم وأهله ، فما خالطت لعابا قط ، ولا عاشرت إلا أمثالي من طلبة العلم » (ابن رجب ١٢٧٢ هـ ، جـ ١ ، ص ١٤٢) • فلم يكن إلى ضياع وقته من سبيل ، كان ذا همة عالية ، حريصا

(*) ممنو : مبتلى (الفيروز آبادي ، ١٢٧١ هـ) •

على الإفادة من ساعات عمره في علم أو عبادة أو تفكر . فلنستمع إليه وهو يقول : « إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح ، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره . وإني لأجد من حرصي على العلم ، وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة » (ابن رجب ، جـ ١ ، ص ١٤٥) .

يتبين لنا من حديثه السابق أنه شديد الاحترام والتقدير للوقت حريص على ألا يصرفه إلا فيما يعود عليه بالنفع . حتى الساعات التي خصصها لراحته لا تخلو عنده من الاستثمار ، يفكر فيها ويجول بخاطره حتى إذا طرأت له فكرة جديرة بالتدوين قفز من فوره باحثا عن قلمه وقرطاسه لتدوينها ، ومن المؤشرات على نهمه في طلب العلم واستباق الزمن ما يقوله : « أنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي . حتى أختار سف الكعك وتحسيه بالماء على الخبز ، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ ، توفرا على مطالعة ، أو تسطير فائدة ، لم أدركها فيه » (ابن رجب ، ١٣٧٢ هـ ، جـ ١ ، ص ١٤٦) .

فهكذا كان ابن عقيل القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى لمن عرف قيمة الزمن ، وأن ما فات منه لا يعوض . رجل يرى أن مضغ الخبز يضيع من وقته فيعزف عنه إلى الفتيت الذي لا يحتاج إلى المضغ بل يحتسيه بالماء ، من أجل أن يفرغ من أكله بسرعة ، ثم ينصرف إلى القراءة والكتابة . ومن هنا كان له باع طويل في التأليف في أبواب متفرقة من العلم ، ومن أشهر كتبه « الفنون » الذي يحوي فوائد

جمة في أغراض متعددة من وعظ ، وتفسير ، وفقه ، وأصول ، ونحو ولغة ، وشعر ، وتاريخ ، وحكايات ، ومناظرات ، وخواطر . « قال ابن الجوزي : هذا الكتاب مائتا مجلدة وقع لي منه مائة وخمسون مجلدة » (جـ ١ ، ص ١٥٦) .
ويقول الذهبي (١٤٠٥ هـ) « حشد فيه كل ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة ، وما يسنح له من الدقائق ، والغوامض ، وما يسمعه من العجائب والحوادث » (جـ ١٩ ، ص ٤٤٥) .

ومن كتبه الأخرى كتاب « الفضول » في عشر مجلدات ، وكتاب « عمدة الأدلة » وكتاب « المفردات » و « المجالس النظريات » ثم كتاب « التذكرة » في مجلد واحد ، وكتاب « الإشارة » وكتاب « المنثور » وله « الإرشاد في أصول الدين » و « الواضح في أصول الفقه » و « الإنتصار لأهل الحديث » و « نفي التشبيه » وله كتاب « تهذيب النفس » و « تفضيل العبادات على نعيم الجنات » وله مسائل أخرى في « الحرف والصوت » و « مسائل مشكلة في آيات من القرآن » وله مجموعة من الأحاديث سئل عنها فأجاب . (ابن رجب ، جـ ١ ، ١٢٧٢ هـ) .

مات ابن عقيل ـ رحمه الله ـ ولكن ذكره لم يمت فمازال يتردد على مسامعنا من خلال هذا العلم العظيم ، فقد خلف تراثا يعد عملا صالحا تنهل منه الأجيال . كان هذا التراث نتيجة حتمية لاغتنام وقته ، وفرصة أجله الذي منحه الله إياه . فأنعم به من مغتنم ، وأكرم به من مجتهد سباق .

ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) :

وهو الذي عرض الباحث نبذة من أقواله ـ في الفصل الأول ـ حول قيمة الوقت ، والآن يقدمه نموذجا في فعله ـ رحمه الله ـ حيث يعتبر من أكثر علماء الأمة إنتاجا وتصنيفا ، فقد بلغت مصنفاته : مائتين ونيف وخمسين كتابا • ويروي عنه سبطه قوله : : « كتبت بأصبعي ألفي مجلد ، وتاب على يدى مائة ألف ، وأسلم على يدي عشرون ألفا • قال : وكان يختم في كل أسبوع ختمة ، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة أو المجلس » (الذهبي ، ١٢٧٧ هـ ، ص ١٣٤٤) •

ويروى عنه أنه كان يكتب في كل يوم تسع كراريس ، وجمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فبلغت شيئا كثيرا ، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به عند موته ، وفعل ذلك فكفت وفضل منها • (ابن خلكان ، ١٢٩٧ هـ) •

وكان ـ رحمه الله ـ يكره مخالطة البطالين ، ويحبذ العزلة ، ويدفع لقاء الناس جهده ، لأنه يرى أن المخالطة واللقاء تذهب بالوقت ، وتضيع فرصة الإنتاج الفكري ، وتعطل عن العبادة ، وكان يقوم ببعض الأعمال التي لا تحتاج إلى حضور ذهني حينما يزار فلنستمع إليه وهو يحدث عن نفسه فيما يقوم به من عمل فيقول : « فجعلت من المستعد للقائهم قطع الكاغد ، وبري الأقلام وحزم الدفاتر ، فإن هذه

الأشياء لابد منها ، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب ، فأرصدته لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي » (ابن الجوزي ، د٠ ت ، ص ٢٧٧) ٠

إن هذه الأفعال التي يقوم بها ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ خير دليل على أهمية الوقت ، وتقديره في نفوس سلفنا الصالح الذين تربوا في مدرسة الإسلام ، وطبقوا تعاليمه الكريمة قولا وفعلا ، فكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس ، وكانو خير سلف لنا نحن الخلف ٠ فرحمهم الله رحمة واسعة ونفعنا بسيرتهم ٠

نماذج من القرنين السابع والثامن :

محمد بن عمر بن الحسين المعروف ـ بالفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ):

وهو من الأئمة الأعلام ، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات ، وفي علم الأوائل ، له تصانيف كثيرة في فنون مختلفة منها : تفسير القرآن الكريم المشهور بـ « التفسير الكبير ومفاتيح الغيب » والمؤلف من اثنين وثلاثين جزءا ، وقد عد الباحث مؤلفاته التي ذكرها ابن خلكان (١٣٩٧ هـ) فبلغت ثمان وعشرون مصنفا في أبواب مختلفة .

كان محبا للعلم وأهله ، مخالطا لهم ، حريصا على صرف وقته في العلم ، والعمل ، حيث كان يقول « والله إنني أتأسف في الفوات (*) عن الإشتغال بالعلم ، وفي وقت الأكل ، فإن الوقت والزمان عزيز » (ابن ابي صيبعه ، ١٢٧٦ هـ ، ص ٢٤) . فما الذي نفهمه من قوله هذا ؟ إنه يخبرنا بأنه شديد الحرص على اغتنام الوقت ، وكثير الندم على ما يفوت منه دون اشتغال في العلم حتى وقت الأكل لابد أن يداخله قراءة ومطالعة .

فإذا وصل به الأمر إلى هذا الحد من الاهتمام بالوقت أفلا يكون نموذجا عظيما ؟ نعم إنه علم من أعلام أمتنا الناجحين الذين أثروا حياتهم ، وخلدوا ذكرهم . ولو لم يكن للوقت قيمة عنده ما أخرج المصنفات العظيمة ، ولو لم يكن له إلا كتاب التفسير لكفاه .

(*) الفوات : ما يذهب من الوقت .

يقول الفيروز آبادي : فاته الأمر فوتا وفواتا ذهب عنه .

ويقف الباحث عند نموذج آخر لنا فيه القدوة الحسنة :

أبو زكريا النووي (ت ٦٧٦ هـ) :

لم يعش النووي أكثر من خمس وأربعين سنة ، ولكنه خلف علما عظيما في هذا العمر القصير ، فقد ترك أكثر من ثلاثة عشر مصنفا منها : « شرح صحيح مسلم » و « رياض الصالحين » و « الأذكار » ثم كتاب « الأربعين » و « الإرشاد » و « التقريب » وكتاب « المهمات » و « الإيضاح » و « تحرير الألفاظ » و « التبيان » ثم كتاب « العمده في تصحيح التنبيه » ، وغير ذلك من مؤلفاته ذات القيمة العاليه . (الذهبي ، ١٢٧٧ هـ) .

وكان رحمه الله في بداية أخذه للعلم لا يضيع من وقته شيئا لا في الليل ولا في النهار مداوما على الاشتغال بالعلم ، ودام على هذه الحالة ست سنين ، ثم أخذ بعد ذلك في التصنيف ، وكان يقرأ كل يوم إثني عشر درسا على مشايخه شرحا وتصحيحا في أبواب متفرقه من العلوم كالفقه وأصوله ، وعلوم الحديث ، وعلم اللغة والتصريف . (الذهبي ، ١٢٧٧ هـ) .

ومن الدلائل التي يسوقها الباحث هنا عن هذا المغتنم لوقته أنه كان لا يأكل في يومه إلا أكلة واحدة خوفا على نفسه من الكسل المفضي إلى الراحة ، وكذلك لم يكن يشرب إلا شربة واحدة عند السحر ، ويمتنع عن أكل الفواكه والخيار ، لأنه يرى فيهما مرطبة للجسم تجلب النوم . (الذهبي ، ١٢٧٧ هـ) .

ويقول أبو غدة (١٤٠٧ هـ) عنه : « ولازم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم ، والعبادة والأوراد والصيام والذكر ، والصبر على العيش الخشن في المأكل والملبس ملازمة كلية لا مزيد عليها » (ص ٥١) . ومما قيل في رثائه من الشعر مما يدل على أنه كان صواما قواما كثير الاشتغال بالعلم :

أسهرت في العلم عينا لم تذق سِـنَةً
إلا وأنت بها في العلم مشـتغل

فجعت بالأنس ليلا كنت ساهره
لله والنوم قد خيطت به المقل
وحال نور نهار كنت صائمه
إذا الهجير بنار الشمس مشتعل

(الكتبي ، ١٩٧٤ م) .

ابن تيميه (ت ٧٢٨ هـ) :

هذا الإمام العلم المجاهد ، الذي يقول فيه الذهبي (١٣٧٧ هـ) : « وكان من بحور العلم و (من) الأذكياء المعدودين ، والزهاد الأفراد ، والشجعان الكبار ، والكرماء الأجواد ، أثنى عليه الموافق والمخالف وسارت بتصانيفه الركبان لعلها ثلاث مائة مجلد » (ص ١٤٩٧) . ويقول ابن رجب (١٣٧٢ هـ) : « وشرع الشيخ في الجمع والتصنيف ، من دون العشرين ، ولم يزل في علو وازدياد من العلم والقدر إلى آخر عمره » (ص ٢٨٩) .

وكان ـ رحمه الله ـ بحرا في علوم الحديث ، أكثر من طلبه ، وكتب وخرج ، ونظر في الرجال ، والطبقات ، وحصل مالم يحصل غيره ، وبرع في تفسير القرآن ، وأستنبط منه أشياء لم يسبق إليها ، وكان فقيها لايبارى في زمانه في معرفة الفقه ،

واختلاف المذاهب ، وكان بعيدا عن الشهوات ، ولا لذة له إلا في نشر العلم وتدوينه ، والعمل بموجبه ، فهو يكتب في اليوم والليلة نحوا من أربعة كراريس في فنون مختلفة • ويروى عنه أنه يكتب في بعض الأحيان ما يبيض منه مجلد • (ابن رجب ، ١٣٧٢ هـ) •

فإذا كان ابن تيمية على هذا النحو الذي تقدم ذكره فمن يكون مثله ، ومن ينتصب لما انتصب له من العناء والمكابدة ، في طلب العلم وحفظه ، والتأليف فيه ، ومن يقوم مقامه في الجهاد وقول الحق • والباحث يورد نتفا من مصنفاته للتأكيد على المدة من الزمن التي استغرقها في حفظ علومها وتدوينها ، فمن هذه المؤلفات : « كتاب الإيمان » و « الاستقامة » و « جواب الاعتراضات المصرية على الفتاوى الحموية » و « تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية » في ست مجلدات كبار ، وكتاب « المحنة المصرية » مجلدان ، و « المسائل الإسكندرانية » وكذلك « كتاب الفتاوى المصرية » في سبع مجلدات كبار • ومن كتبه « درء تعارض العقل والنقل » في أربع مجلدات كبار وكتاب « شرح العمدة » في نحو أربع مجلدات • وكتاب « التعليق على المحرر » عدة مجلدات ، و « الصارم المسلول على شاتم الرسول » و « بيان الدليل على بطلان التحليل » وكتاب « الرد الكبير على من اعترض عليه في مسألة الحلف بالطلاق » ثلاث مجلدات وكذلك كتاب « تحقيق الفرقان بين التطليق والإيمان » وغير ذلك من كتب القواعد المتوسطة ، وأجوبته على الفتاوى وهي كثيرة جدا • (ابن رجب ، ١٢٧٢ هـ) •

إن الباحث ليعجب ، ويسأل نفسه كم من الوقت استغرق ابن تيمية في إخراج هذا العلم جمعا وتدوينا ، ويزداد عجبه إذا أدرك أن ما ذكره من مؤلفاته ما هو إلا غيض من فيض • فرحم الله ابن تيمية ، وجعل لنا منه القدوة الحسنة في اغتنام أوقاتنا لكسب شرف الدنيا والآخرة ، فبالعلم ظهرت مكانته ، وبالحفاظ على الوقت أدرك العلم الذي تزين به ، وزادت به قيمته • فقيمة الإنسان بما يحسن كما يقول ابن طباطبا العلوي :

فيا لائمي دعني أغال بقيمتي　　　فقيمة كل الناس ما يحسنونه

(ابن عبدربه ، ١٤٠٣ هـ ، جـ ٢ ، ص ٢١٦) •

ويختتم الباحث أفعال السلف الصالح التي تدل على عظيم اغتنامهم وانتهابهم للزمان بمقتطفات من أفعال الإمام :

الحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)

يصفه الكتبي (١٩٧٤ م) فيقول : « حافظ لا يجارى ، ولافظ لا يبارى ، أتقن الحديث ورجاله ، ونظر علله وأحواله ، وعرف تراجم الناس ، وأبان الإبهام في تواريخهم والالباس • جمع الكثير ، ونفع الجم الغفير ، وأكثر من التصنيف » (ص ٢١٥) •

بلغت مجموع تصانيفه التي عدها الباحث في كتاب « فوات الوفيات » للكتبي تسعة وثلاثين مصنفا من أكبرها : كتاب « تاريخ الإسلام » وكتاب « تاريخ

النبلاء » يزيد كل منهما عن عشرين مجلدا ، فلو لم يكن له إلا هذان المصنفان لكفتاه عن غيرهما ، وذلك لما فيهما من دراية ، وعلم واسع في سير الرجال ، وتواريخهم ، ويعتبر كل جزء من أجزاء الكتابين كتابا في حد ذاته تزيد صفحاته عن أربعمائة صفحة لأقل جزء ، وعلى هذا يمكن إعتبار المصدرين السابق ذكرهما أكثر من أربعين كتابا مجلدا ٠

إن هذا الجهد العظيم الذي بذله صاحبنا لا نظير له فعلا ، ولو لم يكن له حظ من وقته ، وبركة في أيام عمره ما أنتج هذا الركام الجليل من العلم ٠ وبلغ عدد شيوخه الذين أخذ عنهم وذكرهم في معجم خاص ألف وثلاثمائة شيخ في أبواب واسعة من العلم فكان بذلك ذا نصيب وافر في فنون العلم المختلفة ٠ (الكتبي ، ١٩٧٤ م) ٠

تعليق الباحث :

لم يقدم الباحث هذه النماذ ج من سلفنا الصالح من أجل دراسة تاريخية لأولئك الأعلام الأخيار وإنما كان غرضه مرتبطا بالموضوع الذي يبحث فيه ، فهذه النماذ ج التي سبق ذكرها لها علاقة واضحة بالزمان في إدراك قيمته ، وشرفه ، وعلو مكانته ، ثم العمل على اغتنامه ، وصرفه فيمايعود عليهم بالنفع في أمور دينهم ودنياهم ، ولا يقتصر الأمر على هذا الحد بل يتعدى إلى أن تقديرهم للوقت قد عاد على أمتهم بالنفع ، والخير العميم فقد خلفوا للأجيال اللاحقة من الأمة الإسلامية علما وتراثا حضاريا عظيما وكانوا سادة الدنيا ، وسفراء الخير إلى الناس كافة ٠ كيف لا يكونوا كذلك ، وهم خير من حمل الأمانة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، جاهدوا في سبيل الله ، ونافحوا وكافحوا كل أنواع الظلم والشر المفضية إلى الفساد والضياع ، وقاموا منتصبين لعبادة الله عز وجل يحدوهم الأمل في رحمة الله ، ويؤرقهم الخوف من عذاب الله ، ولم يهملوا مع هذا أمر دنياهم فطلبوا العلم وارتحلوا من أجله وسهروا الليالي الطوال في جمعه وتأليفه فغصت مكتباتهم بإنتاجهم الفكري في مختلف العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية وعمروا الأرض وامتدت حضارتهم من بلاد الصين والهند شرقا إلى بلاد المغرب وفرنسا غربا ، ومن بلاد الصقالبه (الروس) شمالا وحتى جنوب النوبة جنوبا ٠ فحق للباحث أن يسوق الأمثلة العظيمة من هذه النماذ ج التي عرفت قيمة الحياة ولم تضيع لحظة من لحظات

عمرها في لهو أو عبث بل كانت أوقاتهم معمورة مشغولة في الإنتاج ، والبناء في حين كانت أوربا التى ننبهر بحضارتها اليوم تغط في نوم عميق ، وجهل عميم وصلت إليهم حضارة أسلافنا العظماء فتشربوها وتعلقوا بها ، وأخذوا يجاهدون من أجل الوصول إلى ما وصل إليه المسلمون وفعلا تم لهم ما أرادوا ، وما عقدوا العزم عليه ، ثم أضافوا بعد ذلك ، وابتكروا علوما جديده ، وتقنيات عظيمة نقف اليوم مبهورين أمامها ، فهذا لم يأت إلا من معرفة بقيمة الوقت ، والعمل بالليل والنهار ، والجهد الجهيد الذي لا يعرف الكسل والتواني إليه سبيلا • فحري بنا مسلمي اليوم أن نصحوا من غفلتنا ، ونثوب إلى رشدنا لننهب الوقت انتهابا ، ونعيد سيرة عطرة من تاريخنا ، ونعيد بناء حضارة تهدمت •

كان الواحد من سلفنا الكرام يحرص على وقته كحرصه على حياته • فمنهم من يقلل وقت أكله وشربه من أجل أن ينصرف للعلم والعباده ، وحتى لا يؤدي به الأكل إلى البطنة المفضية إلى التراخي والكسل ، ومنهم من يحمل الكتاب في كمه وهو يمشي حتى يتسنى له أن يطالع في العلم في حركته ، وكذا منهم من يختار سف الكعك على مضغ الخبز لاعتقاده بأن مضغ الخبز يضيع من وقته الذي صرفه للعلم والكتابة ، وأغرب من هذا من كان يقرأ وغيره يلقمه طعامه كما كان عبدالله بن يعيش يفعل (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ١١) • وعبدالله بن يعيش هذا هو شيخ الإمام البخاري الذي عرض الباحث شيئا من سيرته وفعله في كسب الوقت والحرص عليه ، فقد تأثروا ببعضهم ، ولازم التلميذ منهم أستاذه ، وأخذ عنه كل شيء حتى

نهجه اليومي ، وسيرته الخاصة في صحوه ونومه ، فلا غرابة إذن أن يكون لهم ذلك الإنتاج من العلوم ، وهذا التاريخ المُشَرَّف ، والمجد العظيم الذي تتناقله الأجيال بعد موتهم ، فيالها من ذكرى عظيمة خلدها الزمان لهم . اغتنموه وحفظوه فحفظ لهم ذكرهم بعد موتهم كما يقول الشاعر أحمد شوقي :ـ

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها   فالذكر للإنسان عمر ثان

(الشوقيات ، ط ٠ ت ، جـ ٢ ـ الحواشي ، ص ١٥٨)

إن ما قدمه الباحث من نماذج من أولئك السلف الصالح في بيان فضلهم وشدة حرصهم على أوقاتهم يُعَد شيئا يسيرا لأنهم أمثلة عظيمة في مجملهم ، ولكن المجال لا يسمح بأكثر من نماذج محدودة تعطي صورة واضحة عن أسلافنا لشبابنا اليوم الذين هم في أمس الحاجة إلى الوقوف على مثل هذه النماذج لأخذ القدوة منهم . فقد كانوا فخرا للإسلام بل وفخرا للإنسانية كلها .

أولئك قوم شيد الله فخرهم

فما فوقه فخر وإن عظم الفخر

كانوا يعتبرون الوقت رأس مالهم حيث يقول واحدهم وهو عمارة اليمني (ت ٥٦٩ هـ) (ابن خلكان ، ١٣٩٧ هـ ، جـ ٢)

(إذا كان رأس المال عمرك فاحترز

عليه من الإنفاق في غير واجب

فبين اختلاف الليل والصبح معـــرك

يكر علينا جيشه بالعجائـــب) (ص ٤٣٤)

وكما يقول الوزير ابن هبيره : (ابن رجب ، ١٣٧٢ هـ ، جـ ١)

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه

وأراه أسهل ما عليك يضيع (ص ٢٨١)

نعم إنهم - رحمهم الله تعالى - كانوا على هذا التصور الذي يرسمه ابن هبيرة ، كلهم يدرك نفاسة الزمان وعلو قدره وأنه أغلى شيء في حياة المسلم يجب عليه أن يعتني بحفظه ويصرفه فيما ينفع ، وأنه يمر مر السحاب ، وأن ما مضى منه لا يعود فهو كثير التفلت من الإنسان فلا يستطيع أن يوقف حركته ويسيطر عليه في تأجيله ، فعمر الإنسان محسوب بالدقائق والثواني فكلما انتهت ثانية من الزمن كلما انصرمت برهة من عمر الإنسان . ومهما عاش فمصيره إلى الفناء ولا نعلم أن أحدا قد خلده الزمان . فهذا احمد شوقي رحمه الله يقول :

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق وثوان .

(الشوقيات ، د . ت ، جـ ٢ ، ص ١٥٨)

فيا عجبا لها من حكمة نطقها شاعرنا لنقف عليها معتبرين ، ولنشحذ الهمم في اغتنام أجزاء الزمن الصغيرة التي تنفلت منا ، ولا نقيم لها وزنا ، فهذه الأجزاء الصغيرة من الدقائق والثواني ما هي إلا بعض من آجالنا وحياتنا ، فَلِمَ نضيعها إذن ؟ ولِمَ لا نقدر الزمن حق قدره دقِّهِ وجِلِّه ؟ ولِمَ لا نكون أمثال ذلك السلف

العظيم الذين أدركوا هذه الحقيقة ؟ حقيقة أن الوقت متصل ببعضه ، وأنه يتكون من أجزاء صغيرة كلما انصرم منه جزء ذهب جزء من عمر الإنسان فإلى ذلك أشار الحسن البصري رحمه الله بقوله « ... ابن آدم إنما أنت أيام ، كلما ذهب يوم ، ذهب بعضك » (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٤ ، ص ٥٨٥) . وإلى قوله هذا أشار الباحث في المبحث الخاص بالوقت في أقوال السلف ، ولا ضير عليه أن يكرره هنا لأهميته ومناسبته . فإذا كان السلف عند هذه الدرجة من الاهتمام بأوقاتهم وتسخيرها أفلا نكون أمثالهم ونحن خَلَفُهم ، وما الذي ينقصنا عنهم ؟ أعمارنا مساوية لأعمارهم فنحن من أمة واحدة هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي تتراوح أعمارهم بين الستين والسبعين كما أخبر بذلك الرسول الكريم (الترمذي ، ١٢٩٥ هـ في كتاب الزهد) . بل إن لدينا اليوم من التسهيلات والإمكانات ما لم تكن متوفرة لهم رحمهم الله فوسائل المواصلات متطورة وسريعة ، وطرقها ميسرة وسهلة ، وأدوات الكتابة كثيرة لا تحتاج إلى كبير عناء في إستخدامها والبحث عنها ، والمكتبات تغص بالكتب العظيمة ذات المنفعة الكبيرة في فروع العلم المختلفة وهذه الأدوات والمستلزمات التي سبق ذكرها تعمل على اختصار الزمن ، وسهولة اغتنامه في طلب العلم والعمل معا . ومع هذا فأين نحن ؟ وأين إنتاجنا وبناؤنا من إنتاجهم وبنائهم ؟ فهم كانوا يرتحلون في طلب العلم مشيا على الأقدام ، أو راكبين الرواحل من الدواب التي ليس لها من القدرة مثل الطائرة أو السيارة ، وكانوا يكتبون بأقلام من الخشب على أوراق وصحائف خشنه وليس عندهم مطابع تخرج لهم الآلاف من الكتب كما هو الحال

اليوم، ومع هذا الجهد والعناء لم يكلوا ولم يملوا وخلفوا تراثا عظيما يحق لنا ولغيرنا من الأمم التي تدعي الحضارة والبناء أن نقف مبهورين أمامهم · ويحق لنا ـ خاصة ـ نحن المسلمين المتأخرين أن نفخر بهم ونقدر جهدهم وننهج نهجهم ·

بعد أن قدم الباحث ما يدل على علو منزلة الوقت في الإسلام ـ وأنه جدير بالاهتمام والاغتنام وذلك من خلال ماورد في كتاب الله عز وجل، وما جاء في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وما ورد في أقوال وأفعال السلف الصالح حول اغتنام الوقت والمحافظة عليه من الضياع والتبذير ـ يمكن للباحث أن يقدم وصفا لواقع الوقت اليوم، وهل هو مغتنم أم مهدر ؟ وستتبين الإجابة على هذا السؤال من خلال مجريات البحث في الفصل الثالث ·

الفصل الثالث

الوقت في واقعنا المعاصر

(الفصل الثالث)

الوقت فى واقعنا المعاصر

* مقدمة .
* وقتنا اليوم : تقدير أم إهدار .
* نتائج المقابلات الشخصية .
* أسباب ضياع أوقات الشباب .

الفصل الثالث

الوقت في واقعنا المعاصر

مقدمــــة :

قدم الباحث في الفصلين السابقين رؤية واضحة عن أهمية الوقت في الإسلام من خلال الرجوع إلى مصادر الإسلام الأساسية في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وأقوال السلف الصالح ، وذلك لما فيها من توجيهات عظيمة للمسلمين باغتنام أوقاتهم ، وما كتب الله لهم من أجل في أعمارهم للتزود من الخير ، والعلم ، والعمل الصالح ، الذي يكون لهم رصيدا في آخرتهم ، وكذا فيما يعود عليهم بالنفع في دنياهم من تسخير للكون ، وإعمار للأرض بناء وتشييدا ، فلاحة ، وصناعة ، وتجارة لتقوى الأمة بذلك على أداء رسالتها التي اختارها الله لها في قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) .

وبجانب إبراز أهمية الوقت وما يجب على المسلم من تقديره واحترامه قدم الباحث في الفصل الثاني أمثلة من سلفنا الكرام الذين وعوا ما جاء به القرآن والسنة من أحكام ، وتشريعات ، وتنظيمات ، وتوجيهات ، فكانوا أمثلة عليا في اغتنام أوقاتهم ، والمحافظة عليها من الضياع ، وبسبب ذلك أخرجوا للعالم كله خير حضارة إنسانية عرفها التاريخ قائمة على العدل ، والعمل المنظم الموازن بين متطلبات الدنيا والآخرة ، وكان غرض الباحث من إبراز تلك النماذج أن يكون فيهم القدوة الحسنة لشبابنا المعاصر .

والباحث في هذا الفصل يقدم وصفا لواقع الوقت اليوم إجابة على بعض التساؤلات المهمة نحو :

ما مدى تقدير الناشئة والشباب للوقت ؟ وما مدى استغلالهم لأوقاتهم ؟، وما هي معوقات استغلال الوقت في حاضرنا ؟

إن الدراسة التي سيقدمها الباحث هنا قائمة على أساس من تجربته الشخصية ، ومعايشته لكثير من الشباب والمربين إضافة إلى قراءاته السابقة عن واقع الشباب ومشكلاتهم ، ثم هو يبني استنتاجه على ما يقوم به من لقاءات ، ومقابلات شخصية مع بعض من رجال التربية ، وأولياء الأمور ، وما يتحصل عليه من إجابات على الأسئلة التي يطرحها على عينة من الشباب من طلاب المرحلة الثانوية • حيث تنصب جميع الأسئلة على مدى إدراكهم لأهمية الوقت ، والشعور بقيمته ، وبرنامج عملهم اليومي ، ولعل السبب الذي دفع الباحث إلى اختيار الشباب في المرحلة الثانوية عينة لدراسته لأنهم على عتبة مرحلة الشباب الذي يتصف بالقوة ، والاندفاع ، فقد تجاوزوا مرحلة الطفولة غير المكلفة ودخلوا في سن التكليف الشرعي ، والمسؤوليه الاجتماعية •

وقتنا اليوم : تقدير أم إهدار :

إن المعن النظر في أحوال المسلمين اليوم يرى عجبا في جميع أحوالهم السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية • يرى تفككا سياسيا ، وفرقة مذهبية ، وإختلافا في الأهداف ، وتبعية للشرق أو للغرب ، أفكارا وشعارات ترسبت في مجتمعاتنا الإسلامية لا تربطها صلة بالإسلام ، بل هي دعوات قومية وعرقية حاربها الإسلام وقضى عليها ، لكنها بدأت تظهر من جديد في غفلة منا ، وصحوة من أعدائنا ، تقليدا للآخرين على غير هدى وبصيرة فيما يهدم كيان الأمة وشخصيتها• حياة صاخبة فوضوية نعيشها دون نظر ثاقب للعواقب ولما يؤول إليه أمرنا ، أمّا اقتصادنا فإنه محكوم عليه بالتبعية والسيطرة الغربية ، فالموارد الطبيعية كثيرة في بلاد المسلمين ، ولكن غيرنا هو الذي يستغلها ، والأرض الإسلامية صالحة للإنتاج الزراعي والتنمية الحيوانية ، ولكن قدراتنا وعزيمتنا لا تسمح لنا بذلك • والأيدي العاملة متعطلة في كثير من الديار الإسلامية لا تجد فرصة للعمل ، وإن وجدت العمل فهي غير منتجة وعاجزة عن أداء الدور المطلوب منها • أسواقنا أصبحت تغص بمنتجات غير المسلمين ، وأصبحنا مستهلكين لا منتجين ، فمتى تتغير هذه الأحوال ؟ ومتى نصحو من غفلتنا ؟ يقول محمد قطب (١٤٠٨ هـ) :

> « إن الأرض الإسلامية من المحيط إلى المحيط وهي ـ بقدر الله ـ أغنى بقعة في الأرض وأكثرها خيرات ، وقد كانت ـ وما تزال حتى هذه اللحظة ـ لم تستثمر الاستثمار الكامل ، الذي يستغل كل مواردها وكل طاقاتها •
>
> فإذا ضاع جزء من الثروة لأسباب قاهرة ، فلماذا لم تسع الأمة ـ في مجموعها ـ إلى استغلال الثروات الأخرى القابلة للإستغلال ، من زراعة وصناعة ومعادن مذخورة في باطن الأرض ؟!•

السبب هو التقاعس ، والتواكل ، والضعف العلمي ، ووهن العزائم ، والإنصراف عن عمارة الأرض ، و (الرضى)(*) بالفقر على أنه قدر من الله لا ينبغي السعي إلى تغييره خوفا من الوقوع في خطيئة التمرد على قدر الله !

ومن أين نشأت هذه العوامل كلها إلا من التخلف العقيدي ؟!

لو تخيلنا هذا العارض ـ وهو ضياع التجارة من يد المسلمين ـ قد حدث للأجيال الأولى من هذه الأمة ، فهل كان رد الفعل عندها سيكون مماثلا لما حدث للأجيال المتأخرة ؟

وهل يكمن الفارق في الظروف الخارجية التي أحاطت بالمسلمين ؟ أم أنه راجع في حقيقة الأمر إلى الفارق النفسي الهائل بين أول هذه الأمة وآخرها .. بين الإيمان الصحيح والإيمان المخلخل المنحرف .. أي راجع إلى التخلف العقيدي الذي أصاب الأمة في أجيالها المتأخرة ؟ » (ص ١٨١)

والباحث لا يريد أن يخوض في تفاصيل هذه النكسة الحضارية ، وإنما يحاول توضيح بعض الأسباب التي خلقت هذا الواقع المرير .

يرد مالك بن نبي (١٤٠٥ هـ) هذا الواقع إلى الاستعمار الذي ربى فينا معامل القابلية له حيث يقول : « إنه الإستعمار . نعم إنه قد خلع علينا بابنا ، وزعزع دارنا ، وسلب منا أشياء ثمينة .

لقد أخذ من حريتنا وسيادتنا وكرامتنا ، وكتبنا المنسية ، وجواهر عروشنا ، وأرائكها الناعمة ، التي كنا نود أن لو بقينا عليها نائمين ! .. » (ص ١٤٦)

(*) وردت في النص هكذا والتصحيح : الرضا .

إن للوقت دورا عظيما في الإنتاج والبناء ، فكلما زاد استغلال الوقت كلما تبعه زيادة في العمل والإنتاج حيث تبدع العقول في أفكارها وتنشط المصانع في خدماتها وسلعها ، فالوقت بجانب أنه عزيز وثمين إذا استثمر في عمل مفيد ، فهو رخيص عند أصحاب البطالة الذين لايدركون أنه معيار أساسي لقياس الإنتاجية في المجتمع . (محمود سفر ، ١٤٠٤ هـ) .

وإن لشبابنا نصيبا كبيرا في ضياع الوقت وإهداره يؤيد هذا ما يقوله مالك بن نبي (١٤٠٥ هـ) :

« وحظ الشعب العربي والإسلامي من الساعات كحظ أي شعب متحضر ، ولكن ... عندما يدق الناقوس مناديا الرجال ، والنساء ، والأطفال إلى مجالات العمل ، في البلاد المتحضرة ... أين يذهب الشعب الإسلامي ؟! تلكم هي المسألة المؤلمة ... فنحن في العالم الإسلامي نعرف شيئا يسمى الوقت ! . ولكنه الوقت الذي ينتهي إلى عدم ، لأننا لا ندرك قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة ، وثانية ، ولسنا نعرف إلى الآن فكرة (الزمن) الذي يتصل إتصالا وثيقا بالتاريخ ، مع أن فلكيا عربيا مسلما هو (أبو الحسن المراكشي) يعتبر أول من أدرك هذه الفكرة الوثيقة الصلة بنهضة العلم المادي في عصرنا .

وبتحديد فكرة الزمن ، يتحدد معنى التأثير والإنتاج ، وهو معنى الحياة الحاضرة الذي ينقصنا » (ص ١٤٠) .

نعم إن وقتنا اليوم يضيع هباء لأننا لا ندرك قيمته ، ولا نقيم لما ضاع منه وزنا ، وما أكثر أوقات الفراغ التي يعاني منها شبابنا ! وتئن تحت وطأتها مجتمعاتنا ، وما نراه اليوم من الدور الترفيهي الذي تقوم به الأسر لأطفالها إلا بسبب الفراغ ، وكذلك الدور الذي تقوم به بعض المؤسسات الإجتماعية من إقامة

المشاريع السياحية والترفيهية من أجل المواطن الذي يريد أن يقتل الوقت بأساليب الترويح المختلفة ، وقد ظهرت الدراسات الاجتماعية التي تعالج مسألة الفراغ لدى الشباب • فلو أن المجتمعات الإسلامية أدركت معنى الزمن وقيمته لما كانت الحاجة ماسة إلى ظهور هذه الدراسات لأن المسلم الحقيقي ليس لديه وقت للفراغ •

ويشتد خطر الفراغ إذا اجتمع مع الشباب ذوي الحيوية والنشاط لما في ذلك من إلحاق الضرر بالمجتمع إقتصاديا وأخلاقيا • **يقول ابوالعتاهية :**

إن الشباب والفراغ والجدة ... مفسدة للمرء أي مفسدة

(ديوان ابوالعتاهية ١٩٦٠ م)

وما أكثر المفرطين في أوقاتهم من شباب المسلمين اليوم ، تنتشر فيهم البطالة المفضية بالمجتمع إلى الفقر والضياع ! لأن عماد الأمة شبابها ، فإذا توقف إنتاج الشباب توقف بناء المجتمع ونموه • فكثير من هؤلاء الشباب لا يغتنمون من وقتهم إلا قليلا ، حتى وإن كانوا في صفوف الدارسين من طلبة العلم ، فرغبتهم للقراءة قليلة ، يحملون كتبهم من المنزل إلى المدرسة كل يوم لكنهم لا يعرفون ما بداخلها إلا قليلا منهم ، فإذا غادروا المدرسة : منهم من يقضي بقية نهاره في النوم ، ومنهم من يتناول غداءه ، ثم يخرج بحثا عن الرفاق يلعبون ويعبثون فإذا جن الليل استيقظ نوامهم ، وهرعوا إلى المقاهي والملاهي لاهين عابثين يمر بهم الوقت لا يشعرون به ، ويقطعون الساعات الطوال دونما فائدة تذكر لدينهم أو دنياهم •

ومن العبارات التي نسمعها يوميا تدور على ألسنة الفارغين من هؤلاء الشباب عبارة « قتل الوقت » . نرى هؤلاء يتهافتون على مجالس السمر حول مائدة النرد ، أو رقعة الشطرنج ، أو لعبة الورق لا يبالون بما يضيع من الوقت ، ولا يرعون له حرمة ، منصرفين حتى عن واجبات الدين من ذكر وصلاة ، ومن يسألهم عن عملهم هذا يجيبونه بأنهم « يقتلون الوقت » وما يدرون أنهم بفعلهم هذا يقتلون أنفسهم ، ويضيعون شبابهم لهوا ولعبا ، ولو يعلمون ما للوقت من شرف عظيم ، وأن مافات منه لا يعوض لابتدروه بالاغتنام ولسلمت حياتهم من الانتحار والضياع . (القرضاوي ، ١٤٠٨ هـ) .

أما في أيام الإجازات والعطلات الدراسية فالأمر أكثر مرارة . تجد هؤلاء الشباب أكثر ضياعا وإهدارا للوقت ينقلب ليلهم نهارا وذلك لأنهم يسهرون الليل كله على كل أنواع العبث من لعب بالكرة في أماكن الإضاءة القوية من المدن ، أو يجتمعون على موائد اللعب ، أو يتسامرون في النوادي ، والمقاهي ، والمنازل يقضون وقت الليل كله في الحديث الذي لا خير فيه من غيبة ونحوها ، أو يشاهدون الأفلام ، أو يستمعون إلى الأغاني . كل هذه الأفعال مفسدة للأخلاق ، مكسبة للذنوب والآثام ، وفي النهار ينصرفون إلى النوم ، ولا ينتبهون إلا وقت الأكل ثم يعاودون نومهم حتى الليل ، وتبدأ بعدها حركتهم الليلية .. وهكذا ، فأي ضياع للعمر أكثر من هذا ؟ وأي غفلة يعيش فيها شبابنا ؟ والباحث حينما يذكر مثل هذه الشواهد إنما يعايشها ويشاهدها غيره ، حتى إن هؤلاء يقرون بذلك ، ولا يعرفون لذلك سببا .

ويسوق الباحث شواهد أخرى من شهر رمضان المبارك الذي كان سلفنا الصالح يشدون فيه المئزر، وينتهبون أيامه ولياليه عبادة وتهجدا، وصياما، وقياما، ففي هذا الشهر الكريم تجد معظم شباب الأمة يغطون في نوم عميق بالنهار، وفي الليل يركضون وراء رغباتهم، وشهوات أنفسهم، وكأنهم ما صاموا إلاليناموا، فإذا تطلعت إلى المساجد وجدت أن أكثر مافيها الشيوخ يصلون الفرائض، والتراويح، أما الغالبية العظمى من الشباب فهم في الأسواق يتسكعون، وفي الملاهي والمقاهي يدخنون ويلعبون، وفي الأفلام الخبيثة يشاهدون • وهم بعملهم هذا ينقصهم الوعي والإدراك لقيمة الزمن، وجلالة قدره • فهم لا يأخذون بحظ وافر منه حتى في شهر الرحمة والغفران •

في المنازل الآلاف المؤلفة من الطلبة والطالبات يقضون أشهر الإجازة الصيفية، فهل تساءل الآباء والمربون كيف يقضي هؤلاء الشباب هذا الوقت الطويل ؟ هل يصرفونه فيما يعود عليهم بالنفع في أجسامهم، وعقولهم، وأخلاقهم وفيما يعود بالنفع على مجتمعهم ؟ • فإذا كان الزمن هو المادة الخام لاستغلال وتحصيل العلم، وكسب الصحة فكم أضعنا من كل ذلك ؟! وكم أعمار تضيع في عبث لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة • (ابو غدة، ١٤٠٧ هـ) •

ومما يدل على ضياع الوقت بين شبابنا اليوم ضياع كثير من منابع الثروة في بلادنا العربية كلها • فكم من الأراضي البور التي يمكن أن تستغل وتستصلح، وكم

من الأيدي القادرة على العمل ٠ ولكنها لا تجده أو لا تريد أن تعمل ، كم من الشركات والمؤسسات التي يمكن أن تؤسس وتدار بهذه الأيدي الفارغة ٠

ماذا يفعل كثير من الموظفين في بلاد المسلمين كلها بعد الدوام الرسمي ؟ هل يبحثون عن عمل آخر يحسنون به وضعهم الإقتصادي ويساهمون في تطوير وتنمية المجتمع ؟ إن الغالبية منهم تقضي ذلك الوقت في النوم ، وعبث القول والفعل بل إن الوقت يضيع منهم في وقت دوامهم الرسمي الذي يفترض فيه أن يكون مملوءا بالعمل المنتج ، ولكن الحقيقة على عكس ذلك بطالة مقنعة ، وروتين عمل ، وإستخفاف بالمسئولية ، وضعف في الرقابة ، والإستهانة بمصالح الخلق (نوير ، ١٤٠٦ هـ) ٠

هذا واقع الوقت في عصرنا الحاضر ليس له حظ من الاغتنام والتقدير بين شبابنا ، وقد تفشت هذه الظاهرة بشكل ملفت للنظر ومخيف ، لأسباب شخصية تتعلق بالشباب أنفسهم ، وأسباب اجتماعية وتربوية ، سوف يتناول الباحث طرفا منها فيما بعد ٠

كل الدول الإسلامية في عداد الدول النامية المستهلكة التي تعتمد على غيرها من الدول المتقدمة ، في البحث عن مواردها ومصادرها الطبيعية ، وذلك لافتقارها للأيدي العاملة المدربة ، ذات التقنية الجيدة ، التي تستطيع أن تسخر الكون ، ولأنها تفتقد رؤوس الأموال التي تساعد في شراء الآلات ، ودفع الأجور ٠ كما أن الدول المتقدمة جعلت من الدول النامية أسواقا لها تصرف فيها منتجاتها ، وزيارة واحدة لأسواقنا تكشف كل هذا وتظهر الحقيقة المرة التي هي (أننا أمة مستهلكة) ٠ سيارات من أمريكا واليابان ، عطورات ومساحيق من فرنسا ، أدوية من ألمانيا ،

وساعات من سويسرا ، لعب الأطفال من اليابان والصين ، الملابس والأنسجة من إنجلترا ودول أخرى ••• ، فلو كنا أمة تقدر الوقت ، وتنتهبه لكنا أمة منتجة ، وتوصّلنا - على الأقل - إلى ما يسد حاجتنا ، ويرفع من مستوى اقتصادنا •

نتائج المقابلات الشخصية :

إن هذا الوصف الذي يقدمه الباحث عن الواقع المعاصر للوقت لدى الشباب تؤكده اللقاءات ، والمقابلات التي أجراها الباحث مع عينة من الشباب ذوي العلاقة بالموضوع ممن تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة ، والعشرين من طلاب المرحلة الثانوية ، وكان عددهم مائة طالب من المدارس الثانوية في منطقة الطائف التعليمية• وبجانب الطلاب التقى الباحث بمجموعة من الموجهين التربويين ، والمعلمين القائمين على تربية الشباب في هذه المرحلة من الدراسة ، وذلك لمعايشتهم للشباب فترة من اليوم ، والتقائهم بهم داخل الفصول وخارجها •

وكان عدد الموجهين في هذه العينة عشرة ، والمدرسين خمسة وعشرين مدرسا من تخصصات مختلفة • وقد طرح الباحث أسئلته - التي أعدها مسبقا - على عينة البحث من الشباب والمربين - والمرفقة في نهاية البحث - إضافة إلى ما يتولد من أسئلة أخرى خلال اللقاء •

ولقد قام الباحث بهذه اللقاءات لإدراكه قيمة الاستطلاع لرأي الناس في تثبيت الأفكار ، والتصورات التي نحملها حول موضوع معين ، أو نفيها كما يقول العيسوي (١٤٠٤ هـ) « إن لاستطلاع رأي الناس أهمية خاصة في برامج الإصلاح

باعتبارهم أصحاب المشاكل أنفسهم، وهم الذين يحسون بها أكثر من غيرهم، كما أن لاقتراحاتهم وتطلعاتهم، وآمالهم قيمة كبيرة في جدوى الحلول وفاعليتها لأن هذه الحلول تكون من أصحاب المشاكل، وهذا يضمن لها القبول والرضا من قبلهم» (ص ٧ ، ٨) .

ومن هذا المنطلق رأى الباحث أن يقوم بهذا الإستطلاع في صورة مقابلات شخصية مع الشباب المكلفين شرعا، والذين يمثلون الطائفة الإجتماعية القادرة على الإنتاج . فقوة الأمة في شبابها، إضافة إلى من يقوم على توجيه هؤلاء الشباب ورعايتهم وتعليمهم .

تأكد للباحث أن معظم الشباب، وما نسبته (٨٧ ٪) من العينة المفحوصة لا يشعرون بقيمة الوقت، ولا يغتنمونه حق الاغتنام، حتى إن الوقت يمر بهم ولا يهمهم كيف انقضى، وماذا اكتسبوا فيه . إنهم ينصرفون من المدرسة كل يوم، وكأنهم حُلُّوا من عقال . فمنهم: من يتناول غداءه، ويذهب إلى النوم حتى المغرب، ثم يخرج لمقابلة زملائه الذين هم على شاكلته حتى بعد صلاة العشاء، ثم يرجع إلى البيت، ويقوم بحل واجباته في حدود ساعة واحدة . ثم يشاهد التلفزيون حتى الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل، ويذهب للفراش، ومنهم: من ينصرف من مدرسته ثم يتناول غداءه، ويخرج من البيت يلعب مع رفاقه الكرة ولا يعود إلى المنزل إلا بعد صلاة العشاء، ثم يتناول عشاءه، وينام بعد ذلك إلى وقت المدرسة من الغد .

وعندما سأل الباحث أفراد العينه عن مدى محافظتهم على وقت الصلاة أجاب كثير منهم بأنهم لا يحافظون على أوقات الصلاة، فمنهم: من يصلي أحيانا، ويترك أحيانا أخرى، ومنهم: من يؤخر الصلاة عن وقتها، ولا يصليها مع الجماعة في المسجد، وقد بلغت نسبة من لا يحافظون على الصلاة (٦٨ ٪) من عينة الشباب.

أما حظ القرآن الكريم، وتلاوته، وحفظه عند الشباب فيكاد يكون معدوما، حيث أجاب (٩١ ٪) من المفحوصين أنهم لا يقرأون القرآن إلا يوم الجمعه في المسجد قبل مجيء الإمام، أو إذا كانت لديهم حصة في القرآن خلال اليوم الدراسي.

أما عن الإجازات الاسبوعيه يومي الخميس والجمعة. فقد تأكد للباحث أن الشباب يقضون هذه الفتره من الزمن في الخروج من المنزل للتنزه، ولعب الكرة، والسمر ليلا على مشاهدة الأفلام، والمسلسلات مع الأسرة، أو السمر مع الأصدقاء في منزل أحدهم، أو في بعض المتنزهات خارج المنازل إذا كان الجو معتدلا. وخرج الباحث بانطباع وهو أن الوقت لا قيمة له عند الشباب يقتلونه قتلا ذريعا في صنوف العبث المختلفه.

يقول بعض الشباب إنهم ينزلون إلى الأسواق في الفترة ما بين المغرب والعشاء، وعند سؤال الباحث لماذا ؟ أجاب بعضهم: وبكل صراحة من أجل « الفرجه » ومعاكسة الفتيات. فهل في هذا السلوك أدنى اغتنام للوقت أو تقدير لقيمته.

أما عن حظهم من القراءة والثقافة أجاب (٨٣ ٪) منهم بأنهم لا يقرأون إلا المقررات الدراسيه ، وبعض الصحف التي تكتب عن الرياضه والرياضيين ، أما الكتب العلمية والأدبية فنصيبها من قراءة الشباب صفر حيث لم يجد الباحث من أفراد العينة واحدا له اهتمام بمطالعة الكتب الثقافية ٠

أما عينة الموجهين والمعلمين الذين التقى بهم الباحث فلم يشذ واحدٌ منهم بل أجمعوا على أن وقت الشباب مهدر بنسبة ملحوظة ومزعجة حيث يقول أحد المدرسين : إن الشباب يضيعون أوقاتهم فيما لا يعود عليهم بالفائده ٠ وعند سؤال الباحث له وما يدريك عنهم ؟ أجاب : إنني جزء من المجتمع أشاهد حركته اليوميه ولي اهتمامات كبيرة بالشباب وتوجيههم ، وألتقي مع كثير منهم ٠ ومدرس آخر يقول : ألاحظ يوميا تدنيا في المستوى التحصيلي لدى الشباب ممن أقوم بتدريسهم ، وعندما أسأل بعضهم عن قصوره الدراسي يجيبني بأنه لا يقرأ ٠ وليست لديه الرغبة في القراءة ، ويردف مدرس آخر قائلا : في بعض الأحيان أصادف طالبا نائما في الفصل الحصة الأولى ، وعندما أوقظه من نومه ، وأسأله عن السبب يجيب : بأنه لم ينم البارحة إلا متأخرا لأنه نام في فترة العصر إلى المغرب ، ويتساءل المدرس : « أليس هذا طالب مضيع لوقته غير منظم له ؟ ينام في غير وقت النوم ، ولا يصلي العصر وإن صلاها فمع المغرب » ٠

أما موجه التربية الإسلامية بالطائف فيقول : معظم الشباب يهدرون أوقاتهم ، ولا يستفيدون منها لأنهم لا يدركون قيمة الوقت في الإسلام ، ولأنهم نشأوا في فترة عم فيها الثراء البلاد ، وأصبح كل شيء ميسر لهم من مطالبهم ، فلو

جربوا الفقر والحاجة لما كانوا كذلك ، وكان الزمن كفيلا بتربيتهم ، وعند سؤال الباحث له أتضع نسبة للمهدرين من شبابنا لأوقاتهم ؟ أجاب : ليست لديه إحصائية في هذا الشأن ويصعب عليه أن يضع نسبة ، ولكن الحقيقة أن المفرطين في أوقاتهم كثير جدا ، وبصورة ملحوظة ومزعجة ·

ووقفة أخرى مع موجه الإدارة المدرسية الذي قال : لا قيمة للوقت لدى الشباب ، تجدهم يتركون بيوتهم ويتجمعون مع بعضهم بعد الفترة الدراسية الصباحية ، ونحن ندرك خطورة هذه التجمعات على الشباب نفسه من ضياع أوقاتهم ، واكتسابهم بعض السلوك الذي لا يتفق مع الدين ، والعادات والقيم الإجتماعيه · فالفراغ مذموم يولد مفاسد كثيرة جدا منها : ما يلحق بالشباب من ضياع · ومنها : ما يلحق بالمجتمع من أضرار لأن نماء المجتمع وتقدمه مرتبط بنجاح الشباب ، وقدرتهم على الإنتاج والعطاء ، ولما سأله الباحث عن الأسباب التي خلقت هذا الواقع ؟ أجاب بأن الأسباب كثيرة ومتعددة منها : وسائل الترفيه الموجودة في المجتمع ، وكذلك بعض الأنظمة التعليمية ، وضرب على ذلك مثلا بالنظام المطور القائم في المرحلة الثانوية الذي يسمح للطالب ببناء جدوله الدراسي كيفما شاء ، ويخرج من المدرسة في الوقت الذي يكون فيه فارغا من الحصة ، وما ينتج عن هذا الخروج من تسيب ، ولقاءات بين الشباب خارج أسوار المدرسة ، ومن الأسباب التي أشار إليها غياب الدور الأسري في التوجيه والإرشاد ، والرقابة على الأبناء ، إضافة إلى وسائل الإعلام لأنها ذات مسئولية كبيرة في التوعية الجماهيرية ،

ولكنها للأسف لا تعير جانب الوقت لدى الشباب أهمية كبيرة ، وخص بالذكر التلفزيون الذي يستأثر بأكبر نصيب من مشاهدة الناشئة والشباب ، فهو لم يقم بالدور المطلوب منه في توعية الشباب حول أهمية الوقت ، ووجوب اغتنامه ، وبرامجه الثقافيه ، والتعليميه قاصرة عن الإستحواذ على وقت الشباب .

ويضيف أحد موجهي مادة العلوم فيقول : الشباب ركيزة الأمة وعنصر بنائها ، ومجدها فمن الواجب أن يكونوا منتجين مغتنمين لأوقاتهم ، ولكن ما نراه اليوم عكس ذلك ، فغالبية الشباب لا يستغلون الوقت بل يهدرونه عبثا وضياعا . ففي أيام الدراسة نجد أنهم ينصرفون من المدارس ، وقليل منهم الذي يغتنم وقته في حل واجباته واستذكار دروسه . أما الغالبية منهم فتجدهم في الشوارع يتسكعون ، ويتجمعون ، ونحن ندرك ما تفرزه هذه التجمعات من مشاكل اجتماعية ، ويزداد الأمر سوءا في أيام الإجازات الصيفية حيث يكون الشباب فارغين في نهارهم وليلهم يقتلون أوقاتهم في غير فائدة ، ومن الواجب أن يستغلوا وقت الفراغ هذا فيما يعود عليهم بالنفع ، هذا إذا كان هناك وقت للفراغ . ويلقى موجه العلوم باللائمه على البيت لأنه لا يؤدي الدور التربوي المناط به في توجيه الناشئة والشباب ، انطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**)) (**البخاري ، ١٤٠٧ هـ ــ كتاب النكاح ، باب المرأة راعية في بيت زوجها**) ويرى أن المدرسة عليها مسئولية أخرى في توجيه الشباب ، ولا يقتصر دورها على تدريس المواد الخاصة بالمنهج الدراسي بل لابد أن يتعدى دورها ذلك في إقامة الأنشطة الكثيرة ، والمتعددة كالأنشطة الثقافية ، والرياضية ، والفنية في أوقات فراغ الطلاب بعد اليوم

الدراسي إضافة إلى إقامة المراكز الصيفية ذات الأغراض والأهداف المتعددة خلال الإجازات ، حتى تكتنف هؤلاء الشباب ذوي الطاقات والمهارات ، وتوجه تلك الطاقات إلى ما يعود بالنفع على الشباب في أخلاقهم ، وأجسامهم ، وعقولهم ، ويرى أن المدارس لا تستطيع أن تقوم بهذا الدور إلا إذا كانت علاقتها قوية بالمؤسسات الاجتماعية الأخرى خاصة مع الأسرة ، ومؤسسات رعاية الشباب ، والأندية الأدبية ، والرياضية • فلابد أن تعمل المؤسسات الاجتماعية مجتمعة وأن تؤدي رسالتها على الوجه المطلوب المنظم الذي يخدم الأهداف التي ننشدها في إصلاح الشباب وتوعيتهم •

وللزيادة في التأكيد على أن الشباب لا يغتنمون الوقت ولا يقدرونه يقف الباحث أيضا مع أحد الموجهين الذين التقى بهم ليسوق طرفا من حديثه الذي أجاب به على السؤال الذي طرحه الباحث عليه حول مدى اغتنام الشباب لأوقاتهم في واقعنا المعاصر إضافة إلى أسباب الإهدار والضياع من وجهة نظر شخصية بحتة ، حيث يقول واحد من موجهي الرياضيات : للوقت أهميته في الحياة وذلك لارتباطه الوثيق بالعمل • فماذا نريد من شبابنا ؟ نريد منهم العطاء والإنتاج ، نريد شبابا أقوياء أصحاء في أجسامهم ، وعقولهم ، ولا يتأتى لنا هذا إلا باغتنام الشباب لأوقاتهم ، وصرف الوقت فيما يعود بالنفع على الناحيتين الجسمية والفكرية ، ولكن الواقع القائم لا نرى فيه مثل هذا الإهتمام ، فالطلاب قد تدنت مستوياتهم الدراسية ، والثقافية حتى إن المواد الدراسية لا تحظى منهم بالقراءة الجيدة التي تكفل لهم نجاحا جيدا ، نجدهم ينصرفون إلى قضاء الوقت في أمور لا تعود عليهم بالنفع ، يرتادون المقاهي ، والمنتزهات ، يركبون السيارات ويجوبون الشوارع بلا هدف •

إن ما قدمه الباحث من اجابات الشباب ، وأقوال ذوي العلاقة بالتربية من معلمين وموجهين تضافرت في تأييد وصف الباحث عن إهدار الوقت وضياعه في واقعنا المعاصر ، حيث كانت الغالبية من أفراد العينة تتفق إتفاقا تاما على أن الشباب يضيعون وقتهم ، ولا يستفيدون منه ، وهم بحاجة ماسة إلى التوجيه والإرشاد الذي يبصرهم بأهمية الوقت وقيمته في حياتنا اليوم حتى نكون مثل غيرنا من الأمم التي أدركت عامل الزمن في البناء الحضاري والإنتاجي يقول مالك بن نبي (١٤٠٥ هـ) « يجب أولا أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت ، والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى » (ص ٧٥) ٠

إنه يجعل الوقت عاملا مهما في بناء الحضارة إذا وجد هذا الوقت رجالا يدركون قيمته ونفاسته ، وأرضا ينطلقون منها في بنائهم ، ولكن هيهات لنا أن ننجح في البناء إلا إذا عرفنا أسباب ضياع الوقت عند شبابنا حتى نستطيع أن نقدم حلولا لهذه المشكلة الحضارية القائمة ، فالطبيب لا يصف العلاج حتى يشخص مواطن الداء ٠

رسم بياني يوضح نتائج المقابلات الشخصية التي أجراها الباحث مع مجموعة من الشباب
علما بأن عدد أفراد العينه (١٠٠) طالبا من طلاب المرحلة الثانوية

أسباب ضياع أوقات الشباب :

يقدم الباحث مجموعة من الأسباب التي أدت إلى ضياع الوقت وإهداره لدى الشباب اليوم ٠ من خلال خبراته ، وقراءاته ، ومقابلاته التي أجراها مع بعض من رجال التربية ، ويؤكد الباحث على أن هذه الأسباب على نوعين : أسباب شخصية نابعة من الشباب أنفسهم ، وأسباب اجتماعية أسهم بها المجتمع ، أو أفسح لها المجال كي تظهر وتصبح عوامل مساعدة على إهدار الوقت وضياعه ، ويصعب الفصل بين هذه الأسباب ، وذلك لتداخلها ، فليس هناك سبب واحد يعمل على ضياع الوقت ، وإنما مجموعة من الأسباب أوجدت هذا الواقع الذي نحن بصدد دراسته ٠ فمن الأسباب مايلي : ـ

أولا ـ الأسرة :

الأسرة هي الخلية التي ينشأ فيها الفرد والمحطة الإجتماعية الأولى التي ينطلق منها ليكون عضوا صالحا ومصلحا في مجتمعه الكبير الذي يشكل مفهوم الأمة الإسلامية التي أراد الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس تحمل الخير إليهم ، وتهديهم سبل السلام ، وليس الباحث بصدد الكلام عن الأسرة من الناحية الإجتماعية ، وإنما يحاول الوقوف على دورها في تربية الناشئة ، وتوجيههم التوجيه السليم ٠ إن مسؤولية التربية الأولى تقع على الوالدين فما من مولود إلا وهو يولد على الفطرة ، وعلى أبويه مسؤولية الرعاية والتوجيه ومصداق ذلك قول الرسول صلى

الله عليه وسلم : ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء)) (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، كتاب الجنائز ، باب ماقيل في أولاد المشركين) فالوالدان هما اللذان يوجهان أولادهما ، ويصوغان حياتهم كيفما أرادا ، كيف لايكون ذلك ، وفي الوالدين قدوة للأولاد ، والتربية بالقدوة عامل كبير في إصلاح الولد ، أو فساده كما يقول عبدالله علوان (١٤٠٦ هـ) : « إن الولد مهما كان استعداده للخير عظيما ، ومهما كانت فطرته نقية سليمة فإنه لا يستجيب لمبادىء الخير • وأصول التربية الفاضلة ما لم ير المربي في ذروة الأخلاق • وقمة القيم والمثل العليا » (ص ٦٠٧) •

ومن هذا المنطلق كانت مسئولية الآباء والأمهات كبيرة عظيمة تجاه أولادهم ، ولكن قليلا منهم من يستشعر هذه المسئولية التي حملها الله سبحانه وتعالى الآباء في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم : ٦) •
وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ـ كتاب النكاح ـ باب المرأة راعية في بيت زوجها) •

بعض الآباء ، والأمهات اليوم لا يهتمون بهذا الواجب ، ولا يرعون هذه المسئولية حق رعايتها فهم لا يحافظون على أوقاتهم فضلا عن محافظتهم على أوقات أولادهم ، فتجد أن الآباء لديهم من وقت الفراغ الشيء الكثير الذي يصرفونه في غير فائدة يرتادون المقاهي ، ويجالسون أصحابهم • والأمهات يقمن بزيارة

صديقاتهن ومعارفهن ، ويستقبلن ضيوفهن ، فلا الأب ، ولا الأم يهتمان بمتابعة ومراقبة الأولاد ، يخرج الولد من البيت ، ولا سائل عنه ، يسمر خارج البيت ، ولا يجد من يحاسبه ، يلتقي مع الرفاق والزملاء ، ولا أحد يدري من الوالدين عن هذه الرفقة هل تجتمع على الخير أم على غيره ؟ وبعض الآباء منشغل بعمله لا يكلف نفسه - ولو لمرة واحدة - بزيارة المدرسة التي يتعلم بها أولاده من أجل الاطلاع على مستوياتهم الدراسية ، ومدى تحصيلهم ، وقد يجتمع الأب مع الأم في المنزل ومعهم الأولاد ذكورا وإناثا لمشاهدة التلفزيون وقتا طويلا ، فلا توجيه ولا إرشاد ، ولا تنظيم للوقت . وقد يخرج الأب من البيت لأداء الصلاة ، ولا يصطحب ابنه معه للمسجد ، ولا حتى يسأله أصلى أم لا ؟ كذلك الأم لا تؤدي دورها في المنزل في معاضدة الرجل وتوجيه الأبناء . قد ينام ابنها في البيت - خصوصا في أيام الإجازات - ساعات طويلة ولا توقظه من نومه ، ولا تحرص على وقته ، وقد يخرج من المنزل في غيبة والده ثم إذا سأل عنه عند مجيئه - إذا كان ممن لهم حرص على أولادهم - اختلقت لابنها الأعذار وغطت على مساوئه أمام والده ، فمثل هذه الأم كيف تكون مربية صالحة فاضلة ؟ ولنستمع إلى الشاعر المسلم حينما يؤكد على دور الأم في التربية حيث يقول :

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعبا طيب الأعراق (١)

(حافظ إبراهيم - الديوان ، ١٩٣٧ م) .

---

(١) من قصيدة أنشدها في حفل أقيم ببورسعيد في ٢٩ مايو سنة ١٩١٠ لإعانة مدرسة البنات هناك .

وتصبح المصيبة أعظم ، ويزداد الأمر سوءا حينما يضعف الوازع الديني في نفوس الآباء والأمهات فلا يقومون بواجب الرعاية الإسلامية ، ولا يؤدون الفرائض التي كتبها الله عليهم ، ويقضون جل أوقاتهم في العبث ، والإباحية ، ومشاهدة الأفلام الخليعة الماجنة فكيف بالله ستكون عليه حالة من يقومون على رعايتهم من الأبناء ، إنهم بلا شك سيكونون فريسة الضياع والإنحراف والإجرام ، وسيلحق ضررهم بالمجتمع الذي يعيشون في كنفه ، وسيكون مثلهم كمثل شجرة خبيثه لا طعم طيب فيها ، ولا رائحة زكية لها . فإذا أغفلت الأسرة دورها في التربية والتوجيه والتنشئة الصالحة أصبح أبناؤنا تائهين ضائعين كما يقول الشاعر :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... هم الحياة وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى لـه ... أما تخلت أو أبا مشغولا

(عبدالله علوان ، ١٤٠٦ هـ ، جـ ١ ، ص ١٤٤)

ويؤكد ما وصفه الباحث مسبقا ما يقوله : أحد الموجهين حول دور الأسرة :
حيث ينفي وجود دور فعال لمعظم الأسر في ضبط الوقت وتنظيم برنامج يومي تسير بموجبه ، فالوالد مشغول بعمله والأم مشغولة في أمر بيتها وليس من متابعة أو مراقبة لصيقة بالأولاد ، يخرجون من المنزل متى أرادوا ، ويعودون إليه في أي وقت شاءوا ، ثم إنهم قد يقضون وقتا طويلا في مشاهدة برامج التلفزيون ولا يجدون من يأمرهم بالقيام من أمام الشاشة لاستذكار دروسهم أو إلى النوم مبكرا ، وقد يخرج الوالد من المنزل تاركا أولاده الذكور وقد وجبت عليهم الصلاة ولكنه لا يكلف نفسه

باصطحابهم معه إلى بيوت الله لكي يعودهم على آداء الصلاة في أوقاتها ومع الجماعة ويربي في أنفسهم مراقبة أوقاتها .

ويضيف المرشد الطلابي بثانوية عكاظ فيقول : تفتقد بعض الأسر التوعية الكافية لشغل أوقات أبنائها بالنافع المفيد . فهي ضعيفة الرقابة على الأبناء، ويرد ذلك إلى عدم إدراك البعض منها لرسالتها التربوية وإن عليها المسئولية الكبرى في توجيه الأبناء وإرشادهم ، حتى إن كثيرا من أولياء الأمور لا يتعاونون مع المرشد الطلابي في حل بعض المشكلات التي تواجه الأبناء ومنها مشكلة إهدار الوقت وضياعه .

ثانيا _ التلفزيون :

وسائل الإعلام ذات دور بارز في الثقافة والتوعية الجماهيرية ، وعلى هذا الأساس كان خطرها شديدا إذا هي انحرفت عن مسارها وأهدافها في الإصلاح الإجتماعي ، أو إذا لم يكن للقائمين عليها وعي بمدى تأثيرها على الأمّة ٠

وتختلف وسائل الإعلام عن بعضها في مدى التأثير على المتلقي فمنها الوسيلة المقروءة ، ومنها الوسيلة المسموعة ، ومنها التي تجمع بين الأسلوبين معا ٠ حيث تصل إلى الجمهور عن طريق السمع والمشاهدة ، فكلما وصلت المعلومة إلى الفرد عن أكثر من حاسة من حواسه كلما كان تأثيرها أعمق وأعظم ٠

فهكذا الحال في التلفزيون الذي يقول عنه مروان كجك (١٤١٠ هـ) :

« ويعتبر التلفزيون أقدر وسيلة عرفها الإنسان في مجال الإعلام ، فهو يجمع بين الصورة والصوت وبذلك يستطيع أن يسيطر على حاستين من أهم حواس الإنسان وأشدها إتصالا بما يجري في نفسه من أفكار ومشاعر ٠ وتدل الأبحاث على أن التلفزيون في حالة وجوده يفوق تأثير كل وسائل الإتصال الجماهيري الأخرى » (ص ٤٢) ٠

وهكذا يحتل التلفزيون المكانه الأولى بين وسائل الإعلام حيث يكون له فعل السحر في الإستحواذ على لب المشاهدين ٠ وأصبح له دور بارز مؤثر خصوصا في مجتمعنا السعودي لعدم وجود السينما التي قد تكون منافسة له ، فهو ينتشر في كل أنحاء البلاد حيث تمتلك الأسرة السعودية في القرية والمدينة هذا الجهاز ، الذي يسهم بدور كبير في إهدار الوقت وضياعه ٠

لا أحد ينكر دور التلفزيون الترفيهي ، ولكن لابد أن نفهم هذا الدور بما يتمشى مع عقيدة المجتمع ، وثقافته ، في تقديم برامج الترفيه المباحة التي لا تؤثر على ثقافتنا ، ولا تستهلك أوقاتنا .

إن التلفزيون اليوم يعمل على ضياع الوقت بما يقدمه من برامج في الليل والنهار ، فهو يعرض على الجمهور المسلسلات الدرامية التي هي في الحقيقة تهدم الفضيلة ، والخلق الإسلامي الرفيع بما فيها من ثقافة هابطة ، وبما فيها من التهتك والعري الذي تظهر به الممثلات . فما الفائدة إذا من هذه المسلسلات ؟ هل تزرع الفضيلة في نفوس الشباب ؟ وهل تقدم معالجة لوضع إجتماعي خاطيء ؟ كلا : إنها تقتل الوقت ، وتعطل الإنتاج ، وتخدش الحياء ، وتجعل الشباب يعيشون في عالم من الأوهام والخيالات ، وأحلام اليقظة ، وزيادة عليها هناك البرامج الرياضية التي تستهلك الوقت ، وتشغل جمهور المشاهدين في أحيان كثيرة عن آداء المهم من أمر دينهم ودنياهم خصوصا من هم في سن الشباب ، وإلى جانب ما تقدم يعمل التلفزيون على تنمية ثقافة الإستهلاك لدى الشباب والناشئة والنساء ، بما يعرضه من الدعايات ، والإعلانات التجارية التي تزيد من الإستهلاك للمنتجات والسلع ، فهو يقدم برامجه الدعائية على فترات متقطعة من ساعات البث حتى إنه يستغرق نصف ساعة متصلة أحيانا في عرض الإعلانات التجارية ، وقد لاحظ الباحث أن الأطفال يتجمعون حول الشاشة بهدوء تام رغبة منهم في مشاهدة الطريقة الفنية التي تقدم بها الدعاية ، إضافة إلى معرفة شيء جديد مع ميولهم ورغباتهم . فهو بهذا العمل يربي فيهم منذ حداثة سنهم الرغبة الجامحة « في الإستهلاك والإسراف »

وتبديد الأموال الذي لا يتفق مع خلق المسلم . قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ (الإسراء : ٢٧) .

إن التلفزيون العربي بوجه عام لا يخدم الأهداف النبيلة التي تنشدها الأمة الإسلامية في أبنائها ، فهو لا يقدم البرامج التي تغذي الفكر والروح ، والتى يعتبر ما ضاع من الوقت في مشاهدتها مغتنما ، وللتأكيد على خطورة الموقف يقول إيهاب الأزهري في مقالة نقلها مروان كجك (١٤١٠ هـ) :

> « شغلني دائما مصير الإنسان المصري والعربي تحت تأثير سيطرة أجهزة الإعلام على عقله ، والذي أجمع كل من يعلمون أنه تأثير ضار .. لم يقل بغير هذا إلا الذين لا يعلمون ! ويشغلني اليوم قرب وصول أخ جديد لأجهزة الإعلام سيكون ذا تأثير أكثر خطرا على الإنسان وعقله وثقافته ..
>
> وهو القمر الصناعي العربي وغير العربي الذي سيجعل قنوات التلفزيون في العالم عند أطراف أصابع الإنسان المصري » (ص ٦٥) .

فإذا كان الأمر كذلك ، وكما يتصوره رجل الإعلام المصري الذي ذكره الباحث مسبقا ، فأي منكر لخطر هذه الوسيلة الإعلامية إذا لم يتدارك الأمر رجال مصلحون حريصون على تربية الأجيال العربية تربية إسلامية رفيعة بحيث يكون التلفزيون أداة لاغتنام الوقت في تعليم المفيد من الأخلاق ، والعلوم ، وتقديم النماذج الطيبة العاملة المنتجة ، الحريصة على الوقت ، ليكون فيها القدوة للشباب المسلم .

يذكر بعض المربين من الموجهين والمدرسين ممن التقى بهم الباحث أن ضرر التلفزيون واضح جدا على الشباب وعموم المشاهدين بما يضيعه من أوقاتهم فضلا على أنه يعلم الشباب بعض العادات والسلوك المنحرف الذي لا يتفق مع الأعراف والقيم الإجتماعية مثل جرائم السرقة والعنف والعدوان ... إلى غير ذلك مما يشاهده في أفلام الرعب، والجريمة التي يعرضها التلفزيون .

ويؤكد الباحث على هذه المقولة بما يقوله أحد أطباء العقل : « إذا كان المثل السائر القائل بأن السجن هو الكلية التي تخرج المجرمين، فإنني أعتقد أن التلفزيون بالنسبة للشباب هو المدرسة الإعدادية لتخريج الأحداث » (العيسوي ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٢٩) .

ويمكن للباحث أن يلخص أثر التلفزيون على وقت الشباب في الجوانب التالية :

أ ـ تأثيره على أوقات النوم :

قلب التلفزيون حياة الناس وغير من عادات نظامهم اليومي ، فهو بما يقدمه من برامج ليلية حتى وقت متأخر عمل على إطالة السهر إلى منتصف الليل ، أو إلى ما بعد منتصفه ، وهذا يؤثر على القيام المبكر . فالمسلم يجب عليه أن يؤدي صلاة الفجر في وقتها فهي إحدى الصلوات الخمس المفروضة ، فإذا كانت سنة الفجر فيها من الخير والبركة الشيء العظيم كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**)) (مسلم ١٣٤٧ هـ ، كتاب الصلاة ، إستحباب ركعتي الفجر) فكيف بأجر الفريضه لمن يؤديها مع الجماعة في وقتها !! . إن التلفزيون بكثافة ساعات

برامجه في الليل يحرم كثيرا من المشاهدين من هذه الفضيلة ، ومن هذا الخير لأنه من الصعب على من يسهر إلى الساعة الواحدة ، وما بعدها أن يستيقظ مبكرا ، فالتلفزيون على هذا قلب موازين الفطرة الإلهية التي فطر الله عليها الناس حيث يقول تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ ٠(النبأ : ١٠ ، ١١)

ويقول : محي الدين عبدالحليم (١٤٠٤ هـ) « ويسهم التلفزيون في تأصيل عادات السهر الطويل لدى الجمهور المصري بصفة عامة ، والشباب منهم بصفة خاصة » (ص ٧٥) ٠ وظاهرة السهر هذه التي ينميها التلفزيون ليست قصرا على مجتمع دوان آخر في واقعنا المعاصر ، وإنما أصبحت ظاهرة عامة حتى في مجتمعنا السعودي حيث ثبت ذلك للباحث من خلال التقائه بعدد من شباب المرحلة الثانوية الذين أكدوا على أن التلفزيون له دور واضح في إهدار أوقاتهم ، وتأخير وقت نومهم ٠

ب – تأثيره على التحصيل العلمي والقراءة :

يتمثل هذا التأثير فيما يسلبه من ساعات طويلة للمشاهدين خصوصا بين الأطفال والشباب الذين يمثلون المرحلة العمرية التي تتكون فيها المعارف (آل زعير ، ١٤٠٧ هـ) حيث ينصرف الشباب عن القراءة المفيدة ، واستذكار دروسهم على الوجه المطلوب ، وقد يصرفهم أيضا عن حل واجباتهم ، وقد أكدت الدراسات الميدانية التي عالجت تأثير التلفزيون على التحصيل العلمي على أن هذا الجهاز له أثر سلبي في هذه الناحية ففي دراسة في الكويت حول « إتجاهات الشباب نحو المطالعة » تبين أن (٦٢ر٢ ٪) من مجموع أفراد العينة يرون أن التلفزيون يصرف عن المطالعة ٠ وكذا الحال في دراسة أعدها المركز القومي للبحوث الإجتماعية

والجنائية في مصر(١٩٧٥ م) ، فقد بينت هذه الدراسة أن (٧٧ ٪) من الأسر العينة يلجأون إلى تشغيل التلفزيون أثناء مذاكرة أولادهم • ويقول آل زعير (١٤٠٧ هـ) : « وهذا المستوى من التأثير الذي وصل إلى عجز الأسر حتى عن إطفاء التلفزيون في فترة المذاكـرة ، وأي نوع من التحصيل العلمي سيتحقق من المذاكرة أمام التلفزيون » (ص ٢١٢) •

جـ – تأثيره على أوقات التزاور والعلاقات الإجتماعية :–

أما تأثيره على العلاقات الإجتماعية فواضح حيث امتص أوقات فراغ الأسر المسلمة التي يمكن أن تصرفها في التزاور وتقوية أواصر المحبة والألفة ، وهي من العادات الإسلامية الحميدة التي حث عليها ديننا إذ يقول تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء: ٣٦) •

ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**)) (مسلم ١٣٤٧ هـ ، جـ ١٦ ، كتاب البر والصله والآداب) ويقول أيضا في حق الجار : ((**مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**)) (مسلم ١٣٤٧ هـ ، جـ ١٦ ، كتاب البر والصلة والآداب) •

فالمسلم حقا هو الذي يختزل من وقته لزيارة أقاربه ، وصلة أرحامه ، وأصدقائه يتفقد أحوالهم ، ويشاركهم أفراحهم ، وأحزانهم ، ولكن التلفزيون في واقعه لا يساعد على تنمية هذه العادة الطيبة بل على العكس يدمرها ، وذلك بما يستحوذ عليه من الوقت ، وقد أكدت دراسة أردنية على أن التلفزيون له دور واضح

في القطيعة الإجتماعية حيث يرى (٧٥ ٪) من المفحوصين أنه يقلل من عادات التزاور بين الناس ٠

وللتأكيد على مدى خطر هذه الوسيله الإعلامية على وقت الشباب وما تتركه برامجها من آثار نفسيه ، واجتماعية يستعرض الباحث بعض الدراسات الميدانية التي بينت الآثار السلبية لها ٠ ففي دراسة مصرية على عينة من الشباب من الذكور والإناث نتج عنها مايلي : ـ

الرأي في الدراما التلفزيونية	ذكور	إناث
تفتح الأذهان وتوسع المدارك	٩ر٨٩ ٪	١٣ر٦٩ ٪
ترفع المستوى الثقافي والعلمي ٠	٦ر٧٠ ٪	٨ر٢٣ ٪
تدعو إلى الخير والفضيلة ٠	٣ر٣٥ ٪	٤ر٥٦ ٪
تثري القيم والمعلومات الدينية ٠	١ر٩١ ٪	٤ر٩٦ ٪
تدفع إلى الاستقامة والصلاح ٠	٢ر٧١ ٪	٣ر٥٧ ٪
لا تنسجم مع عادات المجتمع وتقاليده ٠	١٨ر٦٦ ٪	١٦ر٨٦ ٪
تدفع الشباب والفتيات إلى الإنحراف ٠	٢٢ر١٧ ٪	١١ر٤٧ ٪
تحطم المثل العليا والقيم الدينية ٠	١٧ر٨٦ ٪	١١ر٤٧ ٪
تدعو إلى الرذيلة ٠	١٦ر٧٥ ٪	١٣ر٩٠ ٪
	١٠٠ ٪	١٠٠ ٪

محي الدين عبدالحليم (١٤٠٤ هـ) ٠

ومن خلال الجدول السابق يتضح للباحث أن الآثار السلبية التي تخلفها الدراما التلفزيونية على الشباب حظيت بنسبة كبيرة من تأييد أفراد العينة ذكورا وإناثا • وتتمثل هذه الآثار السلبية - كما هو مبين في الجدول - في أنها : لا تنسجم مع عادات المجتمع وتقاليده ، وتدفع الشباب والفتيات إلى الإنحراف ، وتحطم المثل العليا والقيم الدينية ، ثم تدعو إلى الرذيلة ، وقد أيد هذه الآثار من الذكور المفحوصين (٤٤ر٧٥ ٪) ، وكذلك (٨٩ر٥٩ ٪) من عينة الفتيات المفحوصات ، وكفى بهذه النتيجة دليلا على سوء البرامج التلفزيونية ، وما تهدره من وقت المشاهد فيما لا يعود عليه بالنفع لأمر دينه ودنياه •

وهناك دراسة أخرى قام بها العيسوي (١٤٠٤ هـ) على مجموعة من الشباب اللبناني من طلاب المدارس المتوسطة والثانوية والجامعة من بين أبناء الطبقات الإجتماعية المتوسطة وتتراوح أعمار العينة ما بين (١١ - ٣٨) عاما من الذكور والإناث ، وقد أثبتت هذه الدراسة العديد من الآثار السلبية التي يخلفها التلفزيون ، ويمكن أن يوجزها الباحث فيما يلي :-

(١) تبين الدراسة أن أسباب مشاهدة التلفزيون للتسلية ، والقضاء على وقت الفراغ •

(٢) تبين الدراسة أنه يضر أكثر مما ينفع في الجوانب التالية :-

(أ) يؤدي إلى ضعف الإبصار وقد قال بهذا (٦٤ ٪) من أفراد العينة •

(ب) يشغل المشاهدين عن القراءة ، والإطلاع ، وقد أيد هذا (٦٤ ٪) من العينة •

(جـ) يشغل التلاميذ عن استذكار دروسهم وقد أيد هذا (٦٣٪) من العينة.

(د) يؤدي إلى شيوع الرذيلة، والجنس وقد أيد هذا (٤١ ٪) من العينة.

(هـ) يعلم النصب والاحتيال، وقد أيد هذا (٤٧ ٪) من العينة.

(و) يقيد حركة الجسم، ويحرمه من الرياضة (٤٤ ٪) من العينة.

(٣) أثبتت الدراسة أن متوسط مشاهدة الفرد تتراوح مابين (١١ _ ١٨) ساعة أسبوعيا، وهي مدة كبيرة حيث يقول العيسوي (١٤٠٤ هـ): « ويقضي الشعب اللبناني ١٧٤٤ مليون ساعة تقريبا سنويا أمام شاشة التلفزيون » (ص ١٥٤). فإذا كان الأمر كذلك أليس في هذه الساعات توقف عن العمل، وتعطيل للإنتاج ؟.

مدرج تكراري يوضح نتائج دراسة العيسوي عن الآثار السلبية التي يخلفها التلفزيون على المشاهدين وقد أجريت هذه الدراسة على مجموعة من طلاب المدارس المتوسطة ، والثانوية والجامعة

١٠٠ – ٩٥ – ٩٠ – ٨٥ – ٨٠ – ٧٥ – ٧٠ – ٦٥ – ٦٠ – ٥٥ – ٥٠ – ٤٥ – ٤٠ – ٣٥ – ٣٠ – ٢٥ – ٢٠ – ١٥ – ١٠ – ٥ – ٠

النسبة	الأثر
٪٦٤	يؤدى الى ضعف الابصار .
٪٦٤	يشغل المشاهدين عن القراءة .
٪٦٣	يشغل التلاميذ عن الاستذكار .
٪٤١	يؤدي الى شيوع الرذيلة والجنس .
٪٤٧	يعلم النصب والاحتيال .
٪٤٤	يقيد حركة الجسم ويحرمه من الرياضة .

ويزداد الأمر سوءا إذا كان المشاهد ممن لا يقدرون الوقت ولا ينظمونه . بحيث لا ينتقي البرامج التي يشاهدها ، والتي تعود عليه بالنفع كالبرامج الدينية والثقافية ، والبرامج الإخبارية ، وبرامج التسلية البريئة التي لا إثم فيها والتي تُرَوِّح عن النفس من عناء يوم مثقل بالعمل والإنتاج ، إنطلاقا من الحديث الشريف ((**روحوا عن أنفسكم ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت**)) (ابوداود في المراسيل) (١) ولكن أن يكون مدمنا على المشاهدة فذلك الضياع ، والإهدار للوقت العزيز .

---

(١) سكت عنه السيوطي في « الجامع الصغير » ، وقال المناوي في « فيض القدير » حديث حسن وله شاهد من الحديث الذي رواه مسلم « يا حنظلة ساعة وساعة » .

ثالثا ـ الغفلة وغياب الهدف :

المقصود بغياب الهدف هنا هو أن كثيرا من الناشئة يفتقدون النهج الذي يسيرون عليه في حياتهم ، وذلك لعدم الوعي وقصور التوجيه فتراهم يعيشون هذه الفترة من حياتهم دون هدف ولا غاية ، وليس لديهم تصور لمستقبلهم ، ولا اهتمام بحاضرهم ، هَمُّهُم إشباع رغباتهم من مأكل وملبس ونوم ، فما دامت الرؤية قاصرة ، والهدف غائب فهم يقتلون أوقاتهم في العبث ، واللهو ، ولا يدرون أنهم بعملهم هذا يقتلون حياتهم وأعمارهم فيما لا طائل من ورائه .

إن مانراه اليوم من كثرة المدارس التي تعج بالطلاب ، والمكتبات التي تزخر بالكتب ليست سوى أدوات مادية لا قيمة لها ، وليس فيها الرؤية الواضحة ، والروح المستنيرة ، فمن ينظر إلى حالة الأمة الإسلامية من خلال التربية القائمة يرى أنها لم تنتج شيئا يذكر من الإبداع ، والإبتكار الذي كان لها في سابق عهدها ، وفي عصور ازدهارها حينما كانت الأهداف قائمة والرؤية واضحة . لا نرى اليوم جامعة ولا مدرسة متميزة ، ولا جيلا من العلماء النوابغ الأفذاذ كما هو الحال عند أمة الغرب التي تعاني من غياب الدين ، ولكنها وضعت لنفسها نهجا ومنهجا من الرؤية والهدف لما تريد أن تفعل ، وسخرت الوقت للإنتاج والبناء .

فالقائمون على التربية في البلاد الإسلامية ، وكذا الشباب المسلم ـ اليوم ـ ليست لديهم رؤية الرجل الغربي بسبب الجهل ، والخمول ، والسلبية .(الفاروقي ، ١٤٠٤ هـ)

ومن مظاهر انعدام الرؤية الغفلة التي يعيشها الشباب ، والإعراض عن معالي الأمور ، والإقبال على المتع والملذات ، وصرف الوقت في توافه الأمور التي لا تعلي شأنا ، ولا تبني مجدا • والقرآن الكريم له موقف عظيم من أولئك الغافلين الذين تشبه حياتهم حياة الحيوانات بل إنه يجعلهم في منزلة أدنى من منزلتها فيقول تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

(الأعراف : ١٧٩)

فالغفلة مرض يصيب قلب الإنسان وعقله ، ويعطل الإدراك الواعي بما يدور حوله ، ويفقده الانتباه إلى معاني الأشياء وقيمتها ، وعواقب الأمور ، والغفلة مدعاة إلى الكسل والخمول ، والقعود عن معالي الأمور ، ومنافسة الناجحين •

رابعا : التسويف وطول الأمل :

من الأسباب التي تهدر الوقت عند الشباب اليوم « التسويف » ، وتأجيل عمل اليوم إلى الغد ، فهم منصرفون إلى الحياة الصاخبة اللاعبة يؤجلون المهم من أعمالهم وواجباتهم إلى وقت يأتي ، وقد اعترف للباحث كثير من الشباب الذين التقى بهم أنهم يسوفون ويؤجلون حتى في الفرائض التي افترضها الله عليهم فكثير منهم يؤخر الصلاة عن وقتها ، ويتهاون في أمرها حتى أن بعضا منهم لا يصلي المكتوبات كلها ، فحينما سألهم الباحث عن سبب ذلك أجابوا : نحن في هذه السن شباب ، وسنأخذ نصيبنا من اللهو واللعب ، وإذا أصبحنا رجالا سوف نصلي الصلاة لوقتها ، ولا نتهاون في أمرها ، إنهم يأملون أن يعيشوا حتى يتجاوزوا هذه المرحلة من أعمارهم ، ولا يدرون ان الأعمار أجَلُها بيد الله سبحانه وأن الموت محكوم بالغيب في وقته ومكانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ (لقمان : ٣٤)

وقال تعالى موضحا أن للأجل موعد لا يتقدم عنه الإنسان ولا يتأخر :

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون : ١١)

وهناك مجموعة كبيرة من الشباب يؤجلون واجباتهم المدرسية ، واستذكار دروسهم ، فلا يراجعون مقرراتهم أولا بأول ، ينتظرون موعد الاختبارات حتى تتراكم عليهم الدروس ، فلا يدري أي مادة يذاكر أولا ! وبم يبدأ وكيف يبدأ ؟!!

إنه الجهل بقيمة الزمن ، وأنه طول الأمل الذي يعيشه شبابنا ، فكيف بمن يفعل ذلك أن يكون منجزا ومنافسا ، وكيف بهؤلاء الشباب وهم على هذه الحالة أن تركن عليهم الأمة في بنائها •

إن على نظام التربية مسئولية عظيمة ، في تغيير ماران على قلوب شبابنا من الغفلة ، وما يعيشون فيه من الأمل ، وحب الراحة والدعة ، واستثقال العمل وتهيبه ، ويتم ذلك بالتركيز على فوائد العمل وإبرازها ، وبيان عواقب الكسل والإهمال ، وضرب الأمثلة لشبابنا من سلفنا الصالح العاملين المنتجين الحافلة حياتهم بصور مشرقة من جلائل الأعمال (نويبو ، ١٤٠٦ هـ) •

إن التسويف كالغفلة تماما يعطل الفكر ، ويقضي على الإنجاز ، ويوقف البناء والإنتاج فكفى به عدوا للوقت مثبطا لاغتنامه ، وهذا الشاعر المسلم يوصي بنبذ التسويف والمبادرة إلى العمل الصالح :

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جن ليل : هل تعيش إلى الفجر

فكم من سليم مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حينا من الدهر

وكم من فتى يمسي ويصبح آمنا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

(القرضاوي ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٦٥)

خامسا : صحبة البطالين الفارغين :

البطالة من الآفات الإجتماعية التي تنعكس على البناء الإقتصادي والأخلاقي للمجتمع • فالفارغ من العمل المقتدر عليه يؤثر سلبا على مجتمعه فهو عالة على أسرته، ومن يقوم على رعايته، ثم يخسر المجتمع عنصرا من عناصر البناء • إضافة على أن البطالة تجر إلى مشاكل إجتماعية كثيرة كانحراف الأحداث، والجرائم الأخرى كالاغتصاب، والسرقة، والعدوان على حرمات الناس، وممتلكاتهم خصوصا إذا كانت البطالة في سن الشباب المندفع القوي فإن تأثيرها يكون كبيرا وخطرها عظيما • وقد أشار أبو العتاهية إلى هذا بقوله :

إن الشباب والفراغ والجدة — مفسدة للمرء أي مفسدة

فكم سمعنا من جرائم كثيرة كان السبب وراءها الفراغ الذي هو البطالة من العمل •

وتكون صحبة الفارغين وبالا على الشباب في ضياع أوقاتهم، وسوء سلوكهم، وانحرافهم عن جادة الحق، والعمل المشروع، والكسب الحلال، فإذا انخرط الشباب مع رفقة السوء الفارغين الذين يجوبون الأسواق ويتجمعون في أماكن اللهو والريبة فهو مهدر لوقته مضيع لفرصة عمره بحكم مصاحبته لإولئك الفارغين الفاسدين •

والشباب اليوم في مجتمعنا أكثر تأثرا بالصحبة خصوصا إذا علمنا أن المدارس والنوادي تجمعهم بحكم زمالتهم، فإذا جاءت أوقات العطلات اجتمع القرناء فمنهم من يخرجون إلى الشوارع والساحات راكبين سياراتهم ينتقلون من

مكان لآخر ، ويتسببون في إرباك حركة المرور ، ومنهم من يقضون وقتهم في المقاهي ، ومنهم من يتجمعون للسمر واللعب ، ومشاهدة الأفلام الهابطة ، وسماع الأغاني المستهجنة • كل هذا يحدث دون أن يكون عليهم رقيب من أولياء أمورهم • فقد لمس الباحث هذا من خلال لقاءاته مع الشباب ووصل إلى أن الغالبية منهم على هذه الشاكلة إلا من رحم ربي وهم قليل •

فهذه الصحبة ـ التي تقتل الوقت ، ولا تستثمره في النافع من أمور الدنيا والآخرة ـ صحبة فاسدة يصورها الباحث على هذا النحو : ـ

(شباب + فراغ + صحبة فاسدة = مشكلة إجتماعية)

يؤيد ما تقدم قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : ((**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبه ، ونافخ الكير • إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة**))(١) (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، كتاب البيوع ، باب في العطار وبيك المسك ، جـ ٢ ، ص ١٢٤) •

ويقول خلدون الأحدب (١٤١٠ هـ) « ولا أعدم لقيمة الزمن من مصاحبة أهل التبطل والتعطل الذين لجوا في الجهالة واللهو العبث ، فهم أضيع الناس لزمن ، وأكثرهم تعطيلا لعقل ، وأسوأ الناس لصاحب ، وأهدرهم لطاقة » (ص ٥١) •

---

(١) متفق عليه : رواه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب إستحباب مجالسة الصالحين ، جـ ١٦ ، ص ١٧٨ •

فهكذا يكون الفراغ وصحبة أهله من الأسباب المهدرة للوقت المدمرة للأخلاق، العابثة بأمن المجتمع وسلامته ٠

فهذه مجمل الأسباب التي يرى الباحث أنها ذات تأثير واضح على وقت الشباب وضياعه ممثلة في الأسباب الإجتماعية كالأسرة ، ووسائل الإعلام ، وبخاصة التلفزيون ، والصحبة الفارغة الفاسدة ٠ وكذا الأسباب التي تنبع من الشباب أنفسهم كالغفلة وعدم وضوح الرؤية ، وغياب الأهداف ، ثم التسويف ، وطول الأمل ٠ وقد قدم الباحث تصوراته عن هذه الأسباب موضحا كيف يسهم كل منها في ضياع الوقت، وإهداره ٠

وتجدر الإشارة هنا ٠ أن هذه الأسباب تعمل مجتمعة كلها ، أو بعضها حيث يسهم الواحد منها بقدر في العبث بوقت الشباب في واقعنا المعاصر ، وتترابط هذه الأسباب ، وتتولد عن بعضها في أحيان كثيرة فإذا غاب الهدف ، وانعدمت الرؤية الواضحة في حياة الشباب ترتب عليه تسويف ، وطول أمل وتأجيل لعمل اليوم إلى الغد ، وإذا كانت الأسرة مقصرة في تربية الأولاد ولا تهتم بتوجيههم إلى النافع في حياتهم ، وإذا لم يكن الوالدان على قدر من النضج والمسئولية خرج هؤلاء الأولاد لاهين لاعبين منصرفين إلى حياة العبث واللعب مخالطين لرفقاء السوء الذين لا يهتمون بالوقت ولا يقدرونه حق قدره ويصرفونه ضياعا وهدرا ٠

يتبين مما تقدم كيف تتداخل الأسباب ، وتتولد عن بعضها ، فكلما تجمعت أسباب الإهدار في حياة الشباب ، كلما كان نصيبه من اغتنام الوقت صفرا ٠ فإذا نحن أردنا شبابا منتجا ومجتمعا راقيا فلابد من الإهتمام بالوقت لأنه السلعة الغالية التي تؤثر في رفع الكفاءة الانتاجية ، والقيمة الاقتصادية ، وسيناقش الباحث في الفصل التالي الدور الذي يجب أن تقوم به بعض المؤسسات التربوية والإجتماعية في معالجة ظاهرة إهدار الوقت وضياعه ٠

الفصل الرابع

الفصل الرابع

دور المؤسسات التربوية والإجتماعية
في توجيه الناشئة إلى الاستفاده من الوقت

الفصل الرابع

دور المؤسسات التربوية والإجتماعية

في توجيه الناشئة إلى الاستفادة من الوقت

مقدمة :

تضمن ـ الفصل الثالث ـ من هذه الدراسة وصفا عن الوقت في واقعنا المعاصر ، وقد توصل الباحث إلى نتيجة مفادها « أن الوقت لا قيمة له عند كثير من الشباب وإنهم لا يغتنمونه حق اغتنامه ، فما يهدرونه منه أضعاف ما يغتنمونه ، لأنهم يجهلون قدره ونفاسته » ٠ وقد تبين من خلال العرض السابق أن هناك مجموعة من الأسباب التي تؤدي إلى ضياع الوقت وإنفاقه فيما لاينفع ٠

والباحث في هذا الفصل يقدم تصوراته التي يرى أنها تنفع في معالجة الواقع القائم ٠ ويركز على ثلاث مؤسسات تربوية إجتماعية لها الأثر الكبير في توجيه وتربية الناشئة ، فإذا كانت أهدافها معروفة ، ورؤيتها واضحة ، وتعمل على نسق واحد فإن أثرها سيكون جيدا وستؤتي ثمارها في تربية الأجيال وتوجيههم إلى ما فيه خير الأمة وصلاح أمرها ٠ أما إذا كانت متنافرة في توجهاتها ، وأهدافها ، ورؤيتها قاصرة بحيث لا تفهم كلها أو بعضها الدور الذي ينبغي أن تقوم به ، فإن ذلك ينعكس سلبا على حياة الشباب الذين هم عدة المجتمع ، ومصدر تنميته ٠ فما الثلاث المؤسسات التي سوف يسلط الباحث الضوء عليها في هذا الفصل ؟ إنها المؤسسات ذات العلاقة القوية بعملية التربية ممثلة في **الأسرة** ، **والمدرسة** ، **ووسائل الإعلام** ، ويخص الباحث التلفزيون من بين وسائل الإعلام وذلك لما له من

التأثير العريض في حياة الناس لأنه يحظى بمشاهدة الملايين منهم على مختلف طبقاتهم وفئاتهم، وقد بين الباحث في الفصل السابق كيف أن التلفزيون من الأسباب التي تؤدي إلى إهدار الوقت وضياعه . فما دامت الوسيلة خاطئة وقاصرة فالنتيجة على منوالها ، فالطبيب قبل وصف العلاج يتعرف على أسباب المرض ويشخصها من أجل أن يكون علاجه مفيدا وناجحا . وَحَرِىٌّ بالباحث بعد أن طرح أسباب ضياع الوقت أن يقدم تصوراته المتواضعة للمؤسسات التربوية من أجل توجيه الناشئة إلى الاستثمار الأمثل لأوقاتهم .

وسيتضح ذلك جليا عندما يتناول الباحث تلك المؤسسات كل على حده .

أولا : دور الأسره :ـ

ما الدور الذي يجب أن تقوم به الأسرة المسلمة لتوجيه الأولاد إلى استغلال الوقت والانتفاع به ؟ هذا هو السؤال الذي يحاول الباحث الإجابة عليه ولا يتجاوزه • وقد جعل الباحث ـ في مبحث سابق ـ الأسرة أحد أسباب ضياع الوقت وإهداره لدى الناشئة والشباب إذا هي لم تقم بالدور المطلوب منها في التوجيه والمتابعة •

لا أحد يغفل دور الأسرة في التنشئة والتوجيه فهي التى تأخذ على عاتقها مسئولية التربية الأولى فيها يولد الطفل ويترعرع ويتعلم اللغة والحركة ، والفضيلة أو خلافهما لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((**كل مولود يولد على الفطره فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه •••**)) (البخارى ، ١٤٠٧ هـ ، كتاب الجنائز ١٢٩١) وتتحدد مسئولية الأسرة المسلمة ممثلة في الأب والأم بالرعاية والتوجيه إنطلاقا من قول الرسول الكريم ((**والرجل راع على بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**))(١) (البخارى ، ١٤٠٧ هـ ـ كتاب النكاح) •

للوالدين دور بارز وعظيم في توجيه الفطرة وجهتها السليمة وذلك بأن يكونا قدوة صالحة طيبة لأبنائهما في أفعالهما وأقوالهما المتمشية مع المنهج الإسلامي العظيم ، وتعليمهم كل فضيلة وخير وتحذيرهم من كل رذيلة وشر ، وبذلك تستقيم الفطرة الربانية في نفوس الناشئة ، أما إذا جهل الآباء والأمهات دورهم في التربية الإيمانية

---

(١) متفق عليه : رواه مسلم في كتاب الامارة ، باب فضيلة الأمير العادل ، جـ ١٢ ص ٢١٣ •

فإن الفطرة تضطرب وتنحرف عن طريقتها المثلى التي أرادها الله لها • ومن هنا كانت التربية بالقدوة مهمة جدا ، ومن الوسائل التربوية التي ينادي بها علماء التربية •

يقول محمد قطب (١٤٠٨ هـ) « إن الولد الذي يرى والده يكذب ••• لا يمكن أن يتعلم الصدق !

والولد الذي يرى أمه تغش أباه أو أخاه أو تغشه هو نفسه •• لا يمكن أن يتعلم الأمانه !

والولد الذي يقسو عليه أبوه لا يمكن أن يتعلم الرحمة والتعاون ••»(ص ١٨٦)

وللإهتمام بالوقت نصيب وافر في التنشئة الأسرية الإسلامية ، فإذا أراد الوالدان أن يزرعا حب اغتنام الوقت في نفوس أبنائهم ، فلابد أن يكونا على مستوى المسئولية ، وأن يكون فيهما القدوة والمثل الأعلى في تقدير قيمة الوقت في الجانبين الديني والدنيوي ، بحيث يحافظان على الصلاة في أوقاتها ، ويحثان أولادهما على آدائها منذ بلوغهم سن السابعة كما يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : **((مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع))** (ابوداود ، كتاب الصلاة والحاكم ، كتاب الصلاة) فعلى الوالد أن يصطحب ولده معه إلى المسجد ، ففي المسجد يتربى الولد روحيا ، وخلقيا ، واجتماعيا • يقول عبدالله علوان (١٤٠٦ هـ) : « إنطلاقا أخي المربى ـ من التوجيهات النبوية في فضل المشائين إلى المساجد ، والساعين إليها ، اعقد الهمة ، واشحذ العزم ، لتربط أولادك ببيوت الله عز وجل ، ليربوا في المسجد أرواحهم ، ويثقفوا عقولهم ، ويهذبوا نفوسهم ، ويحققوا مع أبناء المجتمع الإسلامي وحدتهم وتماسكهم ••• » (ص ٧٧٥) •

وبجانب الإهتمام بالصلاة ، وربط الأولاد بالمساجد ينبغي للوالدين أن يعودا أبناءهما على الصيام إن كانوا من القادرين ، وكل عمل صالح يكون الولد المسلم فيه ملتزما منهج الله ، ومبتغيا وجهه ، وحريصا على صرف وقته في النافع من أمر دينه ودنياه ، وكذا يجب على ولي الأمر في الأسرة المسلمة أن يعلم أولاده القرآن ويخصص لهم وقتا لمدارسته وحفظه . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**)) (البخاري ، ١٤٠٧ هـ ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، جـ ٦ ، ص ٥٩٤) .

وفي فضل تعليم القرآن للصبيان يقول ابن عباس رضي الله عنهما : ((**توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا ابن عشر سنين ، وقد قرأت المحكم**))(البخاري ١٤٠٧ هـ - كتاب فضائل القرآن ، باب تعليم الصبيان القرآن جـ ٦ ص٥٩٦)

ويرى كثير من المربين أمثال الغزالي ، وابن خلدون وجوب تعلم القرآن للأطفال فيقول ابن خلدون في مقدمته (د.ت) :

> « اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات » (ص ٥٢٧).

فإذا حفظ الأولاد القرآن كان أمنع لهم من مخالطة السفهاء ، وأحفظ لأوقاتهم من الضياع . به تتقوم ألسنتهم ، وتسمو أرواحهم ، وتخشع قلوبهم ، ويترسخ الإيمان في نفوسهم .

ومن مهمات الأسرة المسلمة تربية الناشئة على حب القراءة والعلوم ففيها توسيع للمدارك ، وصقل للذهن ، وقضاء على وقت الفراغ ، خصوصا في أوقات الاجازات الدراسية ٠

ومن الواجبات الملقاه على عاتق الآباء والأمهات تنظيم الوقت للأولاد في النوم واليقظة ، ووقت الأكل ، والرياضة المباحة المشروعة ، يُعَوِّدون أولادهم على النوم المبكر من اجل أن يستيقظوا مبكرين يؤدون صلاتهم ، ويباشرون أعمالهم ، ثم يسمحون لهم بممارسة الرياضة التي تقوي أجسامهم ، وتعيد نشاطهم في أوقات محددة من أيام الأسبوع ، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((**علموا أولادكم السباحة ، والرماية ، ومروهم فليثبوا على ظهور الخير وثبا**)) (علوان ١٤٠٦ هـ ، ص ٨٧٢)٠

ومن المسئوليات الأخرى التي يجب أن تقوم بها الأسرة المسلمة اليوم : تنظيم وقت الناشئة فيما يختص بمشاهدة التلفزيون الذي لا يكاد يخلو منزل منه بحيث لا تسمح لهم إلا بمشاهدة البرامج التي لا تهدم الأخلاق ولا تفسد الدين كالبرامج الدينية والثقافية ، وبرامج التسلية للأطفال وفي أوقات محددة ومضبوطة ، كما يجب على الأسرة أن تحظر على الناشئة مشاهدة التلفزيون في أوقات النوم ، وأوقات المذاكرة والقراءة ، وتقلل من ساعات المشاهدة بشكل عام ٠ فلقد اثبتت بعض الدراسات أن الإمتناع عن تشغيل الجهاز لفترات معينة له فوائد وآثار حسنة على الأسرة ، فلقد قامت مجموعة من علماء الإجتماع في الولايات المتحده بدراسة تدور

حول حرمان أسرة أمريكية من مشاهدة التلفزيون لمدة أسبوع كل شهر تتكون هذه الأسرة من الزوجين وأربعة أبناء تتراوح أعمارهم بين (٣) إلى (١٢) عاما ، ومن خلال المتابعة والتحليل إتضح ما يلي :-

(١) إنخفضت حدة الخلافات بين أفراد الأسرة ، والميل للسلوك العدواني ، والعنف ، وتوتر الأعصاب •

(٢) أصبحت القراءة هي الهواية المفضلة لأفراد الأسرة •

(٣) انصراف الأسرة إلى القيام ببعض التمارين الرياضية المناسبة والمفضلة لديهم •

(٤) مساهمة جميع أفراد الأسرة في الأعمال المنزلية بانتظام دون إهمال أو كسل •

(٥) تمكن الأبناء من تكوين صداقات مخلصة خلال هذا الإسبوع •

(مروان كجك ، ١٤١٠ هـ) •

فهذه الأسرة الغربية استفادت من تخفيض ساعات المشاهدة وتوفر لديها الكثير من وقتها الذي صرفته في أمور نافعة بالنسبة لها فكيف بالأسرة المسلمة التي يجب عليها الاهتمام بوقتها وصرفه فيما ينفع تمشيا مع التوجيهات الربانية الكريمة •

وإذا كانت الأسرة المسلمة قادرة على الاستغناء عن هذا الجهاز فنعما هي ، فقد لفت كثير من العلماء أنظار المسلمين إلى خطر التلفزيون وقال بعضهم بحرمته وأنه لا يجوز للمسلم الحريص على دينه ، وأخلاقه ، ووقته اقتناءه • فيقول عبدالله علوان (١٤٠٦ هـ) « وانتهينا أخيرا إلى هذا الحكم : إن اقتناء التلفزيون ، والنظر إليه والاستماع إلى برامجه الحالية يعد من أكبر الحرام ، وأعظم الإثم ••» (ص ٨٦١)

وقد حرمه أيضا (عبدالله بن حميد) رحمه الله لما يرى أنه سبب للشر والفساد ، والخلاعة والدعارة ، وأنه يربي الأطفال على الرقص والمجون ، وأنه مشغل للوقت مذهب له بدون فائدة مؤد إلى ترك الصلاة في جماعة أو إلى خروج وقتها ٠ (مروان كجك ، ١٤١٠ هـ) ٠

وعلى الأسرة المسلمة أن تحفظ أبناءها من رفقة السوء حيث يقوم الوالدان بمتابعة الأولاد ومعرفة من يخالطون حتى يسلم وقتهم من الهدر والضياع ، وعدم السماح لهم بالخروج من المنزل ليلا بحجة السمر مع الأصدقاء والزملاء ، وعلى الأب أن يكون قدوة طيبة لأولاده بحيث يقضي وقت فراغه في المنزل أو بصحبة أسرته لزيارة الأقارب أو للتنزه بعيدا عن إهدار الوقت وارتياد المقاهي وغشيان مجالس اللهو والفراغ ٠

إن مخالطة الأقران ، والخروج إلى الشارع ، وممارسة الحياة خارج البيت ضرورة للطفل ليكتمل بنيانه النفسي والعقلي ، وتنمو جوانب شخصيته ، ولكن هذه المخالطة لا تخلو من المخاطر التربوية لذا كانت المراقبة حتمية من قبل الوالدين ، وتتمثل في تصحيح الأخطاء والانحرافات قبل أن تستفحل ، وأن لا يتجاوز الطفل القدر المسموح به من اللعب ، وحرمانه من الخروج إلى الشارع ، إذا كان فيه ضرر عليه ويتطلب الأمر - أيضا - مزيدا من النصح والتوجيه ، واختيار الرفقة الطيبة ذات التربية الصالحة ، ومزيدا من العتاب إذا لزم الأمر ٠ (محمد قطب ، ١٤٠٨ هـ)٠

ومن العوامل الكبيرة ، والأسباب التي تؤدي إلى ضياع الوقت ، وانحراف الخلق الخلطة الفاسدة ، وقرناء السوء ، ومن هنا كانت مسئولية الأسرة عظيمة في

الحفاظ على الأولاد من مصاحبة الأشرار الذين لايقيمون وزنا للوقت كيف يذهب ؟ وفيما ينفق ؟ يقول عبدالله علوان (١٤٠٦ هـ) : « والإسلام بتعاليمه التربوية وجه الآباء والمربين إلى أن يراقبوا أولادهم مراقبة تامة ، وخاصة في سن التمييز والمراهقة ، ليعرفوا من يخالطون ويصاحبون ، وإلى أين يغدون ويروحون ؟ وإلى أي الأماكن يذهبون ويرتادون » (ص ١٢٢) ٠

تصور لبرنامج زمني محدد :

ويقدم الباحث ـ للأسرة المسلمة ـ تصورا لبرنامج يومي ، يحفظ عليها وقتها ، وتربي عليه أولادها ، تسير بموجبه ٠ حيث يبدأ البرنامج مع الصباح الباكر حين تصحو الأسرة من نومها ، يقوم الوالد ، ويأمر من وجبت عليه الصلاة منهم بالوضوء ثم يصطحبهم إلى المسجد لأداء صلاة الفجر مع جماعة المسلمين ، ولا يعود للمنزل إلا وقد أدت الأم صلاتها مع بناتها وشرعت في إعداد وجبة الإفطار ، ثم يتناولون وجبتهم سويا ، بعدها يصطحبهم والدهم إلى المدرسة ، وقد اطمأن عليهم ، ثم يذهب إلى عمله ، وبعد صلاة الظهر ينصرف الأولاد من المدارس ويعودون إلى منازلهم ويجتمع شمل الأسرة من جديد فيتناولون غداءهم ، ثم يخلدون للراحة قليلا إلى حين وقت صلاة العصر فيؤدون صلاتهم في المسجد ، بعدها قد ينصرف الوالد لقضاء بعض مصالحه ، وجلب أغراضه ، أما الأولاد فيعودون من المسجد إلى البيت لمذاكرة دروسهم حتى صلاة المغرب حيث ينفر الجميع إلى الصلاة كعادتهم ـ الأولاد في المسجد ، والبنات في البيت تحت رعاية والدتهن ٠ وتكون الفتره الفاصلة بين المغرب والعشاء فترة روحية عظيمة يوجه الوالدان فيها أولادهما إلى حضور بعض حلقات

الدرس في المساجد أو قراءة القرآن إلى حين صلاة العشاء حيث يؤدون الصلاة ثم يتناولون وجبة العشاء لينصرف كل منهم إلى دروسه مرة أخرى ، أو سماع الأخبار حتى الساعة العاشرة تماما ثم ينصرف الجميع إلى النوم . ويطلع فجر اليوم الجديد ، وتستيقظ الأسرة ويبدؤون البرنامج من جديد .

وفي عطلة نهاية الأسبوع يمكن أن يسمح الوالدان لأولادهما بالترفيه عن أنفسهم في ممارسة النشاط الرياضي المباح ، أو الخروج من المنزل بمصاحبة الأسرة ، أو الرفقة الصالحة وذلك من أجل التنزه والاستجمام لأن في هذا تجديدا للنشاط ، وبعدا عن الروتين المعتاد . أو القيام بزيارات منظمة للأقارب ، والأصدقاء ، والجيران ، لما في ذلك من الألفة وصلة الرحم ، والتكافل الإجتماعي بين المسلمين .

ويسعد الوالدان حينما يشاهدان أبناءهما قد انتظموا على برنامج محدد يكفل لهم أداء الصلاة في وقتها ، واستذكار دروسهم ، وتناول طعامهم ، والإنصراف إلى نومهم .

وتزداد سعادتهما ، وتقر عيناهما حينما يحددان لأولادهما ساعات من اليوم لحفظ القرآن وحضور حلقاته حتى يتمكنوا من حفظه ، فحينئذ تكون أوقاتهم عامرة ، وتربيتهم سليمة ، وسعيهم مشكورا .

أما في موسم الإجازات الدراسية الطويلة بعد نهاية العام الدراسي فيختلف الأمر قليلا ، وذلك لأن الساعات التي كان يقضيها الأبناء في المدرسة قد انعدمت

وأصبحوا فارغين في الفترة الصباحية • فكيف يمكن علاج هذا الفراغ وملؤه بما يعود بالفائدة على الناشئة ؟

يتصور الباحث برنامجا في عطلة الصيف يمكن أن تتبعه الأسرة المسلمة على النحو التالي : ـ

(١) يحرص الوالدان على آداء صلاة الفجر ، بحيث يصطحب الأب أولاده الى المسجد •

(٢) تعود الأسرة أبناءها على قراءة القرآن بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس •

(٣) تجتمع الأم مع أولادها على طعام الإفطار بين الساعة الثامنة والتاسعة ، إذا افترضنا أن الوالد قد خرج إلى عمله •

(٤) يمكن أن يشارك الأولاد ـ الذين هم في سن الشباب ـ والدهم في العمل خاصة إذا كان والدهم لا يعمل موظفا • ومن هنا تتربى فيهم القدرة على تحمل المسئولية ، إضافة إلى شغل وقتهم بعمل نافع مفيد •

(٥) يمكن أن يبحث الوالد عن عمل لبعض أولاده الكبار في فترة الصيف خصوصا إذا كان من ذوي الدخل المحدود ، وذلك من أجل تحسين الوضع الإقتصادي للأسرة ، وحفظ الأولاد من الضياع والفراغ •

(٦) يوجه الوالدان أبناءهما إلى زيارة المكتبات العامة للقراءة والإطلاع في الفترة الصباحية وحتى الظهر •

(٧) يعود أفراد الأسرة إلى منزلهم بعد أن يؤدوا صلاة الظهر ثم يجتمعون على الغداء •

(٨) لا مانع أن يسمح الوالدان لأولادهما بممارسة النشاط الرياضي يوميا بعد صلاة العصر إلى المغرب مع الرفقة الصالحة الطيبة بشرط أن يكون الجميع متواجدين في المنزل بعد صلاة المغرب مباشرة .

(٩) كما أسلف الباحث تكون الفترة المحصورة بين المغرب والعشاء فترة روحية ينبغي للأسرة استغلالها في تعليم أولادهما القرآن الكريم .

(١٠) بعد آداء صلاة العشاء وتناول طعام العشاء لا بأس أن يشاهد الأولاد من برامج التلفزيون ما يتمشى مع الأهداف التربوية التي تنشدها الأسرة المسلمة في أولادها بعيدا عن الأفلام الهابطة وحتى الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل .

(١١) تنظيم رحلات إسبوعية للأسرة حتى ولو كانت قريبة من أجل الترويح والفسحة ، أو الزيارات الإجتماعية .

(١٢) يجدر بالأسرة المسلمة في موسم الصيف أن تقوم بزيارة للأماكن المقدسة في مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، خصوصا ونحن قد أنعم الله علينا في هذه البلاد بالقرب من هذه البقاع الطاهرة ، وَيسَّر لنا ما لم يتيسر لغيرنا من المسلمين الذين نأت بهم الديار وكانت زيارتهم لهذه الأماكن تعتبر حدثا عظيما وذكرى غالية في نفوسهم .

إن هذا البرنامج الذي يرسمه الباحث ليس إلا تصورا متواضعا وقد يكون فيه شيء من المبالغة ، ولكن الذي يريده الباحث من الأسرة المسلمة : أن تكون محافظة على وقت أبنائها وتربي فيهم قيمة الوقت حتى ينشأوا وهم على وعي كبير بأهميته وقدره .

ويرى الباحث أن الأسرة تقوم بواجبها ، وتنجح في أداء الدور المطلوب منها إذا تضافرت جهودها مع المؤسسات التربوية والإجتماعية الأخرى ، هذا الدور المتمثل في توجيه الناشئة لكل ما فيه خيرها ، وصلاح أمرها في اغتنام الأوقات ، وتسخير الكون ، وتحقيق الخلافة عن الله في الأرض ٠

فإذا كانت الأسرة حريصة على تربية أبنائها تعلمهم الفضيلة ، وتزرع في نفوسهم الخير ، وتحبب إليهم العمل ، وتبغض إليهم الفراغ والبطالة ، ثم يخرجون إلى الشارع ولا يجدون فيه رفقة صالحة تعزز في نفوسهم ماتعلموه من والديهم ، أو ذهبوا إلى المدرسة فلم يجدوا فيها بيئة طيبة ، وكان دورها ناقصا ، واتصالها بالأسرة منفصما ، فكيف يكون عليه حال الناشئه ؟! إنهم يعيشون حياة الإضطراب والتناقض ٠

ويؤكد الباحث على ما سبق بما يقوله محمد قطب (١٤٠٦ هـ) :

> « فإذا كنا نريد أن نربي أطفالنا تربية إسلامية ـ وذلك هو المقتضى الطبيعي لكوننا مسلمين ـ فلابد ـ بداهة ـ أن يكون لدينا البيت المسلم ، والشارع المسلم ، والمدرسة المسلمة ، والمجتمع المسلم ٠٠٠ وإلا فلن تكون الحصيلة في النهاية كما نريد » (ص ٩٤) ٠

<u>ثانيا : دور المدرسة :ـ</u>

للمدرسة دور عظيم في إتمام ما قامت وتقوم به الأسرة في عملية التربية ، حيث لا يقتصر دورها على تعليم الناشئة العلوم التي تحتويها المناهج الدراسية ، ولا تنتهي مسئوليتها عند حد إعطاء الواجبات وتصحيحها ، وتحديد مواعيد الاختبارات وتنفيذها وإعلان نتيجة الطلاب في كل عام دراسي ، بل يتطلب الأمر

دورا فعالا وناضجا في عملية التربية يتمثل في تعليم العلم ، والأخلاق وخدمة المجتمع • ومن الأخلاق الإسلامية الفاضلة المحافظة على الوقت واغتنامه فمن هنا كان لابد للمدرسة أن توجه الناشئة إلى هذا الخلق الرفيع وتبعث فيهم الاهتمام والشعور بقيمة الوقت منذ المراحل الأولى للتعليم الابتدائي يقول فاروق عبدالسلام (١٤٠٨ هـ) في أهمية التوجيه والإرشاد :ـ

> « وتقع مسئولية الارشاد في المدرسة الإبتدائية على عاتق كل عضو من أعضاء المدرسة • ويقوم فريق الإرشاد تحت إشراف الإدارة بتقييم الأهداف والخطط للحصول على خدمات توجيهية فعالة • وتعتبر المتابعة والبحوث وتقويم الأنشطة مظاهر أساسية لمحاولة تزويد الطلاب بمناخ تعليمي يعمل فيه كل طفل من أجل شخصية سوية قادرة على التحصيل بما يتفق وقدراته » (ص ٦٨) •

وتبدا المدرسة بإشعار الطلاب بقيمة الوقت ، وأهميته منذ حضور الطالب إليها في الصباح الباكر حيث تحرص إدارة المدرسة على أن ينتظم الطلاب جميعا وفي الوقت المحدد للطابور الصباحي ، ولا تسمح بالتأخر • ومن تأخر أو تكرر تأخره فحينئذ تكون مسئولية المدرسة في المعالجة بالأسلوب الذي تراه مناسبا ، ويبدأ بعد ذلك اليوم الدراسي وانتظام الحصص في أوقاتها المحددة ، وعلى المدرس أن يكون قدوة لتلاميذه حضورا وانتظاما • يلتزم بوقت الحصة في بدايتها ونهايتها ، ويعلم تلاميذه على ذلك ويعودهم ، وإذا اعطى لهم شيئا من الواجبات وحدد لهم موعدا لإنجازه فعليه أن يحافظ على ذلك الموعد ، ولا يتهاون في أمر من يتأخر عنه حتى يربي في تلاميذه الشعور بقيمة الوقت ، والمحافظة على المواعيد لأن إخلاف الوعد خلق سيء لا ينبغي أن يتصف به المسلم • فهو من خلق المنافقين الذين أخبر عنهم

الرسول الكريم بقوله : ((أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر))(١) (مسلم ١٢٧٤ هـ ٠ باب خصال المنافق) ٠

وينبني التوجيه في المرحلة الإبتدائية على مفهوم النمو المستمر للأطفال ، فلابد من مراعاة ميولهم نحو اللعب ، والحيوية ، واستغلال طاقاتهم الكامنة في حصص النشاط والرياضه لبناء أجسامهم ، وتجديد نشاطهم نحو القراءة ٠ وكذا ينبغي للمدرسة الإبتدائية أن تربي في التلاميذ تنظيم الوقت ، وأن لكل وقت عمله : من عبادة ، وعلم ، ورياضة ، وراحة ونوم ٠

ويزداد عمل المدرسة نجاحا كلما توثقت الصلة بينها وبين بيت التلميذ حيث يكون العمل متناسقا ، والجهود متضافرة من أجل تربية الناشئة ، وزرع القيم الفاضلة في نفوسهم ، ومنها حب اغتنام الوقت ٠

وكلما كبر التلميذ وانتقل إلى مرحلة دراسية أعلى تطلب الأمر جهدا مضاعفا في توعيته وتبصيره بأهمية الوقت خصوصا بعد أن يلج مرحلة المراهقة فتزداد حاجاته ورغباته مع نموه الجسمي السريع ، ونضجه النفسي ، وما يصاحب ذلك من حالات الخمول والتعب ، والكسل المفضي إلى إهدار الوقت وضياعه سدى ٠ ومن هنا تكون الحاجة ماسة إلى الإرشاد والتوجيه الأمثل ٠(فاروق عبدالسلام ، ١٤٠٨ هـ)

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان ـ باب علامة المنافق ، جـ١ ص ٨١ ٠

فكيف يكون توجيه طالب المرحلة المتوسطة ، وطالب المرحلة الثانوية الذي أصبح شابا مكلفا ؟ • يمكن للباحث أن يجيب على هذا التساؤل إبتداء بما تقدمه المدرسة الإبتدائية من توجيهات للناشئة ممثلة في الحرص على أوقات الدوام الرسمي وبدايات الحصص الدراسية وأن يكون المعلم قدوة طيبة للطالب بمحافظته على الوقت ، وحث الطلاب على الاستفادة من أوقاتهم ، وصرفها فيما يعود عليهم بالنفع • يحثهم على المذاكرة ، ومتابعة دروسهم أولا بأول ويحاول جاهدا بكل الوسائل المتاحة له أن يبعث فيهم روح الجد والاجتهاد ، ويبعدهم عن الملل والكسل ، وينصحهم بزيارة المكتبات في أوقات فراغهم ، وحضور الندوات والمحاضرات التي تلقى في بيوت الله ويناقشهم حول موضوعاتها ، ثم يرشدهم إلى قراءة بعض الكتب التي تنمي فيهم عقيدة التوحيد كما يقول عبدالله علوان (١٤٠٦ هـ) « أقترح على المربين والمعلمين والآباء •• أن يختاروا للتلاميذ وأبنائهم أفضل الكتب لتعليم الأولاد عقيدة التوحيد منذ سن التعقل والتمييز ، ورأى أن يكون التعليم على مراحل ، كل مرحلة تتفق مع سن الولد ومع نضجه وثقافته » (ص ١٧٤) وهو يوجه نظر المعلم إلى اختيار بعض الكتب التي تغذي عقل الطالب وروحه نذكر منها على سبيل المثال :

(١) « أصول العقائد » للأستاذ عبدالله عرواني •

(٢) كتاب « الوجود الحق » للدكتور حسن هويدي •

(٣) كتاب « شبهات وردود » عبدالله ناصح علوان •

(٤) كتاب « الدين في مواجهة العلم » وحيد الدين خان •

(٥) كتاب « العلم يدعو إلى الإيمان » كريسي موريسون •

(٦) كتاب « الله والعلم الحديث » عبدالرازق نوفل •

ثم هناك درجات خاصة بالنشاطات اللاصفية يمكن أن يخصصها المدرس لأولئك الطلاب الذين يطالعون كتبا أخرى غير مناهج الدراسة • فهذا يبعث على التنافس بين الطلاب ، في القراءة التي تحفظ عليهم أوقاتهم من الضياع • وهناك بعض المناهج الدراسية في المرحلة المتوسطة والثانوية ، كالتاريخ ، والسيرة النبوية ، والحديث والثقافة الإسلامية تزخر بموضوعات وشخصيات إسلامية عظيمة كان لها دور واضح في بناء الحضارة الإسلامية ، فيمكن لمدرسي هذه المواد أن يلفتوا نظر طلابهم إلى أولئك الأعلام ، كيف كانوا حريصين على أوقاتهم ، وكيف بنوا لأنفسهم مجدا عظيما ، وتاريخا مشرقا تتناقله الأجيال الإسلامية • وبذلك يرسم المدرس صورة للمثل الأعلى والقدوة الحسنة •

ويضاف إلى ماتقدم الدور الذي ينبغي للمدرس أن يقوم به في مناصحة طلابه عن الابتعاد عن رفقة السوء ، والخلطة الفاسدة التي تضر بالطالب في خُلُقِه ، وإهدار وقته • ويحثهم على اختيار الأصدقاء ممن يتميزون بأخلاقهم العالية ، ونهجهم السليم • فلا شك أن المرء يتأثر بمن يصاحب ، وأن القرين بالمقارن يقتدي • وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على اختيار الصحبة الطيبة وملازمتهم حيث يقول : ((**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة**)) (١) (**مسلم جـ ١٦ ، باب إستحباب مجالسة الصالحين**) •

---

(١) حديث متفق عليه ـ انظر ص (١٦٢) •

ومن مسئولية المدرسة أن تقضي على فراغ الطلاب أثناء اليوم الدراسي خصوصا في الثانويات المطورة التي قد يكون فيها الطالب فارغا من الدرس لبعض الوقت تمشيا مع نظام الساعات ، فهنا لا بد أن تهتم المدرسة بالمكتبة وتجعلها ملائمة لاستقبال الطلاب ، ثم النشاطات الأخرى ، الثقافية ، والرياضية ، والإجتماعية التي ينبغي أن تأخذ نصيبها من البرنامج الدراسي ، فالترويح عن النفس مذهب إسلامي إذا كان ترويحا مباحا لا ضرر من ورائه .

ويمكن أن تقوم المدرسة بدور بارز في توجيه الطلاب علميا ومهنيا منذ المرحلة الابتدائية حيث يختار الطالب التخصص الذي يميل إليه بمساعدة المدرسة وولي الأمر .

وينبغي للمدرسة أن تعمل على أن يحس الطالب بالمشاركة الإجتماعية وإنه جزء من المجتمع الكبير ، ويتم ذلك عن طريق تنظيم زيارات للطلاب في أوقات فراغهم من الدراسة بمصاحبة المشرف الإجتماعي ، والمرشد الطلابي إلى بعض المؤسسات الإجتماعية كالمستشفيات ، للإطلاع على أحوال المرضى ، ومعرفة نوع الخدمات التي تقدم لهم ، وزيارة الجامعات ومراكز خدمة المجتمع بها للتعرف على ما تقوم به الجامعة من خدمات إجتماعية ، وكذلك زيارة بعض المؤسسات الإقتصادية ،

حتى ولو كان ذلك خارج وقت الدوام الدراسي ، فإن في هذا فائدة عظيمة في حفظ أوقات الشباب ، وزيادة معرفتهم بأحوال المجتمع ، وتنمية المشاركة الوجدانية لديهم .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل يتعداه إلى المنهج الذي تقدمه المدرسة لطلابها ، سواء كان منهجا صفيا أو خارج الصف ، فينبغي أن يكون هذا المنهج مشتملا على ما يُعّرف الطالب بأهمية الوقت في الإسلام ، وضرورة المحافظة عليه وعدم اهداره ، وأن الإسلام دين العمل والإنتاج . كما يقول محمد قطب (١٤٠٨ هـ) « والإسلام حريص على « شغل » الإنسان شغلا كاملا منذ يقظته إلى منامه ، بحيث لا يجد الفراغ الذي يشكو منه ، ويحتاج في ملئه إلى تبديد الطاقة أو الإنحراف بها عن منهجها الأصيل » (ص ٢٠٦) . ويرى الباحث أن المدرسة تستطيع أن تقوم بهذا التوجيه من خلال المنهج كأن يقوم المدرسون بتوجيه طلابهم ـ في وقت مُقْتَطَع من الدرس ـ إلى أهمية الوقت في حياة المسلم ، وضرورة اغتنامه في عمل منتج ، وبيان خطر الفراغ على الشباب ، وما يجره من مفاسد خُلُقِيّة واجتماعية ، وما يهدره من الطاقات التي يمكن أن تستثمر فيما يعود على الإنسان بالنفع .

وللملصقات والصحف الحائطية ، والإذاعة المدرسية دور بارز في توجيه وتوعية الطلاب ، وهي من الأساليب التربوية التي يمكن أن تسهم في تحقيق الأهداف المنشودة . فيجدر بالقائمين على هذه الأنشطة أن يعيروا الوقت أهمية بارزة ، بحيث تشتمل على الأفكار والمقالات التي تحث الطلاب على ضرورة المحافظة على الوقت ، وتهيب بهم إلى عدم التفريط فيه .

ويناشد الباحث ـ في هذا الصدد ـ وزارة المعارف بأن تقرر ضمن المناهج الدراسية منهجا خاصا بالتربية الخُلُقية يدرس لطلاب المرحلة الثانوية ، ويكون فيه باب مستقل عن الوقت ودور المسلم في المحافظة عليه ·

فإذا كانت التربية الغربية تعمل جاهدة على تدريب طلابها على استثمار ، واستغلال أوقات فراغهم فكيف بالتربية الإسلامية التي هي أولى بذلك لما عليها من مسئولية عظيمة في إعداد جيل قادر على القيام بأمر الخلافة عن الله في الأرض ، وحمل الأمانة التي أشفقت منها السموات والأرض · والباحث يورد بعض الأفكار التي نادى بها بعض المفكرين الغربيين حول الدور الذي تقوم به المؤسسات التربوية ، فيرى « **جون ديوي** » أن للتعليم مسئولية جادة تتمثل في إعداد المتعلمين للإنتفاع بوقت فراغهم بطريقة بناءه ·

أما « **برتراند راسل** » فيرى أن من أهداف التعليم تنمية إتجاهات لدى المتعلمين تعينهم على استخدام وقت فراغهم بذكاء ·

أما « **وليم فونس** » فيؤكد على أن المسئولية الأولى للمدارس تنمية العديد من القيم والإتجاهات ، التي تؤدي إلى إتاحة الفرصة للمتعلمين لإستثمار وقت فراغهم · (درويش والحمامي ، ١٤٠٦ هـ) ·

وأخيرا يركز الباحث على ضرورة التعاون بين البيت والمدرسة من أجل إنجاح عملية التوجيه والإرشاد ، فالمدرسة لا يمكن أن تقوم بدورها كما ينبغي لها إلا إذا كان لها سند قوي من ولي الأمر بمشاركته في المحافظة على وقت ولده ، وتوجيهه إلى استغلال وقت الإنصراف من المدرسة في آداء الصلاة في وقتها ، والمذاكرة ، وحل الواجبات · وقد وضّح الباحث هذا في المبحث الأول من هذا الفصل ·

ثالثا : دور التلفزيون :

تبين مما سبق كيف أن التلفزيون من الأسباب التي تعمل على إهدار الوقت ، وضياعه خصوصا بين الناشئة الذين يصرفون كثيرا من الساعات في اليوم لمشاهدة برامج التلفزيون دون وعي وانتقاء ٠ وفي هذا الفصل يقدم الباحث تصوراته عن الدور الذي ينبغي أن يقوم به الجهاز الإعلامي في مساعدة الناشئة والشباب على حفظ أوقاتهم عن طريق توجيه البرامج وجهة صحيحة نافعة تتمشى مع الأهداف ، والقيم الإسلامية ٠

إن التلفزيون ببرامجه الحالية لا يحفظ وقتا ولا يعلم فضيلة ويتعارض مع مقاصد التشريع الإسلامي في حفظ الضرورات الخمس للإنسان المسلم ممثلة في حفظ الدين ، والعقل ، والنفس ، والعرض ، والمال ، وهذا هو السبب الذي حدا ببعض من علماء الأمة إلى تحريم مشاهدة هذا الجهاز (علوان ، ١٤٠٦ هـ) ٠

فإذا كانت برامجه في معظمها من الدراميات الخليعة ، والدعايات المثيرة ، والأفلام الفاسدة التي يظهر فيها عـري المرأة وتهتكها فأي حفظ هذا للدين والعقل ؟ ، وإذا كان الشاب والفتاة يشاهدان على الشاشة سبل الإغراء والفتنة ويتعلمان أساليب الحب والغزل فأي حفظ للشرف والعرض ؟ وإذا كان القائمون على التلفزيون يصرفون المبالغ الكبيرة على نقل المباريات الرياضية من مختلف أنحاء العالم ، ويقومون بشحن البرنامج اليومي بالدعاية الإستهلاكية للسلع والبضائع الأجنبية التي تغص بها أسواقنا فأي حفظ للمال بعد هذا ؟ ولا يقف الأمر عند حد ما ذكره الباحث سابقا بل يتعداه إلى الإسراف العظيم في ساعات البث وإضاعة وقت

المشاهدين دون اعتبار للقيم الدينية ، والإجتماعية التي تؤمن بها الأمة الإسلامية • فما فائدة أن ينفق المشاهد الساعات الطوال من عمره في مشاهدة برامج التسلية التي لا تعود عليه بالفائدة ولا تسهم في بناء المجتمع ؟

إن وظيفة التلفزيون لا تنحصر في تلبية رغبات الجمهور فقط ، وإنما تتعداها إلى الرقي بذوق المشاهد ، والاستعلاء برغباته إلى معالي الأمور ، ورفع همم الشباب وطموحاتهم إلى المساهمة في دفع عجلة التنمية الإجتماعية ، فليس من وظيفته تعليم الرقص ، والغناء ، والسهر إلى الساعات الأولى من الصباح بل من وظيفته تعليم الفضيلة ، وإسداء النصح والتوجيه ، والحث على العمل •

لا يليق بأمة الإسلام التي هي خير أمة أخرجت للناس أن تعمل وسائل إعلامها ومنها : التلفزيون على إهدار الطاقات الكامنة في الشباب ، وسلب أوقاتهم ، وضياع أعمارهم •

فمادام الأمر خطيرا إلى هذا الحد ، ومادام التلفزيون وسيلة إهدار للوقت في وضعه الراهن فما الذي ينبغي أن يقوم به رجال الإعلام لتصحيح المسار وتجنب المزالق والمخاطر ؟ •

إن الإدارة المسلمة الواعية يمكن أن تصلح ما فسد من أمر هذه المؤسسة الإعلامية وذلك بتغيير السلبيات القائمة ، وتقديم البرامج المفيدة والجيدة • **يقول آل زعير** (١٤٠٧ هـ) « والتلفزيون قادر على تقديم ذلك من خلال برامجه ليحول نشاط الأفراد السلبي والذي يستهلك أوقات الكثير من المشاهدين من خلال برامج

التسلية والترفيه إلى أنشطة هادفة تحقق مردودا إيجابيا على الفرد والمجتمع » (ص ٢٧٦) .

ويقول « عبدالعزيز الشايع » موجه التربية الإسلامية بالطائف : إذا أراد القائمون على أمر التلفزيون النجاح في عملهم فينبغي أن يتعاونوا مع رجال التربية من أجل أن تكون برامجهم متمشية مع الأهداف المنشودة وهو يرى أن التعاون ليس قائما في الوقت الحاضر ويسوق لذلك مثلا فيقول : يقدم التلفزيون أحيانا برامج دينية وتاريخية تحكي سيرة الجهاد الإسلامي حيث يتقمص أحد الممثلين دور المجاهد المسلم ، ولكن هذا الممثّل معروف بسمعته السيئة حيث كان بالأمس وفي مسلسلة درامية رمزا للهو والعبث فكيف نضعه في موقف ديني يمثل صحابيا أو تابعيا ، فلو كان التعاون قائما بين المربين والإعلاميين ما حصل مثل هذا . ويضيف قائلا : إن المربين إذا طرحوا أفكارهم وشاركوا في اختيار البرامج وتوقيتها فإن ذلك يسهم ولو بدور بسيط في حل بعض المشاكل المتعلقة بالتلفزيون من حيث نوع المادة المعروضه ووقت عرضها وما تستغرقه من الوقت .

ولقد أوصت الندوة المنبثقة عن مكتب التربية العربي لدول الخليج في مؤتمرها المنعقد بالرياض في ٦ شعبان ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٩ مايو ١٩٨٢ م بضرورة التنسيق بين الإعلاميين والتربويين على النحو التالي :

أ ـ أن تنظم لقاءات دورية داخل كل دولة خليجيّة يلتقي فيها التربويون ، والإعلاميون لمناقشة الموضوعات ذات الاهتمام المشترك ، وذات الأثر في تربية المواطنين .

ب ـ أن يعمل مكتب التربية العربي على تنظيم لقاءات دورية للمسئولين عن التربية والإعلام في دول المنطقة لتوحيد مواقفهم تجاه عمليات تنشئة الأجيال تنشئة سليمة بما يتلاءم مع تقاليد الأمة وتراثها ، وطموحاتها ٠

جـ ـ أن يقوم مكتب التربية العربي لدول الخليج بوضع برنامج عملي لهذه اللقاءات ، وأن يضمنه في مشروعاته ٠

وكذلك أوصت اللجنة بزيادة العناية بالبرامج الدينية كما وكيفا ٠ وأن تحرص الأجهزة التربوية التعليمية على تدريب الطلاب على حسن ما تنشره وسائل الاعلام وذلك عن طريق إخضاع كل ذلك للدراسة والتحليل والتفسير والنقد ويمكن أن يتم ذلك عن طريق دروس اللغة العربية في المطالعة والتعبير والنصوص الأدبية ، وغيرها من الدروس ٠ (مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٦ هـ)٠

أما ما يخص التلفزيون ، وهو الجهاز ذو التأثير الواسع فينبغي للقائمين على أمره - بجانب التعاون مع التربويين - أن يدركوا الدور التربوي الذي يقوم به هذا الجهاز في توجيه وتنشئة الأجيال ويتمثل هذا الدور في مراعاة القيم الإسلامية ، واختيار البرامج الدينية والثقافية والعلمية ، والترويحية ، وبعض البرامج العالمية المفيدة التي لا تتنافى مع العقيدة والأهداف الإسلامية النبيلة ٠

وكذا ينبغي للإدارة المسلمة المشرفة على التلفزيون أن تبتعد عن البرامج المبتذلة ، والرخيصة التي تحط من خلق المسلم ، وتشارك في دعوات التضليل ، والانحراف عن شريعة الله التي يدعو إليها أعداء الإسلام من اليهود والصليبيين ، والشيوعيين ٠ كما ينبغي للتلفزيون المسلم أن يراعي الوقت ، ويحافظ عليه من الهدر ،

والضياع وذلك بتقديم البرامج في أوقات محددة من اليوم تبدأ مثلا في أوقات الراحة من بعد صلاة المغرب ، وحتى الساعة العاشرة ليلا بحيث لا تطول فترة البث ، وتستهلك وقت المشاهد ، وتعطله عن القيام بواجباته ، وأعماله سواء كان عاملا أو موظفا أو طالبا أو حتى أُمًّا مربية في بيتها. فإذا توقف التلفزيون عن البث مبكرا كان في ذلك مساعدة للأسرة المسلمة على أن تنام مبكرة ، وتصحو مبكرة ، فيصلي الفجر من وجبت عليه الصلاة وينصرف كل إلى عمله.

كماينبغي للتلفزيون أن يراعي أوقات الصلاة ، ويتوقف نهائيا عن البث في وقت دخولها إلى وقت خروجها على قنواته المختلفة حتى ولو كان في ذلك قطعا لبرامج منقولة على الهواء مباشرة.

إن ساعات العرض الطويلة التي يبث فيها التلفزيون برامجه قد أربكت الأسرة المسلمة ، وخلقت لها مشكلة في تنظيم وقتها ليلا ونهارا ، وصرفت الأطفال عن قراءة القصص التي توسع مداركهم وتنمي فيهم الرغبة في القراءة ، وسرقت الساعات الطويلة من ربة البيت وفوّتت عليها جزءا من عملها ، أو أبطأت به عن وقته ، وكذلك صرفت كثيرا من الشباب عن القراءة الجادة ، وحضور الندوات ، والمحاضرات ، ومن هذا المنطلق كانت الدعوة إلى خفض ساعات الإرسال وعدم كثافة البرامج حتى في أيام الإجازات من أجل أن يجد الشباب المسلم فرصة من وقت فراغهم يصرفونه في القراءة المفيدة ، أو الرحلات والنشاطات الرياضية ، أو الزيارات للأقارب والأصدقاء.

والتلفزيون في ظل الإدارة الإسلامية الواعية يجعل الفرصة مهيأة أمام المشاهد في اختيار مايناسبه من البرامج التي تحقق رغباته وتتمشى مع ميوله وتوجهاته في الوقت الذي لا يلحق فيه ضرر لأمر دينه ودنياه فالعبرة بالكيف لا بالكم كما يقول مروان كجك (١٤١٠ هـ) « فإن التلفزيون الخيِّر أجدى وأنفع من كثيره إذا كان غثا وضيع المحتوى سيىء القصد » (ص ٢٦١) .

وتنويع البرامج مهم جدا ، وتمشيها مع المناسبات الدينية ، والإجتماعية كمواسم الحج ورمضان والأعياد فلابد أن تتناسب البرامج مع الحدث ، وأن تتمشى مع طبيعة المواسم وعظمتها ، ومنزلتها في نفوس المسلمين . وكذا الحال في أيام الإختبارات الدراسية ينبغي أن تكون البرامج في ساعات البث مركزة على معالجة الآثار النفسية للإختبارات على الطلاب ثم تقديم الدروس التعليمية للطلاب في المواد التي يدرسونها ، ويرى الباحث أن يخصص التلفزيون ساعة واحدة على الأقل في اليوم للندوات الثقافية ذات الطابع الديني والأدبى والعلمي والتي تسهم أيضا في حلول بعض المشكلات الإجتماعية البارزة . وبذا يكون التلفزيون قد قام بدوره التربوي كما ينبغي أن يكون بدون إستهلاك للوقت .

ولا يقف الحد عند ما ذكره الباحث سابقا بل تشمل مسئوليته أيضا التوجيه المهني والأخلاقي لأفراد المجتمع وبيان فضيلة العمل وقيمته في الإسلام وحث الشباب على الإنخراط في المجالات التي يحتاجها المجتمع ، ويعاني من قصور فيها ، بحيث يتم ذلك عن طريق الإخراج الجيد المتميز بالتشويق ، ولفت الأنظار .

كما تقع على التلفزيون مسئولية معالجة بعض الظاهرات ، والعادات الإجتماعية الخاطئة كسوء استغلال وقت الفراغ ، وظاهرة السمر ليلا خارج المنزل ، وتجمعات الشباب على لعب الورق ، وفي المنتزهات والمقاهي ، وتسكع الشباب في الأسواق ٠

ومن الأمور التي يجب على التلفزيون مراعاتها عدم الإسراف في برامج الدعاية الإستهلاكية لأنها تربي في الناشئة حب الإسراف والتبذير ، ومن النتائج التي توصل إليها العيسوي (١٤٠٤ هـ) والتي تدعم هذا الاتجاه يقول : « وجد أن للتلفزيون دورا هاما في التوجيه المهني ، والتعريف بالمهن المختلفة ومتطلباتها ، كذلك له أثر في تنمية الحس الخلقي ، والشعور الوطني ، وان الإستماع والمشاهدة نشاطان إجتماعيان أكثر من القراءة الصامتة » (ص ١٥١) ٠

ويقترح الباحث أن تعمل المؤسسات الإعلامية في الدول الإسلامية على مواجهة التحديات ، والأخطار التي يمكن أن تصل إلينا عن طريق « البث المباشر » من أجل المحافظة على أوقات وأخلاق الناشئة الإسلامية ٠ويتم ذلك عن طريق إعداد رجال لهم قدرة فكرية ، وخيال واسع قادر على الإبتكار ومواجهة التحدي ، ووضع الخطط الواضحة القصد المحددة الهدف ٠ ويمكن أن تحل هذه المشكلة التي تواجه الأمة الإسلامية في وقتها وخلقها باستخدام التلفزيون السلكي (الكابلي) الذي يقدم برامجه إلى المشتركين عن طريق المحطات التي تبث برامجها عبر الأسلاك الموصلة بأجهزة المشتركين تماما كما هو الحال في اشتراكات الهاتف ، وبذلك نضمن وصول

البرامج المتمشية مع الأهداف المرسومة ، والقيم الدينية ، وفي الأوقات التي نريدها ، وعبر القناة التي نختارها بعيدا عن التأثر بالإرسال الهوائي عن طريق الأقمار الصناعية ، وهذه الطريقة ضمان للمشاهدين في الدول الإسلامية من محطات الأعداء التي تبث سمومها إلى الشعوب الإسلامية لزعزعة عقيدتها ، والسيطرة الفكرية عليها باستهلاك وقتها ، وشغلها في توافه وترهات لا جدوى من ورائها ٠

هذه هي أهم الأفكار والتصورات التي يقدمها الباحث للمؤسسات ذات المسئولية الأولى في الرعاية ، والتوجيه ، والتي تقوم بدورها في التربية عن طريق القدوة الصالحة ، والمتابعة المستمرة من الوالدين ٠ ثم المدرسة التي يخرج الطفل من الأسرة إليها يتعلم فيها ، وينضج فكره ويخرج من مرحلة إلى أخرى بها ، يأخذ عن مدرسيه ويقتدي بهم ، يوجهونه ، ويتقبل منهم ، ويعودونه على نظام معين فيحترم ذلك النظام ، وترسم المدرسة لطلابها خطة دراسية ووقتا لإنهائها ٠٠٠ يغدو إليها صباحا وفي وقت محدد لا يتأخر عنه ، ويحضر مواعيد الحصص ، وينصرف منها في وقت محدد أيضا ٠٠ كل هذا والمدرسة تعلم طلابها وتعودهم على احترام الوقت وانفاقه فيما ينفع ٠

وأوصى الباحث بضرورة التعاون بين الأسرة والمدرسة من أجل تربية أفضل وتوجيه أمثل ، ثم ناقش الباحث بعد ذلك مسئولية التلفزيون وكيف يعمل على المحافظة على الوقت ورأى لزوم التعاون بين المربين والإعلاميين حتى يكون العمل

الإعلامي ناجحا يؤدي دورا تربويا ، وركز الباحث على جانبين لإصلاح العمل التلفزيوني وهما : إنتقاء البرامج الجيدة المتمشية مع العقيدة الإسلامية ۰ ثم تخفيض ساعات البث وتوخي الساعات التي يغلب على الناس الفراغ فيها ، ثم ضرورة قطع البرامج في أوقات الصلوات المكتوبة حتى يتمكن المسلم من أدائها بدون تأخير ، واختيار البرامج التي تتمشى مع أوقات المناسبات الدينية والإجتماعية ۰

وأخيرا يرجو الباحث أن ينفع الله بجهده ـ المتواضع ـ هذا المؤسسات التربوية ذات العلاقة بتربية الناشئة ، وأن تكون تصوراته خطوات على طريق الإصلاح التربوي ، ودعوة للشباب المسلم لاغتنام الوقت ، وعدم التفريط فيه ، وصرفه فيما يعود على الأمة الإسلامية بكل خير من أجل بناء حضاري عظيم نحن في أمس الحاجة إليه اليوم ۰

الفصل الختامي

الخاتمة والنتائج

ـ مما تقدم ـ من خلال ذلك العرض ـ تتضح لنا أهمية الوقت وعلو منزلته وجلالة قدره ، وأنه مرتبط بمصير الإنسان ارتباطا وثيقا فهو حياته التى يعيشها ، وهو عمره الذي كتبه الله له في هذه الدنيا ، فمن اغتنمه فقد كسب حياته ، ومن ضيعه أو أهدره فيما لا ينفع فقد خسر حياته ، وفرط في فرصة عمره التى منحه الله إياها ، ولم يبق له إلا الندم على ما فات ، ولكن هل يرد الندم يوما قد انصرم لهوا ولعبا ؟ أو هل يمدُّ في أجل قد انتهى ؟ أو هل يرجع أيام الصبا ؟ كلا ! إنه لا يعود ما مضى من الوقت ، ولن يستطيع المفرط أن يعوض ما فات منه •

وقد برزت لنا أهمية الوقت في القرآن الكريم حيث أقسم به الجليل العظيم ، ووردت الآيات التى تدل على وجوب اغتنامه وتنظيمه ، والآيات التى تؤكد على فضائل الأوقات ، وامتدح القرآن الكريم أولئك الذين يحرصون على أوقاتهم ويغتنمونها في أعمال الخير ، وعاب على أولئك الذين يهدرون أوقاتهم ويضيعونها لهوا ولعبا ، وتهدّدهم بالعذاب الشديد •

وجاءت السنة النبوية المطهره مكملة لما جاء في القرآن الكريم وحاملة نفس المعاني التى حملها حول الوقت وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة قولا وفعلا في اغتنام الوقت حتى أنه ليقوم الليل الطويل عبادة لله حتى تتورم قدماه ولا ينصرف إلى غيرها ، فهو العابد القائم المجاهد الذي نشر الإسلام في ربوع الجزيرة العربية كلها في ثلاث وعشرين سنة وهي مدة وجيزة من عمر الزمن •

وجاء أصحابه من بعده ، والتابعون ، والرجال المخلصون في كل عصر من عصور التاريخ الإسلامي الذين وعوا المعاني السامية التي حملها القرآن والسنة وطبقوها في أنفسهم فتعلموا ، وعلموا ، وجاهدوا ، وكانت حياتهم شعلة من النشاط والحيوية حتى أنهم وصلوا بدولتهم الإسلاميه إلى حدود الصين شرقا وإلى المحيط الأطلسي غربا ، وكانوا بحق أساتذة الدنيا كلها ، ولم يحصل لهم هذا من فراغ ولكنه إنتهاب الوقت واغتنامه الذي تجلى في كل لحظة من لحظات حياتهم ٠

وعندما نشاهد واقعنا المعاصر نبكي على أنفسنا ، ونترحم على أسلافنا ٠ فواقعنا - كما وصفته هذه الدراسه - لا يبشر بخير ، فمعظم شبابنا يهدرون أوقاتهم ويضيعونها في العبث واللهو وليس لهم حظ كبير من أوقاتهم لا في الجانب الديني ، ولا في الجانب الدنيوي ٠ ويعود هذا إلى مجموعة من الأسباب التى تتداخل فيما بينها وتصنع واقع الوقت اليوم فمنها أسباب شخصية تتعلق بالشباب أنفسهم كالغفلة وغياب الهدف ، والتسويف وطول الأمل ٠ ومنها أسباب إجتماعية كالأسرة ، والتلفزيون ، وصحبة ذوي البطالة والفراغ ٠ وقد ناقش الباحث هذه الأسباب وبين دور كل منها في المساهمة في ضياع الوقت وإهداره ٠

وإذا أردنا أن نصلح واقعنا ، ونوجه شبابنا إلى اغتنام الوقت والمحافظة عليه فعلينا أن نعالج مواضع الداء الكامنة في أسباب ضياع الوقت ولا يتأتى لنا ذلك إلا إذا صرفنا الاهتمام نحو المؤسسات التربوية والاجتماعية كالأسرة ، والمدرسه ، ووسائل الاعلام فإذا قامت هذه المؤسسات بالدور المطلوب منها في توجيه الناشئة والشباب نحو الاستغلال الأمثل لأوقاتهم فسوف ننجح فيما نتوق إليه ٠

وقد قدم الباحث تصورات ـ نافعة إن شاء الله ـ لتلك المؤسسات إذا أرادت أن تغير الواقع السيء الى مستقبل أفضل كله جد واجتهاد ، واغتنام للوقت ، وسباق مع الزمن من أجل البناء والارتقاء ٠

وأخيرا يجدر بالباحث أن يسوق أهم النتائج التى توصل إليها من خلال هذه الدراسة ٠ وهي :

- وضوح أهمية الوقت في التربية الإسلامية ، وأن الإسلام قد اعتنى بالوقت من خلال ما ورد في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وأقوال السلف الصالح ٠

- بروز المثل الأعلى ، والقدوة الصالحة من سلفنا الصالح ، الذين كانت أوقاتهم معمورة بالعمل الصالح ـ عمل الدنيا والآخرة ـ وأن الحضارة الإسلامية التي قامت على أكتاف أولئك الرجال ماكانت لتوجد لولا العزيمة الصادقة ، والإرادة القوية في اغتنام الوقت وانتهابه ٠

- أظهرت الدراسة أن الوقت لا قيمة له بين معظم الشباب في واقعنا المعاصر ، وأنه يضيع هدرا وبدون فائدة ٠

- أظهرت الدراسة أن الأسرة لا تقوم بالدور المطلوب منها في توجيه أبنائها نحو الإستخدام الأمثل للوقت وتنظيمه .

- هناك مجموعة من الأسباب تتداخل فيما بينها لتصنع الواقع القائم من ضيا ع الوقت ، وعدم الاكتراث به ، خاصة بين الشباب ، والتي من أهمها : التلفزيون ، الغفلة وغياب الهدف ، والتسويف وطول الأمل ، صحبة البطالين الفارغين .

- بينت الدراسة دور بعض المؤسسات التربوية والاجتماعية في علاج إهدار الوقت لدى الشباب ، وتنمية الإتجاهات ، والقيم التي ننشدها في شبابنا ، وتتحدد هذه المؤسسات في : الأسرة ، والمدرسة ، والتلفزيون ، التي يرى الباحث أنها وثيقة الصلة بالشباب وتقع عليها مسئولية كبيرة في التنشئة والتوجيه .

توصيات البحث

في نهاية هذه الدراسة - التي تدور حول الوقت وتقدير قيمته في التربية الإسلامية - يقدم الباحث مجموعة من التوصيات التي يرى أنها ضرورية للإنتفاع بها في المعالجات التربوية التي تنشدها مؤسساتنا التربوية ٠ راجيا من الله العلي القدير أن يكون هذا البحث نافعا وخطوة على طريق الإصلاح التربوي ، وموجها للشباب الإسلامي ، والقائمين على تربيتهم ٠

ويمكن أن يجمل الباحث هذه التوصيات فيما يلي :-

(١) يوصي الباحث بضرورة قيام دراسات وأبحاث بشيء من التفصيل عن أسباب ضياع الوقت وإهداره لدى الشباب ، لأن الباحث لم يقدم إلا إشارات بسيطة حول هذه الأسباب ، فهي جديرة بأن تقدم في بحث مستقل وذلك عن طريق استطلاع رأي الشباب في سن معينة ، بإحدى طرق وأساليب البحث المختلفة من أجل التعرف على حقيقة هذه الأسباب ، وصياغة الحلول لمعالجتها ٠

(٢) يوصي الباحث الأسرة المسلمة الحريصة على تربية أبنائها تربية إسلامية طيبة أن ترسم لأبنائها - منذ دخولهم المدرسة وهم في سن السابعة - منهجا وبرنامجا يوميا يسير الولد بموجبه لكي ينشأ محافظا على وقته ، حريصا على اغتنامه ، منظما له ، يعرف متى يصحو من نومه ، ومتى يذهب إلى صلاته ، ومتى يذاكر دروسه ، ومتى يمارس نشاطه ، ومتى ينام ٠٠٠٠ فإن في هذا البرنامج تنمية للعادات الطيبة في نفوس الناشئة ٠

(٣) يوصي الباحث بأن تهتم وزارة المعارف بإبراز قيمة الوقت في المنهج المدرسي وذلك عن طريق : مناهج الثقافة الإسلامية ، والتاريخ أو تخصيص منهج عن « التربية الحلقية » يكون للوقت نصيب كبير من هذا المنهج ، خصوصا في المرحلة الثانوية .

(٤) يؤكد الباحث على دور المدرسة في تنمية اتجاه احترام الوقت وتقديره لدى الطلاب ، وذلك بالمحافظة على مواعيد الدراسة ، ودخول الحصص ، والإنصراف ، والنشاط ، إضافة إلى ما يقوم به المدرسون من توجيهات لطلابهم بضرورة اغتنام الوقت ، والشعور بقيمته .

ويوصي الباحث بأهمية التوعية بقيمة الوقت وذلك عن طريق : الصحف الحائطية ، والملصقات على جدران المدرسة ، والإذاعة المدرسية حيث يحتل الوقت مركزا بارزا في هذه الأنشطة ، ويكون له نصيب بين القيم الأخلاقية التي تدعو إليها المدرسة كالنظافة ، واحترام النظام وأهمية المسجد ... وغير ذلك .

(٥) ويوصي الباحث بضرورة التعاون بين المؤسسات التربوية ـ ممثلة في المدارس ، والجامعات ـ والمؤسسات الإعلامية ـ ممثلة في الصحافة ، والإذاعة ، والتلفزيون ـ في توجيه الشباب نحو الاستغلال الأمثل للوقت ، ويؤكد على ضرورة الإستعانة بذوي الاختصاص في التربية في المجالات الإعلامية المختلفة لتقديم الاستشارة التربوية الجيدة حول البرامج المقدمة ، ومدى فائدتها ، والأوقات الصالحة لتقديمها .

(٦) وينبغي أن تقدم دراسة ميدانية عن التلفزيون في المملكة العربية السعودية لمعرفة ما إذا كان له دور في التوعية الجماهيرية بقيمة الوقت أم لا ، وهل يراعي عند تقديم برامجه أوقات النوم والراحة والعبادة ؟ أم أنه لا يعير هذه الجوانب اهتماما . وقد خص الباحث التلفزيون بهذه التوصية من بين وسائل الإعلام الأخرى لأنه أوسعها إنتشارا ، وأكثرها إقبالا من الجمهور .

(٧) ويؤكد الباحث على دور الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالتعاون مع وزارة المعارف ، والتعليم العالي على تنسيق ، وتنظيم برامج ثقافية ، ورياضية في مواسم الإجازات الدراسية ، وفي أماكن مختارة من المدارس أو منشآت الرئاسة العامة للشباب . فإن في هذا فائدة عظيمة من حيث استغلال الوقت فيما يعود على الناشئة بالفائدة الفكرية ، والجسمية .

(٨) كما يوصي الباحث بأن تعمل وزارة العمل والشئون الإجتماعية بالتعاون مع القطاع العام ، والقطاع الخاص بتوفير بعض الوظائف والأعمال المؤقته في مواسم الإجازات ، وذلك للراغبين من الشباب في الانخراط فيها والتدريب على العمل والإنتاج .

المصادر والمراجع

أفاد الباحث من المصادر والمراجع التالية :ـ

أولا : المصادر

* القرآن الكريم والتفاسير :

(١) القرآن الكريم •

(٢) ابن كثير ، إسماعيل (١٤٠٠ هـ) : **تفسير القرآن العظيم** • بيروت : دار المعرفة •

(٣) أبو السعود ، محمد بن محمد : **تفسير أبي السعود** • بيروت : دار إحياء التراث العربي •

(٤) الشوكاني ، محمد بن علي : **فتح القدير** • بيروت : دار الفكر •

(٥) الصابوني ، محمد علي : **صفوة التفاسير** • بيروت : دار الفكر •

(٦) فخر الدين ، محمد الرازي (١٤٠٥ هـ) : **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب** ، بيروت : دار الفكر •

(٧) قطب ، سيد (١٤٠٦ هـ) : **في ظلال القرآن** ، القاهرة : دار الشروق •

* كتب السنه :

(٨) ابن حنبل ، أحمد بن محمد (١٣٧٣ هـ) : **المسند** • القاهرة : دار المعارف •

(٩) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (١٤٠٥ هـ) : **زاد المعاد** • بيروت : مؤسسة الرسالة •

(١٠) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (١٤٠٨ هـ) : **الفوائد** • دمشق : دار البيان •

(١١) ابن المبارك ، عبدالله : **الزهد** ، بيروت : دار الكتب العلمية .

(١٢) أبو داود ، سليمان بن الأشعث : **السنن** . مكة المكرمة : دار الباز .

(١٣) البخاري ، محمد بن إسماعيل (١٤٠٧ هـ) : **صحيح البخاري** ، بيروت : دار القلم ، ط ١ .

(١٤) البيهقي ، أحمد بن الحسين : **السنن** .

(١٥) البيهقي ، أحمد بن الحسين (١٤١٠ هـ) : **فضائل الأوقات** . تحقيق عدنان القيسي . مكة المكرمة : المنارة .

(١٦) الترمذي ، محمد بن عيسى (١٣٩٥ هـ) : **الجامع** . مصر : البابي الحلبي ، ط ٢ .

(١٧) الحاكم ، محمد بن محمد (١٣٤٢ هـ) : **المستدرك** . الهند : دائرة المعارف النظامية ، ط ١ .

(١٨) الدارمي ، عبدالله بن عبدالرحمن . **السنن** . دار إحياء السنة النبوية .

(١٩) الطبراني ، سليمان بن أحمد : **المعجم الكبير والأوسط** .

(٢٠) العسقلاني ، أحمد بن علي (١٤٠٧ هـ) ، **فتح الباري** . القاهرة : دار المطبعة السلفية ، ط ٣ .

(٢١) المناوي ، محمد عبدالرؤوف (١٣٥٧ هـ) : **فيض القدير** . بيروت : دار المعرفة .

(٢٢) النسائي ، أحمد بن شعيب (١٣٥٧ هـ) : **السنن** . مصر : مطبعة البابي الحلبي ، ط ٢ .

(٢٣) النسائي ، أحمد بن شعيب (١٤٠٦ هـ) : **عمل اليوم والليله** • تحقيق : فاروق حماده • بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ٢ •

*** في الطبقات والأعلام :**

(٢٤) ابن أبي أصيبعه ، أحمد بن القاسم (١٣٧٦ هـ) : **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، بيورت : دار الفكر •

(٢٥) ابن أبي يعلي ، أبو الحسن محمد (١٣٧٦ هـ) : **طبقات الحنابله** • بيروت : دار المعرفة •

(٢٦) ابن خلكان ، أحمد بن محمد (١٣٩٧ هـ) : **وفيات الأعيان** • بيروت : دار صادر •

(٢٧) ابن رجب ، عبدالرحمن بن شهاب الدين (١٣٧٢ هـ) : **الذيل على طبقات الحنابله** • بيروت : دار المعرفه •

(٢٨) الأصفهاني ، أحمد بن عبدالله (١٣٥٧ هـ) : **حلية الأولياء** ، بيروت : دار الكتب العلميه •

(٢٩) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن (١٤٠٢ هـ) : **مناقب الإمام أحمد** • دار الآفاق الجديده ، ط ٣ •

(٣٠) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن (١٤٠٧ هـ) : **مناقب أمير المؤمنين عمر** • بيروت : دار الكتب العلميه •

(٣١) ابن الجوزي ، أبوالفرج عبدالرحمن (١٤٠٩ هـ) : **صفة الصفوة** ، بيروت : دار الكتب العلمية •

(٣٢) ابن هشام ، أبو محمد عبدالملك : **السيرة النبويه** • الرياض : مكتبة الرياض الحديثه •

(٣٣) الحموي ، ياقوت : **معجم البلدان** •

(٣٤) الحموي ، ياقوت : **معجم الأدباء** •

(٣٥) الذهبي ، شمس الدين محمد (١٣٧٧ هـ) : **تذكرة الحفاظ** ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ٢١ •

(٣٦) الذهبي ، شمس الدين محمد (١٤٠٣ هـ) : **سير أعلام النبلاء** • مؤسسة الرساله •

(٣٧) الذهبي ، شمس الدين محمد (١٤٠٧ هـ) : **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** • بيروت : دار الكتاب العربي ، ط ١ •

(٣٨) السبكي ، تاج الدين عبدالوهاب (١٣٨٤ هـ) : **طبقات الشافعية الكبرى** ـ مطبعة البابي الحلبي •

(٣٩) الصالحي ، محمد بن يوسف (١٣٩٤ هـ) : **عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان** • المدينة المنوره : مكتبة الإيمان •

(٤٠) الكتبي ، محمد بن شاكر : **فوات الوفيات** • بيروت : دار صادر •

*** مصادر عامه :**

(٤١) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن (١٩٧٧ م) : **المدهش** • بيروت : دار الجيل •

(٤٢) ابن الجوزي ، أبوالفرج عبدالرحمن (١٩٧٧ م) : **صيد الخاطر** ، بيروت : دار الكتب العلميه •

(٤٣) ابن خلدون ، عبدالرحمن : **المقدمه** ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط ٤ ٠

(٤٤) ابن عبدربه ، أحمد بن محمد (١٤٠٣ هـ) : **العقد الفريد** ، بيروت : دار الكتاب العربي ٠

(٤٥) ابن عقيل ، بهاء الدين عبدالله (١٣٨٤ هـ) : **شرح ابن عقيل** ٠ مصر : مطبعة السعاده ٠

(٤٦) طاش كبرى زاده ، أحمد بن مصطفى (١٤٠٥ هـ) : **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** ٠ بيروت : دار الكتب العلمية ٠

(٤٧) الغزالي ، أبو حامد محمد (١٩٥٥ م) : **المنقذ من الضلال** ٠ القاهره : مكتبة الإنجلو المصرية ٠

(٤٨) الفيروز آبادي ، محمد الدين محمد (١٣٧١ هـ) : **القاموس المحيط** ، بيروت : المؤسسة العربية ٠

(٤٩) القاسمي ، محمد جمال الدين (١٤٠٨ هـ) : **موعظة المؤمنين** ٠ تحقيق : عاصم البيطار ، بيروت : دار النفائس ٠

ثانيا : المراجع

(١) أبو غده ، عبدالفتاح (١٤٠٧ هـ) : **قيمة الزمن عند العلماء** ٠ بيروت : دار البشائر الإسلامية ٠

(٢) الأحدب ، خلدون (١٤٠٧ هـ) : **سوانح وتأملات في قيمة الزمن** ٠ جدة : دار الوفاء ٠

(٣) آل زعير ، سعيد بن مبارك (١٤٠٧ هـ) : **التلفزيون والتغير الإجتماعي في الدول النامية** . جده : دار الشروق .

(٤) ابن نبي ، مالك (١٤٠٥ هـ) : **شروط النهضه** . دمشق : دار الفكر .

(٥) حمامي ، محمد وآخرون (١٤٠٦ هـ) : **الترويح وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر** . مكه المكرمه : جامعة أم القرى .

(٦) خالد ، خالد محمد (١٤٠٤ هـ) : **خلفاء الرسول** . بيروت : دار الكتاب العربي .

(٧) رضا ، محمد (١٤٠٢ هـ) : **عثمان بن عفان** . بيروت : دار الكتب العلمية .

(٨) سعيد ، جودت (١٤٠٤ هـ) : **حتى يغيروا ما بأنفسهم** . دمشق : مطبعة زيد بن ثابت ، ط ٦ .

(٩) سعيد ، جودت : **العمل قدرة وإرادة** . دمشق : مطبعة زيد بن ثابت .

(١٠) سفر ، محمود محمد (١٤٠٤ هـ) : **انتاجية مجتمع** . جده : تهامة .

(١١) سويد ، محمد نور (١٤٠٧ هـ) : **منهج التربية النبوية للطفل** . الكويت : مكتبة المنار .

(١٢) صالح ، عبدالرحمن وآخرون (١٩٨٨ م) : **المرشد في كتابة البحوث التربوية** . مكة المكرمه : المناره .

(١٣) صالح ، محمد عزمي (١٤٠٥ هـ) : **التأصيل الإسلامي لرعاية الشباب** . القاهره : هجر للطباعة والتوزيع .

(١٤) عبدالسلام ، فاروق (١٤٠٨ هـ) **في التوجيه والإرشاد الطلابي** . مكة المكرمه : مكتبة الطالب الجامعي .

(١٥) عبدالوهاب، محمد (١٤٠٨ هـ) : **مختصر سيرة الرسول** • الرياض : الرئاسه العامه لإدارات البحوث العلميه •

(١٦) عبيدات، ذوقان وآخرون (١٩٨٨ م) : **البحث العلمي** • عمان : دار الفكر •

(١٧) عثمان، حسن (١٩٨٦ م) : **منهج البحث التاريخي** • القاهرة : دار المعارف، ط ٤ •

(١٨) العفاني، سيد بن حسين (١٤١٠ هـ) : **رهبان الليل** • القاهرة : دار ابن تيميه •

(١٩) العقاد ، عباس محمود : **عبقرية الصديق** • بيروت : دار الكتاب العربي •

(٢٠) علوان، عبدالله ناصح (١٤٠٦ هـ) : **تربية الأولاد في الإسلام** • القاهرة : دار السلام، ط ٩ •

(٢١) عيسوي ، عبدالرحمن (١٤٠٤ هـ) : **الآثار النفسية والإجتماعية للتلفزيون العربي** • بيروت : دار النهضه العربيه •

(٢٢) الفاروقي، إسماعيل راجي (١٤٠٤ هـ) : **أسلمة المعرفه** • الكويت : دار البحوث العلمية • ط ١ •

(٢٣) القرضاوي، يوسف (١٤٠٨ هـ) : **الوقت في حياة المسلم** • بيروت : مؤسسة الرسالة •

(٢٤) قطب، محمد (١٤٠٨ هـ) : **واقعنا المعاصر** ، جده : مؤسسة المدينه، ط ٢ •

(٢٥) قطب ، محمد (١٤٠٨ هـ) : **منهج التربية الإسلامية** • القاهرة : دار الشروق، ط ١١ •

(٢٦) كجك ، مروان (١٤١٠ هـ) : **الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون** ·
القاهرة : دار الكلمه الطيبه ، ط ٣ ·

(٢٧) محمد ، محمد علي (١٤٠٥ هـ) : **وقت الفراغ في المجتمع الحديث** ·
بيروت : دار النهضة ·

(٢٨) مرسي ، محمد منير (١٩٨٧ م) : **التربية الإسلامية** · القاهرة : دار
المعارف ·

(٢٩) المطوع ، جاسم محمد (١٤١٠ هـ) : **الوقت عمار أو دمار** · الكويت : دار
الدعوة ·

(٣٠) معاصره ، منير (١٤٠٨ هـ) : **دور الإعلام في توجيه الشباب** · الرياض :
المركز العربي للدراسات الأمنية ·

(٣١) المودودي ، أبو الأعلى (١٤٠٢ هـ) : **مبادئ الإسلام** · جده : الدار السعودية ،
ط ٢ ·

(٣٢) المودودي ، أبو الأعلى (١٤٠٤ هـ) : **نحن والحضارة الغربية** · جده : الدار
السعودية ·

(٣٣) الندوي ، أبو الحسن علي (١٤٠١ هـ) : **السيرة النبوية** · جده : دار
الشروق ، ط ١ ·

(٣٤) الندوي ، أبو الحسن علي (١٤٠٢ هـ) : **نحو التربية الإسلامية الحرة** ،
بيروت : مؤسسة الرسالة ·

(٣٥) نوير ، عبدالستار (١٤٠٦ هـ) : **الوقت هو الحياة** · الدوحة : دار الثقافة ·

(٣٦) الهاشمي ، عبدالحميد : **جواهر الأدب** ·

ثالثا : الدواوين الشعرية :

(١) ديوان ـ أبو العتاهية ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٦٠ م ٠

(٢) ديوان ـ أحمد شوقي ـ بيروت ـ دار الكتاب العربي ٠

(٣) ديوان ـ حافظ ابراهيم ـ دار العوده ـ بيروت ٠

(٤) ديوان ـ الفرزدق ـ دار صادر ـ بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ٠

(٥) ديوان ـ المتنبي ـ دار المعرفه ـ بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٨ م ٠

رابعا : الدوريات والصحف والموسوعات :

(١) البنا ، حسن (١٣٧٣ هـ) : **الوقت هو الحياة** ، مقال في : المسلمون ، العدد ١ ، القاهرة ٠

(٢) سليمان ، محمد حافظ (١٤١٠ هـ) : **الإنتفاع بالوقت** ، مقال في : الأزهر ، العدد ٢ ٠

(٣) السبيعي ، عبدالله سلطان (١٤٠٩ هـ) : **الفراغ وأثره في النفس والمجتمع** ، البيان ، العدد ١٩ ، لندن ٠

(٤) طاش ، عبدالقادر (١٤١٠ هـ) : **إستثمار الوقت قيمة حضارية** ، مقال في : جريدة عكاظ ، العدد ٨٥٠٨ جدة ٠

(٥) مكتبة التربية العربي لدول الخليج : **ماذا يريد التربويون من الإعلاميين** ، **وقائع ندوة** ، الرياض ، ٦ شعبان ١٤٠٢ هـ ٠

(٦) الموسوعة العربية الميسرة ١٤٠٧ هـ ، دار الشعب ٠

الملاحـــــق

ملحق (١)

نماذج الأسئلة التي طرحها الباحث على عينة الشباب :ـ

س : هل تضع برنامجا يوميا تسير بموجبه أم لا ؟

س : هل تلوم نفسك على ما يضيع من وقتك سدى ؟

س : أين تضع نفسك من المغتنمين للوقت أم من المفرطين فيه ؟

س : ماذا تفعل بعد الانصراف من المدرسة ؟

س : إذا كان لديك فراغ في جدولك الدراسي ٠ أين تقضي هذا الوقت إذا كنت من طلاب الثانوية المطوره ؟

س : متى تمارس النشاط الرياضي ؟

س : متى تلتقي بزملائك وأصحابك ؟ وهل تُعَّرف والدك على أصحابك وزملائك ؟

س : إذا خرجت من البيت عصرا فمتى تعود ؟ وهل يسأل والدك عنك أم لا ؟

س : هل تؤدي الصلاة في أوقاتها ؟

س : هل تؤديها مع الجماعة في المسجد أم لا ؟

س : متى تقرأ القرآن ؟ وهل لك موعد محدد مع كتاب الله ؟

س : متى تشاهد التلفزيون ؟ وهل أنت من المدمنين على مشاهدته أم لا ؟

س : ما هي البرامج المفضلة التي تشاهدها ؟

س : كيف تقضي الوقت في نهاية الأسبوع (يومي الخميس ، والجمعة) ؟

س : هل تزور أقاربك بإنتظام أم لا ؟

س : هل تخرج مع أسرتك للتفسح والنزهة ؟

س : هل أنت ممن يرغبون القراءه ؟ أم لا ؟

س : إذا كنت تقرأ فما هي المطبوعات والكتب التي تفضل قراءتها ؟

س : ما رأيك في الشباب بوجه عام . هل يغتنمون أوقاتهم أم يضيعونها ؟

ملحق (٢)

نماذج من الأسئلة التي طرحها الباحث على عينة من الموجهين والمعلمين :

س : ما أهمية الوقت من وجهة نظرك ؟

س : ما مدى اغتنام الشباب لأوقاتهم من خلال تصوركم ؟

س : من خلال تجربتكم التربوية هل هناك علاقة بين البيت والمدرسة للتعاون من أجل المحافظة على وقت الشباب ٠

س : إذا كنت ترى أن شباب اليوم لا يحافظون على الوقت ٠ فما هي الأسباب المؤدية إلى إهدار الوقت ؟

س : ما هي الأساليب التي يمكن أن تسهم في معالجة ظاهرة إهدار الوقت ؟

س : ما رأيك في المادة التي يقدمها التلفزيون ؟ هل تساعد على اغتنام الوقت والمحافظة عليه ؟

س : هل تؤدي المدرسة دورا إيجابيا في الحفاظ على وقت طلابها طيلة اليوم الدراسي ؟

س : ما الدور الذي ينبغي أن تقوم به الأسرة في توجيه أبنائها للمحافظة على الوقت واستثماره ؟

س : ما هي التوصيات والمقترحات التي تقدمها للشباب والمؤسسات القائمة على تربيتهم بهذه المناسبة ؟